

التُّحَفُ

بِتَفْصِيلِ مُجْمَلِ عَقَائِدِ السَّلَفِ

التُّحَف
بتفصيل مجمل عقائد السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1439 هـ

رقم الإيداع: 17262/ 2018

الترقيم الدولي: 9-261-744-977-978





ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي- محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣-/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+
E-mail: alamia_misr@hotmail.com

التُّحَفُ

المغربي

بِتَفْصِيلِ مُجْمَلِ عَقَائِدِ ٱلسَّلَفِ

تصنيف الشيخ

محمد الأمجد بن محمد محفوظ بن ادّ الشنقيطي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ





تزكية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن الشيخ محمد بن أدّ حفظه الله ورعاه من خيرة أهل العلم ببلاد شنقيط فهو حافظ لكتاب الله دارس لكثير من علوم القرآن والسنة . بالإضافة إلى علوم الآلة من نحو وصرف وأصول فقه وبلاغة وغير ذلك.

وله عناية خاصة بالحديث الشريف وعلومه وقد حصل على إجازات كثيرة من أكابر العلماء.

ويقوم بجهود دعوية كبيرة داخل البلد وخارجه كان لها النفع الكبير بفضل الله تعالى.

وقد درّس وشرح وألّف في مجالات مختلفة .

نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

ونسأل الله أن ينفع به وأن يبارك في جهوده إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

كتبه الشيخ : أحمد بن الكوري الشنقيطي

2014/03/28م

Huda Foundation



جمعية الهـــدى

FOR ISLAMIC SCIENCES AND CHARITY - MAURITANIA

للعلوم الإسلامية والأعمال الخيرية - موريتانيا

مكتب الرئيس

التاريخ: ٦/٦/١٤٣٥هـ

رقم: ١٧

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد، فالذي أعلمه - ولا أزكي على الله أحدا - أن الأخ الفاضل الشيخ أبا ميمونة محمد بن الرضى من المبرزين في الحديث وعلومه بهذه الديار الشنقيطية، والمشتغلين بحفظه وصناعته، إلى مشاركة جيدة في العلوم الأخرى، وأنه على جادة السلف معتقدا وهديا وسلوكا ودعوة إلى السنة واتباعا للدليل.

وأسأل الله عز وجل أن يثبتنا وإياه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيدي وفقه الله تعالى

جمعية الهدى الخيرية - الرئيس - Le Président - ONG EL HUDA

المحظرة الخيرية
لتدريس العلوم الشرعية



بسم الله الرحمن الرحيم

2014/04/10

نــص الــتزكية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد فعلمي في الأخ الأستاذ السيد محمد بن محمد محفوظ بن الدي أنه من حفظة كتاب الله تعالى العارفين بعلوم القرآن قراءة ورسما وضبطا، وأنه من خيرة شباب هذه البلاد ومن أحسنهم تحصيلا في طلب العلم، والعقيدة السليمة، والفهم لنصوص الشرع، والدعوة إلى الله، وتعليم الناس، وهو إلى ذلك مشارك في كل العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث رواية ودراية فله في علم الحديث مشاركات جيدة هذا علمي فيه ولا أزكي على الله أحدا.

كتبه الشيخ : محمد سيديا بن اجدود النووي



E-mail: msjn١٣٧٩ @ gmail .com

الهاتف ٠٠٢٢٢٢٢٠٥٨٦٤٦ - ٠٠٢٢٢٢٢٠٢٠٦٦٧ بتلميت - موريتانيا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خليله عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد فهذا شرح وضعته على منظومة الشيخ العلامة محمد سالم بن محمد عالي بن عبد الودود الشنقيطي رحمه الله تعالى يفصل مجملها ويفتح مقفلها ويؤصل مسائلها بذكره دلائلها، ولم أتعرض فيه لشرح مقدمة النظم، وسميته: «**التحف بتفصيل مجمل عقائد السلف**» والله أسأل التوفيق.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بِـلا عـلاج أو لغـوب أو نـصب ... وَقَبْـــلَ أَنْ أَشْرَعَ فِي المَقْـــصُودِ

أَذْكُـــرُ جُملَـــةً مِـــنَ العَقَائِـــدِ ... عَـلَى طَرِيـقِ الـسَّلفِ الأمَاجِـدِ

وَلَـسْتُ ذَاكِـرًا سِـوَى الْمُتَّفَـقِ ... عَلَيـهِ مِـنْ قَبْـلِ نُـشُوءِ الفِـرَقِ

مِمَّـا إِلَيـهِ الأشْـعَرِيُّ قَـدْ رَجَـعْ ... مُتَّبِعًـا أحمَـدَ نِعـمَ المُتَّبَـعْ

لا مَـا يقُـولُ مَـنْ لِـذَا أو ذَا انتَمَـى ... زَعْمًـا وَلَم يَـسِرْ عَـلَى مَـا رَسَمَـا

اللهُ حَـــقٌّ أَوَّلٌ كَـــانَ وَلَمْ ... يَكُـنْ سِـوَاهُ ثُـمَّ مِـنْ بَعْـدِ العَـدَمْ

أَنْـشَأَ خَلقَـهُ اخْتِيَـارًا بِقَـدَرْ ... لِحِكَـمٍ لا عَبَـثًا كَمَـا ذَكَـرْ

بِقَولِـهِ كُـنْ فيكُـونُ مَـا طَلَـبْ ... بِـلا عِـلاجٍ وَلُغُـوبٍ وَنَـصَبْ

الشرح: قال الناظم رحمه الله تعالى: (**وقبل أن أشرع في المقصود**) من نظم مختصر خليل بن إسحاق المالكي رحمه الله تعالى فإنني (**أذكر جملة**) أجمل الشيء جمعه عن تفرقة[1] (**من**) مسائل (**العقائد**) جمع عقيدة كأنه مأخوذ من العقد

(1) تاج العروس: 238/ 28.

المستعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[1] **(على طريق السلف)** من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن نهج نهجهم من الخلف **(الأماجد)** جمع ماجد والمجد الكرم والمجيد الكريم وقد مجد الرجل بالضم فهو مجيد وماجد[2] **(ولست ذاكرًا)** في هذا النظم من مسائل الاعتقاد **(سوى المتفق عليه)** بين السلف **(من)** زائدة **(قبل نشوء)** أي حدوث **(الفرق)** الضالة كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والقدرية، والكلابية، والأشعرية[3]، والمرجئة، وغيرهم من طوائف الضلال المذكورة في كتب الملل والنحل، أسأل الله أن يبصرنا بالحق ويثبتنا عليه حتى نلقاه إنه سميع مجيب.

(مما) اسم موصول بمعنى الذي **(إليه الأشعري)** العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري، مولده: سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين[4].

(قد رجع) بعد أن كان معتزليًّا قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: وكان عجبًا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم.

---

(1) تاج العروس: 394/ 8.

(2) الصحاح: 536/ 2.

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى 55/ 6: (والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب «الأسماء والأحكام» جبرية في باب «القدر»، وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم).

(4) سير أعلام النبلاء: 85/ 15.

قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم.

قال الذهبي: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول اهـ[1].

ووصفه الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بأنه: (صاحب الكتب، والتصانيف فِي الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة) اهـ[2].

قال محمد بن ادَّ: رجوع أبي الحسن الأشعري من الاعتزال للسنة جزم به غير واحد من الأئمة وصنف حافظ الشام ابن عساكر رحمه الله تعالى كتابًا في الذب عنه سماه: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري» يرد به على العلامة الأهوازي رحمه الله حيث صنف في مثالب الأشعري، وقد رد على الحافظ ابن عساكر العلامةُ ابنُ المبرد في كتابه «جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر».

ولقد عارض الأئمةَ المثبتين لرجوعه أئمةٌ آخرون فقالوا: رجع من التصريح إلى التمويه[3].

---

(1) سير أعلام النبلاء: 85 ـ 86/ 15.

(2) تاريخ بغداد: 260/ 13.

(3) انظر: مجموع الفتاوي: 309/ 16، وقال شيخ الإسلام 96/ 16: (وأبو الحسن سلك في مسألة الأسماء والأحكام والقدر مسلك الجهم بن صفوان مسلك المجبرة ومسلك غلاة المرجئة ...).
وقال أيضًا 308/ 16: (فأما ابن كلاب فقوله مشوب بقول الجهمية وهو مركب من قول أهل السنة وقول الجهمية وكذلك مذهب الأشعري في الصفات وأما في القدر والإيمان فقوله قول جهم). =

ورجع عن الفروع وثبت على الأصول[1]، ومن أقطاب هذا القول شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري فقد ذكر كثيرًا من مثالبه في كتابه «ذم الكلام» بل نقل أنه كان لا يصلي ولا يستنجي ولا يتوضأ، بل ونقل الإجماع على كفر الأشعرية عمومًا، وشيخ الإسلام ابن تيمية نقل كلامه هذا وما

= وقال أيضًا 471/ 16: (والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية).

وقال أيضًا 352 ـ 353/ 14: (والمقصود هنا أن جهما اشتهر عنه نوعان من البدعة أحدهما: نفي الصفات والثاني: الغلو في القدر والإرجاء فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة وهذان مما غلت المعتزلة في خلافه فيهما، وأما الأشعري فوافقه على أصل قوله ولكن قد ينازعه منازعات لفظية، وجهم لم يثبت شيئا من الصفات لا الإرادة ولا غيرها فهو إذا قال: إن الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي فمعنى ذلك عنده: الثواب والعقاب، وأما الأشعري فهو يثبت الصفات كالإرادة فاحتاج حينئذ أن يتكلم في الإرادة: هل هي المحبة أم لا؟ وأن المعاصي: هل يحبها الله أم لا؟ فقال: إن المعاصي يحبها الله ويرضاها كما يريدها).

وقال أيضًا 359 ـ 360/ 6: ويقولون إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة والأشعرية مخانيث المعتزلة وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الإناث ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لا سيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة ويفتح بذلك أبواب شر).

وقال أيضًا 119/ 7: (والقاضي أبو بكر الباقلاني نصر قول جهم في "مسألة الإيمان" متابعة لأبي الحسن الأشعري وكذلك أكثر أصحابه).

وقال أيضًا 511/ 7: فلما صنف ابن الخطيب (الرازي) تصنيفا فيه وهو يقول في الإيمان بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي ورآه متناقضًا.

(1) قال الإمام أبو نصر السجزي رحمه الله تعالى في رسالته إلى أهل زبيد، ص 140: ولقد حكى محمد بن عبد الله المالكي المغربي وكان فقيها صالحا عن الشيخ أبي سعيد البرقي وهو من شيوخ فقهاء المالكيين ببرقة عن أستاذه خلف المعلم وكان من فقهاء المالكيين أيضا أنه قال: أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال ثم أظهر التوبة فرجع عن الفروع وثبت على الأصول اهـ.

تعقبه بحرف في التسعينية[1]، وإن كان في كتبه الأخرى يذكر رجوع أبي الحسن إلى السنة، ولكن التسعينية من أواخر ما كتب، وممن نحا هذا المنحى: الإمام الحافظ أبو عبد الله بن منده، وأبو الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان الطرازي الحنبلي[2]، والإمام الحافظ أبو نصر السِّجزي[3]، والإمام الحافظ سعد

---

(1) التسعينية: 3 /990.

(2) وهو القائل:

دعـوني مـن حديث بني اللتيا	ومـن قـوم بـضاعتهم كـلام
تفـاريق العـصا مـن كـل أوب	إذا ذُكِـروا ولـيس لهـمْ إمـام
كُـسَـيْرٌ أو عُوَيْـرٌ أو نُغَـيْرٌ	شـعارهمُ الـسفاهة والخـصام
وإن سُـئِلوا عـن الجبـار مـالوا	إلى التعطيـل وافتـضَح اللئـام
وإن سـئلوا عـن القـرآن قـالوا	يقـول بخلقـه بَـشَرٌ كِـرَام
كـلام الله لـيس لـه حـروف	ولا في قولـه ألـف ولام
كـأن الله كلمـهمْ جهـارا	وقـال لهـم: كـلامي لا يـرام
ولـو قيـل النبـوة كيف صارت؟	لقـالوا: تلـك طـار بهـا الحمـام
إذا قُبِـض النبـيُّ فكيـف تبقـى	نبوتُـه؟ فَدَيْتُـكَ والـسلام
فهـذا ديـنهمْ فـاعلم يقيـنا	ولـيس عـلى مُهَجِّـنهمْ مَـلام
لهـم زجـل وتوحيـد جـديد	أبـى الإسـلامُ ذلـك والأنـام
وزمزمـة وهينمـة وطَيـش	كـأنهمُ دجـاج أو حمـام
وإزراء بأهـل الحـق ظلـمًا	وتلقيـبٌ وتـشنيعٌ مُّـدام
وقـول الملحـدين وإن تعـاووا	عـواءَ الـذئب ليـس لـه نظـام
فـصبرا يـا بنـي الأحـرار صـبرا	فـإن الظلـم ليـس لـه دوام
وإن الحـق أبلـجُ لا يـضام	وقـول الـزور آخـرُه غـرام

(3) قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد، ص 137 ـ 140: الفصل الخامس في بيان أن فرق اللفظية والأشعرية موافقون للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول وزائدون عليهم في القبح وفساد القول في بعضها ... ثم ذكر الأمثلة على ذلك.

بن علي الزنجاني[1]، والإمام أبو الفرج ابن الجوزي[2]، والإمام شيخ الإسلام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة[3]، وجماعة.

---

(1) قال رحمه الله: وكان هو (ابن كلاب) والأشعري وغيرهم من اللفظية يزعمون أن كلام الله في الحقيقة لا يكون عربيا ولا عبرانيا ولا سريانيا ولا بلغة من اللغات ولا يجوز أن يكون سورا ولا آيات ولا ذا أجزاء ولا أعداد ولا يجوز نزوله إلى أحد من الأنبياء في الحقيقة ولا وجوده في محل لا قلب ولا لسان ولا صحيفة. وذكر ابن فورك في كتابه مجرد قول الأشعري أنه كان يقول: إن كتاب الله غير كلامه وإن الأعداد والأجزاء في الكتاب لا في الكلام وإن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور تسميات العبارات المنزلة باللغات المختلفة وكلامُ الله لا يستحق شيئًا من هذه التسميات وكلهم تزعموا أنه يرد على المعتزلة في خلق القرآن فليتأمل الناظر هذا الفصل من كلامهم يتبين له تلاعب القوم ورقة دينهم فلم يقع الخلاف مع المعتزلة وغيرهم إلا فيما في الدنيا من القرآن المحفوظ في الصدور المقروء بالألسن المكتوب في المصاحف ولم يعرف الخلق بأسرهم قرآنًا غيره اه من شرح المنظومة الرائية في السنة له، ص: 113.

وهو القائل:

ومـا قالـه جهـم فحقًـا ضــلالة	وبِشْرٌ فما أبداه جهلا قد انتشــر
وجعـد فقـد أرداه خبثُ مقالِــه	وأما ابن كلاب فأقبِحْ بما ذكــر
وجاء ابـن كَرَّام بهجْرٍ ولم يكـن	لـه قَـدَمٌ في العلـم لكـــنه جسـر
وسقَّفَ هـذا الأشعـريُّ كلامَـه	وأربى على من قبله من ذوي الدَّبَر

(2) قال رحمه الله تعالى في المنتظم 29/ 14: وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة، وكان الناس لا يختلفون فِي أن هذا المسموع كلام الله، وأنه نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، فالأئمة المعتمد عليهم قالوا: إنه قديم، والمعتزلة قالوا: هُوَ مخلوق، فوافق الأشعري المعتزلة في أن هذا مخلوق، وقال: ليس هذا كلام الله، إنما كلام الله صفة قائمة بذاته، ما نزل ولا هو مما يسمع، وما زال منذ أظهر هذا خائفا على نفسه لخلافه أهل السنة، حتى إنه استجار بدار أبي الحسن التميمي حذرا من القتل، ثم تبع أقوام من السلاطين مذهبه فتعصبوا له وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودانوا بقول الأشعري اه.

(3) قال رحمه الله تعالى في المناظرة، ص 87: فهم زنادقة بغير شك اه وقال أيضا ص 91: ومن العجب أن إمامهم الذي أنشأ هذه البدعة رجل لم يعرف بدين ولا ورع ولا شيء من علوم الشريعة ألبتة ولا ينسب إليه من العلم إلا علم الكلام المذموم وهم يعترفون بأنه أقام على الاعتزال أربعين عاما ثم أظهر الرجوع عنه فلم يظهر منه بعد التوبة سوى هذه البدعة فكيف تصور في عقولهم أن الله لا يوفق لمعرفة الحق إلا عدوه ولا يجعل الهدى إلا مع من ليس له في علم الإسلام نصيب ولا في الدين حظ اه. =

والإمام أبو طاهر مطيار بن أحمد الرستمي[1].

قلت: الذي يظهر لي أن أبا الحسن ربما يكون رجع ولكن بقيت معه لوثة من البدعة خصوصًا في باب الإيمان والقدر فإن قوله فيهما قول جهم لا محالة والله أعلم.

وقد رجع أبو الحسن حال كونه **(متبعًا)** إمام أهل السنة والجماعة في عصره أبا عبد الله **(أحمد)** بن محمد بن حنبل الشيباني أحد الأئمة المتبوعين ولد سنة أربع وستين وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين ومائتين.

= وقال أيضًا، ص 83: واتفق أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يكن القرآن الذي دعوا إلى القول بخلقه سوى هذه السور التي سماها الله (قرآنا عربيا) وأنزلها على رسوله عليه السلام ولم يقع الخلاف في غيرها ألبتة وعند الأشعري أنها مخلوقة فقوله قول المعتزلة لا محالة إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولا يوافق أهل الحق ثم يفسره بقول المعتزلة اهـ.

وقال أيضًا: أخبرونا هل وجدتم هذه الضلالة وقبيح هذه المقالة عند أحد من المتقدمين سوى قائدكم إلى الجحيم الناكب بكم عن الصراط المستقيم الذي لم يُعرَف له فضيلة في علم شرعي ولا دين مرضي سوى علم الكلام المذموم المشؤوم الذي الخير فيه معدوم نشأ في الاعتزال إلى أربعين عاما يناظر عليه ويدعو الناس إليه ثم أثمر ذلك مقالته هذه التي يرد بها على الله سبحانه وعلى نبيه ﷺ وخالف به المسلمين والجِنة والناس أجمعين فكيف رضيتم به إماما عوضا عن رسول الله ﷺ؟ وكيف قدمتم قوله على قول الله سبحانه؟ وكيف خالفتم إجماع المسلمين بمجرد قوله بلا حجة سوى مجرد تقليده والمصير إلى قوله؟

وما عوض لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الأمين

فلسان حالكم يقول: إن الحق ضاع عن رب العالمين ورسوله الصادق الأمين والصحابة والتابعين والجنة والناس أجمعين حتى وجده قائدكم إلى الجحيم فدعاكم إليه ونبهكم فأجبتم مقاله ورضيتم حاله وقبلتم مُحاله ونسبتم من لم يوافقكم على هذه الضلالة إلى الضلالة ورميتموه بالجهالة اهـ من «رسالة في القرآن وكلام الله» 54 ـ 58.

(1) وهو القائل:

الأشعرية ضلال زنادقة إخوان مَن عبَد العزى مع اللات

بربهم كفروا جهرا وقولهمُ إذا تدبرته أسوا المقالات

ينفون ما أثبتوا عودا لبدئهمُ عقائد القوم من أوهى المحالات

فإنه (**نعم المتبع**) رحمه الله تعالى كما صرح بذلك في الإبانة حيث قال: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عَزَّوَجَلَّ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم اهـ[1].

و(**لا**) أذكر في هذا النظم (**ما يقول**)ه من مسائل الاعتقاد (**من**) اسم موصول بمعنى الذي انتسب (**لذا**) أي الإمام أحمد رحمه الله تعالى (**أو**) لـ (**ذا**) أي الأشعري (**انتمى**) أي انتسب (**زعما**) منه (**و**) الحال أنه (**لم يسر**) هذا الزاعم (**على ما رسما**) لنفسه من سلوك نهج الإمام أحمد أو الأشعري، والألف في: (رسما) للإطلاق. (**الله**) قال ابن دريد: فأما اشتقاق اسم الله عَزَّوَجَلَّ فقد أقدم قوم على تفسيره ولا أحب أن أقول فيه شيئًا[2]. (**حق**)، قال ابن الملقن: الحق هو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، ومعناه المحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده وتحقق فهو حق ومنه قوله تعالى: (الحاقة)، أي: الكائنة حقًا، بغير شك، وهذا الوصف للرب جل جلاله بالحقيقة والخصوصية لا ينبغي لغيره، إذ وجوده لنفسه، فلم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم، وما عداه مما يقال عليه ذلك فهو بخلافه، وقال ابن التين:

---

(1) الإبانة عن أصول الديانة، ص: 49.

(2) الاشتقاق، ص: 11.

(أنت الحق)، يحتمل أن يريد أنه اسم من أسمائه، ويحتمل أن يريد أنه الحق ممن يدعي المشركون أنه إله من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾[لقمان: 30]، وظاهر قوله في هذا: الحق، يعود إلى الصدق، ويتعلق تسميته إلها بمعنى أن من سماه إلها قال الحق، من سمى غيره: إلها كذب اهـ[1].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحج: 62]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾[لقمان: 30].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ـ عند آية الحج ـ : أي: الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه، ذليل لديه اهـ.

وقوله: (أول) يشير إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحديد: 3].

وقوله ﷺ: «**أنت الأول فليس قبلك شيء**»[2].

قوله: (كان ولم يكن سواه)، إشارة إلى حديث: «كان الله ولم يكن شيء غيره...»[3].

(1) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: 18 ـ 19/ 9.

(2) أخرجه مسلم: (2713).

(3) هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة ونحن ذاكرون منها ما يسر الله الوقوف عليه فقد أخرجه البخاري: (7418) عن عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ بلفظ: «**كان الله ولم يكن شيء قبله ...**». =

....

= وابن منده في التوحيد: (8) من طريق أبي حمزة السكري عن الأعمش به.
وابن حبان: (6142) والبيهقي: 186/ 13 من طريق عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش به.
والجُورْقاني في الأباطيل والمناكير: (58) من طريق محمد بن يوسف عن سفيان بن سعيد عن جامع بن شداد به.
ولا أرى هذه الرواية محفوظة، فقد رواه أحمد (19822) عن وكيع وابن مهدي عن سفيان عن جامع به. وعن عبد الرزاق عن سفيان به. (19886).
ورواه البخاري: (3190) عن محمد بن كثير عن سفيان وكذا عن أبي نعيم الفضل بن دكين عنه: (4365) وعن عمرو بن علي عن أبي عاصم عنه وليس في رواياتهم: (كان الله ولم ...).
والترمذي (3951) عن بندار عن ابن مهدي به.
وابن حبان (7292) عن الحسين بن عبد الله القطان، عن نوح بن حبيب، عن مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان به.
ولعل سفيان الثوري اختصر الحديث فقد كان فعولا لذلك فقد رواه الأعمش مطولا. والفريابي له أخطاء على الثوري كما هو معروف، على أنه قد اختلف عليه فرواه إبراهيم بن معاوية بن ذكوان القيسراني عنه بلفظ: (كان الله عَزَّوَجَلَّ ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء). أخرجه ابن منده (كما في مجلس من أمالي ابن منده رواية ابنه عبد الرحمن: 26) عن الحسن بن مروان عنه.
وأخرجه الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في التوحيد: (10) عن يحيى بن ثابت بن بندار عن أبيه عن البرقاني عن الإسماعيلي عن القاسم (هو: ابن زكريا بن يحيى البغدادي أبو بكر المقرئ المطرز) عن يوسف (هو: ابن موسى بن راشد بن بلال القطان أبو يعقوب الكوفي) وحمدان بن علي (هو: محمد بن علي بن عبد الله بن مهران أبو جعفر الوراق يعرف بحمدان) عن عبيد الله بن موسى عن شيبان به بلفظ: (كان الله ولا شيء قبله).
وأحمد: 107 ـ 108/ 33 عن أبي معاوية عن الأعمش به بلفظ: (كان الله قبل كل شيء).
والبيهقي في الأسماء والصفات: 563/ 1 من طريق الإسماعيلي عن القاسم بن زكريا عن أبي كريب ويعقوب والمخرمي عن أبي معاوية به.
وعبد الغني المقدسي في التوحيد (9) من طريق الإسماعيلي عن حامد بن شعيب عن سريج عن أبي معاوية به.
والفريابي في القدر: (83) عن يعقوب بن إبراهيم عن أبي معاوية به.
والطحاوي في المشكل: 299/ 14 عن محمد بن سليمان بن هشام عن أبي معاوية به. =

....

= والطحاوي في المشكل: 299/ 14 عن محمد بن سليمان بن هشام عن أبي معاوية به.
وأبو الشيخ في العظمة: 571 ـ 572/ 2 عن محمد بن العباس عن أبي كريب عن أبي معاوية به، وزاد: (كان الله عَزَّوَجَلَّ على العرش وكان قبل كل شيء ...).
وأبو نعيم في الحلية: 216/ 2 من طريق أحمد به.
وأخرجه البخاري: (3191) عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش به بلفظ: (ولم يكن شيء غيره).
والبيهقي في السنن: 186 ـ 187/ 13 وفي الأسماء والصفات: 37/ 1 من طريق عمر بن حفص به.
وابن أبي عاصم في "الأوائل": (156) من طريق محمد بن عبيد عن الأعمش به.
والدارمي في الرد على الجهمية: (40) عن محبوب بن موسى الأنطاكي عن أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش به.
والطحاوي في المشكل: 300 ـ 301/ 14 عن جعفر بن محمد الفريابي ـ وهذا في القدر: (82) ـ عن أبي مروان عبد الملك بن حبيب عن أبي إسحاق به، لكن في كتاب القدر: «كان الله عَزَّوَجَلَّ ولم يكن شيء وكان عرشه ...».
وأبو نعيم: 259 ـ 260/ 8 من طريق معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق به.
والبيهقي في الأسماء والصفات:234 ـ 235/ 2 من طريق معاوية به.
وقال ابن منده في التوحيد: (7) أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن جامع بن شداد المحاربي به.
قلت: لا أعلم لأحمد بن يوسف رواية عن ابن عيينة ولا لابن عيينة عن جامع بن شداد والظاهر أن هذا التخليط من بعض النساخ، والحديث معروف بسفيان الثوري لا بابن عيينة، وقد رواه الجوْرْقاني (58) عن عبد العزيز بن إبراهيم بن الحسين الأهوازي عن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده عن أبيه عن محمد بن الحسين بن الحسن عن أحمد بن يوسف السلمي عن محمد بن يوسف عن سفيان بن سعيد به.
ورواه ابن منده ـ أيضًا ـ (كما في مجلس من أمالي ابن منده رواية ابنه عبد الرحمن: 26) فقال: أخبرنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل (هو الصفار) حدثنا محمد بن علي الوراق (هو محمد بن علي بن عبد الله بن مهران أبو جعفر الوراق يعرف بحمدان) ثنا عبيد الله بن موسى ثنا شيبان عن الأعمش عن جامع بن شداد ح وحدثنا الحسن بن مروان ثنا إبراهيم بن معاوية (ابن ذكوان القيسراني) ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا سفيان عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين أن قومًا أتوا النبي ﷺ فسألوه عن بدء الأمر فقال: كان الله عَزَّوَجَلَّ ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء اهـ. =

....

= وأخرجه النسائي في الكبرى 149 ـ 150/ 11 عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن عبد الرحمن عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن ابن حصيب بلفظ: (كان الله ولا شيء غيره).
وأخرجه الحاكم (206/ 4 ـ التأصيل) و: (341/ 2 ـ الهندية): عن أبي عمرو عثمان بن أحمد الدقاق عن محمد بن عبيد الله بن أبي داود المنادي عن روح بن عبادة عن المسعودي عن أبي صخرة جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن بريدة الأسلمي مرفوعا به. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وأبو الشيخ في كتاب العظمة 574 ـ 575/ 2 عن: الوليد بن أبان بن بونة عن يحيى بن أبي طالب عن يزيد بن هارون عن المسعودي عن جامع بن شداد عن ابن بريدة الأسلمي عن أبيه عن النبي ﷺ به.
وأخرجه ـ أيضًا ـ 577 ـ 578/ 2 عن: إبراهيم بن السندي بن علي عن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ عن أبيه عن المسعودي عن جامع عن رجل عن بريدة عن النبي ﷺ به.
قال عبد الله بن أحمد في العلل (6024): وجدت في كتاب أبي بخط يده. قال: حدثنا أبو عبد الرحمن قال: سمعت المسعودي، إما سنة ثمان، وإما سبع، وأربعين، ولا أعلم أني رأيته بعد سنة ثنتين وخمسين.
وأخرجه الطبري في تفسيره 4/ 12 (17982) عن خلاد بن أسلم عن النضر بن شميل عن المسعودي عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن ابن حصين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ به.
وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد 884/ 2 عن: محمد بن معمر بن ربعي، وأبي غسان مالك بن سعد القيسيين عن روح، عن المسعودي، عن أبي صخرة جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن بريدة بن حصيب به.
وأخرجه الطحاوي في المشكل 301 ـ 302/ 14 عن بكار بن قتيبة عن أبي داود الطيالسي عن المسعودي عن جامع بن شداد عن بريدة بن الحصيب به، وقال الطحاوي: هكذا وجدته في كتابي عن بكار.
وأخرجه أيضًا عن إبراهيم بن مرزوق عن عثمان بن عمر بن فارس عن المسعودي عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن ابن حصيب به.
قلتُ: الظاهر أن هذا من تخاليط عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي.
تنبيهان:
الأول: ذكر الحافظ أبو الحجاج المِزي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تحفة الأشراف» 389 ـ 390/ 7 رواية النسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن عبد الرحمن المسعودي عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين.
قلتُ: فجعله من مسند عمران لا بريدة بن حصيب، قال المعلق على طبعة دار التأصيل للسنن الكبرى 149/ 11: كذا في (د) وكتب فوقها: (صح كذا) وكتب في الحاشية: «صوابه: حصين» وكذلك أودعه المزي في التحفة في مسند عمران بن حصين اهـ. =

....

= قلتُ: قال الحافظ أبو نعيم في الحلية 259/ 8 : ورواه المسعودي من حديث بريدة عن النبي ﷺ وتفرد به اهـ.
وقال الطحاوي في المشكل 302/ 14: فاختلف الأعمش في الذي رجع إليه هذا الحديث من أصحاب رسول الله ﷺ فذكر الأعمش أنه عمران بن الحصين وذكر المسعودي أنه بريدة بن الحصيب وكان الصحيح عندنا ما قاله الأعمش فيه ودل على ذلك أن الثوري قد رواه عن جامع بن شداد فوافق الأعمش فيه وخالف المسعودي وإن كان قد قصر عن بعض متنه مما في روايتهما اهـ.
الثاني: قال السيوطي في الدر المنثور 18/ 8: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه عن بريدة قال: دخل قوم على رسول الله ﷺ... قلت: وذكر الحديث، وفي كلامه نظر، فإن ابن جرير وابن حبان إنما أخرجاه من حديث عمران بن حصين، الطبريُّ من رواية المسعودي.
وأخرجه أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب «العرش وما روي فيه»: (1) ـ وعنه الطبراني في الكبير: 203 ـ 204/ 18 ـ عن أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش به.
وأخرجه الطبراني: 204 ـ 205/ 18 عن محمد بن النضر الأزدي عن معاوية بن عمرو بلفظ: «كان الله تعالى لم يك شيء غيره».
وأخرجه الفريابي في القدر: (84) عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سليمان الأعمش بلفظ: «كان الله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له».
وأخرجه ابن حبان (6140) عن عمر بن محمد الهمداني عن محمد بن أشكاب عن محمد بن أبي عبيدة بن معن عن أبيه عن الأعمش عن جامع عن صفوان عن عمران بلفظ: «كان الله وليس شيء غيره».
وأخرج ابن شاهين في «الصحابة» ـ كما في أسد الغابة 286/ 5 والإصابة: 321/ 5 ـ من طريق زكريا بن يحيى الحميريّ، عن إياس بن عمرو الحميريّ أن نافع بن زيد الحميريّ قدم وافدًا على رسول اللَّه ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقّه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر، قال: **«كان اللَّه ليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثمّ خلق القلم، فقال: اكتب ما هو كائن، ثمّ خلق السموات والأرض وما فيهنّ واستوى على عرشه»**.
قال الذهبي في العلو 818/ 1: «رواه ابن شاهين في كتاب الصحابة بإسناد واه».
وقال ابن حجر: فيه عدة مجاهيل.
قلتُ: وحاصل ما تقدم أن هذا الحديث رواه الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران واختلف عليه فرواه حفص بن غياث وأبو عبيدة بن معن ومحمد بن عبيد وأبو إسحاق الفزاري وشيبان. من رواية إسماعيل الصفار عن حمدان الوراق عن عبيد الله بن موسى عنه. وأبو بكر بن عياش عنه بلفظ: (غير). =

= ورواه أبو حمزة السكري وأبو معاوية وشيبان ـ من رواية محمد بن عثمان بن كرامة عن عبيد الله عنه إن صح ويوسف بن موسى القطان وسعيد بن مسعود بن عبد الرحمن المروزي عن عبيد الله وحمدانُ الوراق من رواية القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي عنه عن عبيد الله عنه ـ بلفظ: (قبله).

ورواه أبو عوانة عن الأعمش بلفظ: «كان الله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له».

والظاهر أن هذا الاختلاف من الأعمش، فقد قال الإمام أحمد: في حديث الأعمش اضطراب كثير. (ميزان الاعتدال 2/224)، وقيل لأحمد: إذا اختلف منصور والأعمش عن إبراهيم فبقول من تأخذ؟ قال: بقول منصور فإنه أقل سقطًا. (المعرفة والتاريخ 13/ 3).

ورواه سفيان الثوري عن جامع بن شداد واختلف عليه، فقال إبراهيم بن معاوية بن ذكوان القيسراني عن الفريابي عن الثوري عنه بلفظ: (غيره).

ورواه أحمد بن يوسف السلمي عن الفريابي عنه بلفظ: (قبله).

ورواه وكيع وابن مهدي ومحمد بن كثير وأبو نعيم وأبو عاصم وعبد الرزاق ومؤمل بن إسماعيل فلم يذكروا: «قبله» ولا: «غيره».

تنبيهات:

الأول: قال الحافظ في الفتح 289/ 6: ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور: "كان الله لا شيء غيره" بغير واو اهـ

قلت: لفظه ـ كما نقله الحافظ نفسه في الإصابة 321/ 5 ـ : «كان الله ليس شيء غيره». لكن نقله ابن الأثير في أسد الغابة 286/ 5 بلفظ: «كان الله ولا شيء غيره»، ونقله الذهبي في العلو للعلي العظيم 818/ 1 بلفظ: «كان الله وليس شيء غيره».

الثاني: قال ـ أيضًا ـ في الفتح 289/ 6: وفي رواية غير البخاري: «ولم يكن شيء معه» اهـ قلت: بعد البحث والتقصي لم أقف على هذه الرواية، وقد وهم من عزاها للصحيحين كابن كثير في تفسيره 469/ 3، أو عزاها للبخاري كابن تيمية ـ كما في مجموع الفتاوي 18/216 ـ، والذهبي ـ كما في العرش 182 ـ 183/ 2 ـ وابن رجب ـ كما في تفسيره 548/ 1 ـ والألباني ـ كما في موسوعة الألباني في العقيدة 157/ 6، 651/ 7 ـ والله أعلم.

الثالث: قال ابن حجر في الفتح 410/ 13: قوله: «كان الله ولم يكن شيء قبله» تقدم في بدء الخلق بلفظ: «ولم يكن شيء غيره»، وفي رواية أبي معاوية: «كان الله قبل كل شيء» وهو بمعنى: «كان الله ولا شيء معه» وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق لا العكس والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق اهـ. =

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية رواية: «...قبله»[1]، وهو ترجيح وجيه.

قال رحمه الله: قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» وقد روي: «معه» وروي: «غيره» والألفاظ الثلاثة في البخاري[2]، والمجلس كان واحدًا وسؤالهم وجوابه كان في ذلك المجلس وعمران الذي روى الحديث لم يقم منه حين انقضى المجلس؛ بل قام لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس وهو المخبر بلفظ الرسول فدل على أنه إنما قال أحد الألفاظ والآخران رويا بالمعنى. وحينئذ فالذي ثبت عنه لفظ «القبل»؛ فإنه قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

= وفيه أمور:

الأول: قوله: إن «كان الله قبل كل شيء» بمعنى: «كان الله ولا شيء معه» ليس بصحيح، بل الفرق بين العبارتين ظاهر، فالأولى تقتضي وجود الله قبل كل موجود بينما تقتضي الثانية أنه كان ولا شيء معه موجود فأين هذا من ذلك؟

الأمر الثاني: أنه لا يوجد في روايات الحديث: «ولا شيء معه» كما تقدم وإذا كان ذلك كذلك فليس بأيدينا إلا رواية: «كان الله قبل كل شيء» وهذه لا تنفي حوادث لا أول لها. أو رواية: «ولم يكن شيء غيره» وهذه محتملة لقول مثبتي حوادث لا أول لها ولقول نافيها فيسقط الاستدلال بها، ولئن سُلم دلالتها على النفي فقد عارضتها رواية: «كان الله قبل كل شيء» وكلاهما في الصحيح ومدار الروايتين على الأعمش فلا يمكن القطع بإضافة إحداهما إلى رسول الله ﷺ إلا بدليل وقد وجدنا لرواية «كان الله قبل كل شيء» نظيرًا في نصوص الوحي كقوله ﷺ: **«وأنت الأول فليس قبلك شيء»** ولم نجد للفظ الآخر نظيرًا فرجحنا رواية: «كان الله قبل كل شيء».

الأمر الثالث: قوله: «وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية» ظاهره أنه لا يجزم بثبوت ذلك عن ابن تيمية، لكن لا يستقيم هذا مع قوله: «ووقفت في كلام له ...» فهو صريح في وقوفه على كلام ابن تيمية فلعل الحافظ ابنَ حجر رحمه الله تعالى لم يفهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

الأمر الرابع: الظاهر أن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لم يقف على كلام الرازي في الأربعين وفي المطالب العالية في تقرير «حوادث لا أول لها» وسننقل كلامه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(1) مجموع الفتاوي: 216/ 18.

(2) لم أقف عليها ـ يعني رواية «معه» ـ لا في البخاري ولا في غيره كما ذكرت قبل قليل.

أنه كان يقول في دعائه: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» وهذا موافق ومفسر لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [سورة الحديد: 3].

وإذا ثبت في هذا الحديث لفظ القبل فقد ثبت أن الرسول ﷺ قاله، واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما أبدًا وكان أكثر أهل الحديث إنما يروونه بلفظ القبل: «كان الله ولا شيء قبله» مثل الحميدي[1]، والبغوي[2]، وابن الأثير[3] وغيرهم، وإذا كان إنما قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله» لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق[4].

وقال أيضًا: فيعارِضون ذلك بعلمنا بأن كل حركة لها آخر، وكل حادث له آخر، وليس لكل الحركات والحوادث آخر، وأن كل عدد له نهاية، وليس للأعداد نهاية، وأن كل واحدة من الأخوات يباح التزوج بها، وليس الجمع بين الأخوات مباحا، وكل واحد من أفراد العشرة واحد، وهو ثلث الثلاثة، وربع الأربعة، وليست العشرة ثلث الثلاثة، ولا ربع الأربعة، وأن كل واحد من أجزاء المركب هو مفرد بشرط المركب، ليس مفردًا بسيطًا، وأن كل واحد من أجزاء الدائرة جزء دائرة، والدائرة ليست جزء دائرة، وأن كل واحد من أجزاء المطر قطرة، وليس المجموع قطرة، فإنه يفرق بين ما له مجموع يمكن أن يوصف بما وصفت به الأفراد، وبين ما ليس له مجموع يمكن وصفه بذلك.

(1) الجمع بين الصحيحين: 458 ـ 459/ 1.

(2) مصابيح السنة: 16 ـ 17/ 4.

(3) جامع الأصول: 11/ 3

(4) مجموع الفتاوي: 216/ 18.

ولا ريب أنا إذا عرضنا على عقولنا أن كل حركة مسبوقة بأخرى لزم أن يكون لكل حركة أول ولا يلزم أن يكون لجنس الحركات أول كما إذا عرضنا على عقولنا أن كل حركة ملحوقة بأخرى.

وأما إذا عرضنا على عقولنا أن كل زنجي فهو أسود، فإنا نعلم بالضرورة أن مجموع الزنج سود، وذلك لأن المجموع غير كل واحد واحد من الأفراد.

فتارة يمكن وصفه بصفات الأفراد، كما نقول عن الحوادث المحدودة الطرفين: إن مجموعها حادث، كما أن كل واحد منها حادث.

وتارة لا يمكن وصفه بذلك اللفظ، بل بصيغة الجمع، فإن مجموع السودان لا يقال فيه بنفس اللفظ: أسود، ولا يقال، غير أسود، بل يقال: سود، وسود صيغة جمع، فهي بمعنى قولنا: كل زنجي أسود.

وإذا لم يكن الحكم على المجموع هو بلفظه الحكم على الأفراد، كان نظير مثال الزنج.

وأما إذا اتحد الحكم فقد يكون حكم المجموع فيه حكم الأفراد، وقد لا يكون.

فالأول إذا قلنا: كل محدث فهو مخلوق أو فهو ممكن، أو: كل ممكن فهو مفتقر إلى غير ممكن، فإن ذلك يوجب أن يكون مجموع المحدث مخلوقًا وممكنًا، ومجموع الممكن مفتقرًا إلى غير ممكن، لأن هذا الحكم ثابت للجنس من حيث هو هو، فيلزم ثبوته حيث تحقق الجنس، والجنس يتحقق في المجموع، كتحققه في كل فرد فرد.

فطبيعة المحدَث تستلزم كونه مخلوقًا ممكنًا، وطبيعة الممكن إذا وجد تستلزم الافتقار إلى غير ممكن، والطبيعة لازمة للمجموع، فيستحيل وجود الطبيعة منفكة عن لازمها، فلا يكون مجموع الممكنات إلا مفتقرًا إلى غيره، كما لا يكون كل فرد

منها إلا مفتقرًا إلى غيره، ولا يكون مجموع المخلوقات إلا حادثة وممكنة، كما لا يكون كل منها إلا حادثًا ممكنًا كذلك في المعنى. لكن من المجموع ما يكون اللفظ يتناول جنسه، كما يتناول الواحد منه، كلفظ: المخلوق والمحدث والممكن، ومنه ما يكون لفظ الكثير فيه صيغة جمع لا يستعمل في الواحد منه.

والزنج ليس لهم مجموع يحكم عليه بأنه أسود أو ليس بأسود، بل يقال: مجموعهم سود وذلك معنى قولك: كل واحد منهم أسود، ولكنه الأسود يتصف به المجموع من حيث هو مجموع، كما يتصف به كل واحد واحد.

بخلاف اتصاف المجموع بكونه محدثًا وممكنًا ومفتقرًا إلى غيره، فإن هذا الوصف يمكن ثبوته للمجموع من حيث هو مجموع، كما يثبت لكل فرد من أفراده.

والحوادث إذا حكم على مجموعها بأن له أولا أو ليس له أول، فهو حكم على الجنس المجموع، فإن علم أن الجنس الحادث لا يكون دائمًا متصلًا، بل لا يكون إلا بعد عدم، كما علم أن كل فرد فرد من أفراده كذلك، كان هذا نظير المحدث والممكن، لكن النزاع في هذا، فإنا إذا عرضنا على العقل المحدث عن عدم من حيث هو، مع قطع النظر عن أفراده ومجموعه: هل يكون مخلوقًا ممكنًا؟ جزم العقل بأن ما كان مخلوقًا محدثًا، فإن كونه محدثًا، يستلزم كونه ممكنًا، إذ لو لم يكن كذلك لزم كونه واجبًا فلا يعدم، أو ممتنعًا فلا يوجد.

والمحدث كان معدومًا وصار موجودًا، فطبيعته تنافي الوجوب والامتناع، لا فرق في ذلك بين الواحد والجنس.

وإذا عرضنا على العقل الحادثَ، مع قطع النظر عن أفراده وجنسه: هل يستلزم أن يكون منتهيًا منقطعًا له ابتداء، أو لا يستلزم ذلك، بل يمكن دوامه؟ لم تجد في العقل ما يقضي بأن جنس الحادث يجب أن يكون منتهيًا له ابتداء.

وهذا الباب من تدبره تبين له الفرق بين تسلسل المؤثرات الفاعلات أنه ممتنع، وبين تسلسل الآثار: أثرًا بعد أثر، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع، والمقصود الفرق بين الزنجي وبين الحادث.

ومما يوضح ذلك أنا إذا قلنا: كل زنجي أسود، لم يكن في الزنج ما ليس بأسود، لأن هذا النفي يناقض ذلك الإثبات، وصدق أحد المتناقضين اللذين لا يرتفعان يوجب كذب الآخر، فإنا إذا قلنا: بعض الزنج ليس بأسود، كان مناقضًا لقولنا: كل زنجي أسود، فإذا لم يكن في الزنج ما ليس بأسود، لزم أن يكون جميعهم سودًا، وأما إذا قلنا: كل حادث فله أول فإنه يلزم أن لا يكون في الحوادث ما ليس له أول، وهكذا عكس نقيضه، فيمتنع أن يكون حادث ليس له أول وهل يلزم من ذلك أن تكون جميع الحوادث لها أول كما لزم أن يكون جميع الزنج سودا؟ هذا محل نزاع.

فيقال: الفرق معلوم بين قولنا: جميع الحوادث لها أول، بمعنى: أن كل واحد منها له أول، وبين قولنا: إن جنس الحوادث لها أول، بمعنى: أن الحوادث منقطعة غير دائمة ولا مستمرة، ولا متسلسلة، فإن العقل يتصور أن كل واحد له أول وآخر، وهي مع ذلك دائمة مستمرة، فيمكنه الحكم بأن كل حادث له أول، كما أن كل زنجي أسود.

وهو بعد ذلك لم يعلم: هل هي دائمة أم هي منقطعة؟

بل العلم بكون الحادث له أول، هو العلم بأنه مسبوق بعدم، وليس العلم بأن كل حادث هو مسبوق بعدم، هو العلم بأنه كان العدم مستمرًا دائمًا، حتى حدث جنس الحوادث، بل يمكن العقل أن يتصور أنه ما من حادث إلا وقبله حادث،

كما يتصور أنه ما من حادث إلا وبعده حادث، وما من عدد إلا وبعده عدد. وهو يعلم أن كل حادث فله أول، وكل منقض فله آخر، وكل عدد فله حد ومنتهى، وإن لم يكن لجنس العدد حد ومنتهى.

ومما يبين ذلك الفرق: أن كون الشخص أسود وأبيض صفة قائمة به في حال وجوده، فلا يمكن انتفاؤها عن الجنس الموجود، مع قولنا: إن كلا منهم أسود.

وأما أن كون الشيء حادثًا، أو مسبوقًا بعدم، أو موجودًا بعد أن لم يكن، أو له أول، فهو بمنزله كونه ماضيًا وملحوقًا بعدم، ومعدومًا بعد ما كان.

وهذا يقتضي أن كلا من هذه الأمور ثابت لكل واحد من الحادث والمنقضي.

أما كون جنس المنقضي انقطع، فلا يكون بعده منقض، أو كون جنس الحوادث منقطعًا، فلم يكن قبل الحوادث المعينة شيء حادث، هذا نوع آخر.

والحكم على كل فرد فرد، غير الحكم على المجموع، من حيث هو مجموع في النفي والإثبات، ففي النفي نفرق بين قوله: لا تأكل هذا ولا هذا، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن، إذ الأول نهى عن كل منهما، والثاني نهى عن جميعهما.

وكذلك إذا قال: ما ضربت لا هذا ولا هذا، أو لم أضربهما، وعنى نفي ضربهما جميعا ـ إلى أن قال ـ : والمقصود أن الأمور التي يتصف بها كل واحد من الأفراد ثلاثة أنواع:

أحدها: ما لا يمكن تصوره في المجموع، فلا يقال: هو ثابت ولا منتف.

والثاني: ما يمكن تصوره في المجموع، وهذا قد يكون ثابتًا كثبوت الافتقار إلى الفاعل في مجموع الممكنات والحادثات، وثبوت الحل في كل من الأجنبيات منفردة، وفي جمع أربع.

وقد لا يكون ثابتًا كثبوت النهاية في أفراد الحوادث المنقضية لا في مجموعها، وثبوت الحل في كل من الأختين لا في مجموعهما.

والفرق بين هذا وهذا أن الحكم الذي ثبت للأفراد، إن كان للمعنى الذي يوجد في المجموع ثبت له، وإن لم يكن لذلك المعنى لم يلزم ثبوته له، فكون المحدث ممكنًا أو مفتقرًا إلى الفاعل ثبت لحقيقة الحدوث، وهذا ثابت للأفراد والمجموع.

وكذلك افتقار الممكن إلى ما ليس بممكن ثبت لحقيقة الإمكان، فإن حقيقة الممكن هو الذي لا يوجد إلا بغيره لا بنفسه، وهذه الحقيقة لا تفرق بين الأفراد وبين المجموع.

وأما كون الحادث له أول، أو الماضي له انتهاء، فهذا يعلم في كل حادث حادث، وماض ماض. وأما كون هذا الجنس كذلك، فالطبيعة تلزم كل واحد واحد، وليس في الخارج مجموع ثابت للحوادث والماضيات، حتى يقال: هل يحكم لذلك المجموع بحكم أفراده أم لا؟ فإن أفراده موجودة على التعاقب، وإذا قدر حوادث متعاقبة، لم يكن في العلم بهذا ما يوجب أن لا تكون دائمة، لكن إذا قدر اجتماع حوادث في آن واحد، أو كانت محدودة قيل: إن هذا المجموع له ابتداء، وإذا قدر اجتماع أمور منقضية أو محدودة الآخر قيل: لها انتهاء.

وأما ما لا يمكن اجتماعه لا من هذا ولا من هذا، فليس وجوده مجتمعًا في الخارج، وإنما يجتمع أفراده في الذهن لا في الخارج.

يبين ذلك أن ما لا يوجد إلا متعاقبًا متتاليًا، إذا قيل: إن كل واحد من أفراده يعقب فردا آخر، لم يعلم من ذلك أنه كله يعقب شيئًا آخر، إذ لم يحكم على جنسه بأنه يعقب غير جنسه، وإنما حكمنا على أفراد الجنس بالتعاقب.

وكذلك إذا قلنا: كل واحد من أفراده سبقه عدم، لم يحكم على الجنس بأنه سبقه عدم، كما حكمنا هناك على جنس المحدث بافتقاره إلى الفاعل، وعلى جنس الممكن بافتقاره إلى ما ليس بممكن، أو إلى الفاعل أو الواجب ونحو ذلك[1].

وقال أيضًا: وصار أصل الأصول عندكم الذي بنيتم عليه إثباتكم للصانع ولصفاته ولرسله، وبه كفرتم أو ضللتم من نازعكم من أهل القبلة، أتباع السلف والأئمة، ومن غير أهل القبلة هو قولكم: إذا كان كل واحد من الحوادث له أول، استحال ألا يكون لمجموعها أول، لأنها ليست سوى آحادها.

والعقلاء يفرقون بصريح عقولهم بين الحكم والخبر والوصف لكل واحد واحد، وبين الحكم والخبر والوصف للمجموع في مواضع كثيرة.

وأنتم تقولون بإثبات الجوهر الفرد، فكل واحد من أجزاء الجسم جوهر فرد عندكم، وليس الجسم جوهرًا فردًا، بل المجموع من أفراد، وقد ثبت للمجموع من الأحكام ما لا يثبت للفرد، وبالعكس فمجموع الإنسان إنسان، وليس كل عضو منه إنسان.

وكذلك كل من الشمس والقمر، والشجر والثمر، وغير ذلك من الأجسام المجتمعة، لها حكم ووصف لا يثبت لأجزائها.

والإنسان حي سميع بصير متكلم، وليس كل واحد من أبعاضه كذلك، فلم يجب إذا كان النوع والمجموع دائمًا باقيًا، أن يكون كل من أفراده دائمًا[2].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل: 139 ـ 147/ 9.

(2) درء تعارض العقل والنقل: 150 ـ 151/ 9.

وقال **أيضًا**: لكن قولكم: إن المحرك لا يجوز أن يحرك شيئًا حتى تكون الحركة ممتنعة عليه أولًا، ثم تصير ممكنة من غير تجدد شيء، فتنقلب من الامتناع إلى الإمكان من غير حدوث سبب أصلًا، ولا يجوز أن يحدث شيئًا حتى يحدثه بلا سبب حادث أصلًا.

هذا هو الذي ينازعكم فيه جمهور المسلمين وغيرهم، ويقولون لكم: لم يزل الله قادرًا على الفعل، والقدرةُ عليه مع امتناع المقدور جمع بين النقيضين، فإن القدرة على الشيء تستلزم إمكانه، فكل ما هو مقدور للرب تعالى فلا بد أن يكون ممكنًا لا ممتنعًا.

ويقولون: إذا قلتم: لم يكن قادرًا على الفعل ثم صار قادرًا، لأن الفعل لم يكن ممكنًا ثم صار ممكنًا، فما الموجب لهذا التجدد والتغير؟

فإن قلتم: حدث ذلك بلا سبب، كان هذا أعجب من قولكم الأول، إذ كان القادر يصير قادرًا بعد أن لم يكن، من غير تجدد شيء أوجب قدرته.

وإن قلتم ما ذكره أبو الحسين: المعقول من الفاعل هو المحصل للشيء عن عدم، فيمتنع وجوده في الأزل.

قيل لكم: إن الفاعل لا يكون فاعلًا حتى يحصل الشيء عن عدمه، فلا يكون الفعل نفسه أو المفعول نفسه قديمًا.

لكن لم قلتم: إنه يشترط في الفعل المعين عدم غيره؟ ولم قلتم: إنه لا يكون فاعلًا لهذه السموات والأرض، حتى لا يكون قبل ذلك فاعلًا أصلًا ولا يكون فاعلًا حتى يكون جنس الفعل منه معدومًا بل ممتنعًا؟ فهذا غير واجب في المعقول، بل المعقول يعقل أنه حصَّل الشيء عن عدم.

وإن كان قبل تحصيله حصل غيره عن عدم، وهم قد يقولون: كان في الأزل قادرًا على الفعل فيما لم يزل، وهذا كلام متناقض، فإنه في حال كونه قادرًا لم يكن الفعل ممكنًا له عندهم.

فحقيقة قولهم: كان قادرًا حين لم يكن قادرًا، فإن القادر إنما يكون قادرًا على ما يمكنه دون ما لا يمكنه، فإذا كان الفعل في الأزل وهو الفعل الدائم، أي الذي يدوم جنسه غير ممكن له لم يكن مقدورًا له، فلا يكون قادرًا عليه.

وهذا مما أنكره المسلمون على هؤلاء المتكلمين، وكان هذا من أسباب لعنة بعضهم على المنابر.

ويقال لهم: مقصودكم الأول نصر الإسلام والرد على مخالفيه، وليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا عن أحد من السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان، هذا القول الذي أحدثتموه وجعلتموه أصل دين المسلمين، ليس فيه أن الرب لم يزل لا يفعل شيئًا، ولا يتكلم بشيء، ولا يمكنه ذلك، ثم إنه بعد تقدير أزمنة لا نهاية لها فعل وتكلم وأنه صار متمكنًا من الفعل والكلام بعد أن لم يكن متمكنًا، بل القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين يناقض ما ذكرتموه، فكان ما ابتدعتموه من الكلام الذي ادعيتم أنه أصل الدين مخالفًا للسمع والعقل، ثم إنه صار من تقلدكم ينقل عن المسلمين واليهود والنصارى أن هذا قولهم.

ولا يعرف هذا القول عن أحد من الأنبياء ولا أصحابهم، بل المعروف عنهم يناقض ذلك، ولكن الثابت عند الأنبياء أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، خلاف قول الفلاسفة الذين يقولون: إن الأفلاك، أو العقول، أو النفوس أو شيئًا غير ذلك مما سوى الله، قديم أزلي، لم يزل ولا يزال.

ويقال: قول القائل: الفاعل هو المحصل للشيء عن عدم، أتريد به الفاعل للشيء المشار إليه أنه لا يكون فاعلًا له إلا إذا حصله عن عدم؟ أم تريد به أنه لا يكون الفاعل في نفسه فاعلًا لشيء حتى تكون فاعليته ممتنعة، ثم صارت ممكنة؟ أما الأول فمسلم، والثاني ممنوع، وسبب ذلك الفرق بين الفعل ونوعه، فإذا لم يعقل فاعل لمعنى إلا بعد عدمه، لم يلزم ألا يعقل كون الفاعل فاعلًا إلا بعد أن لم يكن فاعلًا، بل العقل لا يعقل حدوث فاعلية بلا سبب[1].

وقال أيضًا: وذلك أنه إذا كان المؤثر التام أزليًّا لزم من دوامه دوام آثاره فيلزم أن لا يحدث شيء وهو خلاف الحس[2].

وقال أيضًا: قيل: الحركات الدائمة الأزلية لا يتعين فيها شيء دون شيء بل لم تزل ولا تزال أفرادها متعاقبة فيمتنع أن يكون علة تامة لواحد منها دون الآخر في الأزل مع أنه ليس فيها شيء أزلي بعينه ويمتنع أن يكون علة تامة لجميعها في الأزل لامتناع وجودها في الأزل[3].

وقال أيضًا: وإذا قيل: ذاته تحدث شيئًا بعد شيء فإنه لا يمكن إحداث المحدثات جميعًا قيل: فهذا ينقض قولكم لأن من أحدث شيئًا بعد شيء لم يكن موجبا بذاته في الأزل لشيء بل يكون كلما صدر عنه حادث وإن كانت أفعاله دائمة شيئًا بعد شيء فليس فيها واحد قديم وكذلك مفعولاته بطريق الأولى فإن المفعول تابع للفعل فلا يكون في أفعاله ولا مفعولاته شيء قديم وإن كانت دائمة

---

(1) درء تعارض العقل والنقل: 156 ـ 158/ 9.

(2) الصفدية: 37/ 1.

(3) الصفدية: 78 ـ 79/ 1.

لم تزل فإن دوام النوع وقدمه ليس مستلزمًا قدم شيء من الأعيان بل ذلك مناقض لقدم شيء منها إذ لو كان فيها واحد قديم لكان ذلك الفعل المعين هو القديم ولم تكن الأفعال المتوالية هي القديمة والشيء الذي من شأنه أن يكون متواليًا متعاقبًا كالحركة والصوت يمتنع قدم شيء من أجزائه ودوام شيء من أجزائه وبقاء شيء من أجزائه وإن قيل إنه دائم قديم باق أي نوعه هو الموصوف بذلك وأيضًا فقولهم باطل على تقدير النقيضين فيلزم بطلانه في نفس الأمر وذلك أنه إما أن يمكن دوام الحوادث وهو قولهم بوجود حوادث لا أول لها وإما أن لا يمكن فإن لم يمكن كما يقوله كثير من أهل الكلام لزم أن يكون لجنس الحوادث أول ولزم أن ما لا يخلو عن الحوادث أن يكون حادثًا فيلزم حدوث العالم وإن أمكن دوام الحوادث أمكن أن يكون هذا العالم الذي خلقه الله في ستة أيام مسبوقًا بحوادث قبله فلا يجوز القول بقدمه، وأيضًا فإذا أمكن دوام الحوادث لزم دوام إحداث المحدث لها وأن يكون محدثًا لها شيئًا بعد شيء[1].

وقال **أيضًا**: وعلى هذا التقدير فإذا قيل لم يزل الله موصوفًا بصفات الكمال حيًّا متكلمًا إذا شاء فعالًا أفعالًا تقوم به أو مفعولات محدثة شيئًا بعد شيء أعطي هذا الدليل موجبه ولم يلزم من دوام النوع دوام كل واحد من أعيانه وأشخاصه ولا دوام شيء منها كما تقوله أنت في حركات الفلك والحوادث الأرضية فإنك تقول نوع الحوادث دائم باق لا أول له فليس فيها شيء بعينه قديم فهي كلها محدثة وإن كانت الأحداث لم تزل وإذا قلت مثل هذا في فعل الواجب كنت قد وفيت بموجب هذا الدليل ولم تخالف شيئًا من أدلة العقل ولا الشرع.

---

(1) الصفدية: 281 ـ 282/ 1.

الوجه الثاني: أن يقال لو كان مؤثريته في شيء معين من لوازم ذاته دون غيره من الموجودات لم يكن التأثير في غيره من لوازم ذاته فيلزم أن يكون من التأثير ما ليس من لوازم ذاته في الأزل فكان من التأثير ما هو حادث ليس بقديم وحينئذ فإن كان ذلك بدون أن تقوم بذاته أمور متعاقبة أمكن أن يقال ذلك في جميع العالم فلا يكون شيء منه قديمًا وإن كان لا بد من قيام أمور متعاقبة أمكن أن يكون كل ما صدر عنه حادثًا بعد أن لم يكن بهذا السبب من غير قدم شيء من العالم.

الوجه الثالث: أن كون الفاعل فاعلًا لشيء مع كونه قديمًا بقدمه جمع بين النقيضين كما ذكره المتكلمون وأما كون الموجب لكونه فاعلًا ذاته ولوازم ذاته فذلك لا يقتضي أن يكون فاعلًا لشيء معين كما لا يقتضي أن يكون فاعلًا لكل شيء وأما إن أريد مؤثريته في كل شيء فيقال محال أن يكون اللازم دوام مؤثريته التامة وأثره كله فإن هذا لو كان حقًا لم يحدث شيء في هذا العالم فحدوث الحوادث دليل على أنه لا يلزمه آثاره كلها وليست المؤثرية التامة المستلزمة الآثار ثابتة في الأزل بل تحدث عنه الأثار فيكون مؤثرًا في هذا الحادث ثم في هذا الحادث وقد تقدم أنه لو لزم دوام الآثار لم يكن في العالم تغير أصلًا وإن قلت بل اللازم دوام مطلق التأثير.

فيقال: ليس في هذا ما يقتضي قدم شيء من العالم بل كونه فاعلًا للشيء يقتضي كون المفعول له مسبوقًا بالعدم ودوام كونه فاعلًا لا يناقض ذلك وحينئذ فليس مع الفلسفي ما يوجب قدم شيء من العالم.

وأما قول المتكلم: لما وجب في الفعل أن يكون مسبوقًا بالعدم لزم أن يقال أنه أوجد بعد أن لم يكن موجدًا فيقال له أوجب في كل مفعول معين وكل فعل

معين أن يكون مسبوقًا بالعدم أم أوجب في نوع الفعل فإن قلت بالأول فلا منافاة بين أن يكون كل من الأفعال والمفعولات مسبوقة بالعدم مع دوام نوع المؤثرية والأثر وإذن ما دل عليه دليل العقل لا يناقض ما دل عليه ذلك الدليل الآخر العقلي ومن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين النوع والعين تبين له فصل الخطأ من الصواب في مسألة الأفعال ومسألة الكلام والخطاب.

واعلم أن أولي الألباب هم سلف الأمة وأئمتها المتبعون لما جاء به الكتاب بخلاف المختلفين في الكتاب المخالفين للكتاب الذين قيل فيهم: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة: 176] وحينئذ فالرب تعالى أوجد كل حادث بعد أن لم يكن موجدًا له وكل ما سواه فهو حادث بعد أن لم يكن حادث ولا يلزم من ذلك أن يكون نفس كماله الذي يستحقه متجددًا بل لم يزل عالمًا قادرًا مالكًا غفورًا متكلمًا كما شاء كما نطق بهذه الألفاظ ونحوها الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف.

فإن قال إن نوع الفعل يجب أن يكون مسبوقًا بالعدم قيل له: من أين لك هذا وليس في الكتاب والسنة ما يدل عليه ولا في المعقول ما يرشد إليه وهذا يستلزم أن يصير الرب قادرًا على نوع الفعل بعد أن لم يكن قادرًا عليه فإنه إن لم يزل قادرًا أمكن وجود المقدور فإن كان المقدور ممتنعًا ثم صار ممكنًا صار الرب قادرًا بعد أن لم يكن وانتقل الفعل من الامتناع إلى الإمكان من غير حدوث شيء ولا تجدده فإن الأزل ليس هو شيئًا معينًا بل هو عبارة عن عدم الأولية كما أن الأبد عبارة عن عدم الآخرية فما من وقت يقدر إلا والأزل قبله لا إلى غاية[1].

(1) الصفدية: 63 ـ 65/ 1.

وقال **أيضًا**: وأما إذا قيل لا يكون الحادث المعين حتى يكون حادث ثم ذلك الحادث لا يكون حتى يكون حادث فهذا على وجهين إن قيل لا يكون الحادث حتى يكون قبله حادث فهذا التسلسل في الآثار وفيه الأقوال الثلاثة للمسلمين وليس الخلاف في ذلك بين أهل الملل وغيرهم كما يظنه كثير من الناس بل نفس أهل الملل بل أئمة أهل الملل أهل السنة والحديث يجوزون هذا النزاع في كلمات الله وأفعاله فيقولون إن الرب لم يزل متكلمًا إذا شاء وكلمات الله دائمة قديمة النوع عندهم لم تزل ولا تزال أزلًا وأبدًا وقد بسط هذا وما يناسبه في موضع آخر وذكر بعض ما في ذلك من أقوال أئمة السنة والحديث وأما ما يذكره كثير من أهل الكلام عن أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن الله لم يزل معطلًا لا يتكلم ولا يفعل شيئًا ثم حدث ما حدث من كلام ومفعولات بغير سبب حادث فهذا قول لم ينطق به شيء من كتب الله لا القرآن ولا التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا نقل هذا عن أحد من أنبياء الله ولا قاله أحد من الصحابة أصحاب نبينا ﷺ ولا التابعين لهم بإحسان ولكن الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء فما سوى الله من الأفلاك والملائكة وغير ذلك مخلوق ومحدث كائن بعد أن لم يكن مسبوق بعدم نفسه وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم لا أفلاك ولا ملائكة سواء سميت عقولًا ونفوسًا أو لم تسم والحديث الذي في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه لما قدم عليه وفد اليمن قالوا: جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر فقال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض**» قد ذكرنا ألفاظه وطرقه وذكرنا الحديث الآخر الذي رواه

مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**» والحديث الآخر الذي رواه مسلم أيضًا في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر**» وذكرنا أن حديث عمران رواه البخاري في ثلاثة مواضع بثلاثة ألفاظ: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**»، ورواه في موضع: «**ولم يكن شيء معه**»[1]، ورواه في موضع آخر: «**ولم يكن شيء غيره**» وأن المجلس كان واحدًا لم يقل النبي ﷺ إلا واحدًا من الثلاث وقد ثبت أنه قال: «**ليس قبلك شيء**» واللفظان الآخران رويا بالمعنى وبينا على كل تقدير أن مراد النبي ﷺ جواب أهل اليمن عما سألوه من ابتداء خلق هذا العالم الذي خلق في ستة أيام وكان عرش الله على الماء قبل ذلك وقدر الله مقادير هذا العالم قبل أن يخلقه بخمسين ألف سنة والمقصود هنا أنه إذا قيل لا يكون حادث حتى يكون حادث فهذا على وجهين أحدهما أنه لا يكون حادث حتى يكون قبله حادث فهذا فيه نزاع مشهور والثاني: إِن يقال أنه لا يكون حادث حتى يكون معه حادث لامتناع حدوث الحادث بلا سبب حادث لأن الفاعل لا يفعل بعد أن لم يكن فاعلًا إلا لحدوث سبب حادث فهذا يوجب أن القديم لا يصدر عنه حادث ألبتة لأنه متى حدث حادث بلا سبب حادث انتقضت القضية الكلية فيلزم أن لا يفعل ألبتة شيئًا وإن فعل لزم ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح وهذه الحجة أعيت كثيرًا من

(1) لم نقف عليها لا في البخاري ولا في غيره.

أهل الكلام والنظر حتى قال كثير منهم: القادر يرجح أحد طرفي مقدوره بلا مرجح وكذلك قال الآخرون: نفس الإرادة القديمة هي المرجحة لأحد المثلين على الآخر.

ونحن ننبه على ما به يعلم فساد قولهم والجواب عن حجتهم وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضعه فيقال إذا كان الصانع قديمًا موجبًا بالذات وعلته تامة أزلية لزم ألا يتأخر عنه شيء من موجَبه ومعلوله كما ذكروا لأن المتأخر إن كان قد وجدت علته التامة في الأزل لزم أن يكون أزليًّا لا يتأخر وإن لم يوجد فقد وجدت علته التامة بعد أن لم تكن سواء كان الحادث شرطًا من شروط تمام العلة أو غير ذلك ثم القول في علة تلك العلة كالقول في العلة التي هي معلول هذه فيلزم ألا يكون لشيء من الحوادث علة تامة في الأزل وهذا لازم لقولهم لا محيد عنه فإن العلة التامة تستلزم معلولها فالحادث لا تكون علته تامة في الأزل فيلزم على ذلك ألا يكون شيء من الحوادث حادثًا عن العلة التامة التي هي واجب الوجود وحينئذ فإما أن تكون الحوادث حادثة بنفسها وهذا معلوم الفساد بالضرورة وهم يسلمون فساده وإما أن تكون حادثة عن فاعل آخر غير الواجب الموجود بنفسه فله فاعل ثم ذلك الفاعل إن لم يكن واجب الوجود بنفسه فله فاعل والقول في حدوث الحوادث عنه كالقول في الأول وإن كان واجب الوجود بنفسه كان القول فيه كالقول في ذلك الواجب إن كان علة تامة لزم ألا يحدث عنه حادث وإن لم يكن علة تامة بطل قولهم بالموجب بالذات فتبين فساد قولهم على كل تقدير(1).

---

(1) الصفدية: 13 ـ 18/ 1.

وقال أيضًا: جواز حوادث لا أول لها بناء على أن التسلسل الممتنع إنما هو في المؤثرات لا في الآثار والشروط وهذه مسألة نظرية لا تناقض أصول الإسلام[1].

وقال أيضًا: غايته أنه يلزم قيام الأفعال المتعاقبة بالواجب نفسه وهذا قول أئمة أهل الحديث وجمهورهم وطوائف من أهل الكلام وقول أساطين الفلاسفة القدماء فهو قول أئمة أهل الملل وأئمة الفلاسفة ففي الجملة هذا فيه نزاع بين أهل الملل فيمكن مع القول به موافقة الأنبياء[2].

وقال أيضًا: فتبين أن العلة التامة الأزلية لا يصدر عنها لا حادث معين ولا نوع الحوادث وإن قيل هي علة تامة للنوع قيل النوع لا يوجد إلا متعاقبًا فيكون تمامها متعاقبًا لا أزليًّا وذلك إنما يكون بما يقوم بها شيئًا بعد شيء فأما أن يكون تمامها لمفعولها من غير فعل يقوم بها فهو ممتنع[3].

وقال أيضًا: ولهذا كان المانعون من هذا إنما منعوا منه لاعتقادهم امتناع الفعل في الأزل إما لامتناع حوادث لا أول لها عندهم أو لأن الفعل ينافي الأزلية أو لغير ذلك وعلى كل تقدير فإنه يمتنع قدم شيء بعينه من العالم وكذلك إذا قدر أن الفعل دائم فإنه دائم باختياره وقدرته فلا يكون الفعل الثاني إلا بعد الأول وليس هو موجبًا بذاته في الأزل لشيء من الأفعال ولا من الأفعال ما هو قديم أزلي.

والأفعال نوعان لازمة ومتعدية فالفعل اللازم لا يقتضي مفعولا والفعل المتعدي يقتضي مفعولًا فإن لم يكن الدائم إلا الأفعال اللازمة وأما المتعدية فكانت بعد أن لم

---

(1) الصفدية: 34/ 1.

(2) الصفدية: 37/ 1.

(3) الصفدية: 77/ 1.

تكن لم يلزم وجود ثبوت شيء من المفعولات في الأزل وإن قدر أن الدائم هو الفعل المتعدي أيضًا والمستلزم لمفعول فإذا كان الفعل يحدث شيئًا بعد شيء فالمفعول المشروط به أولًا[1] بالحدوث شيئًا بعد شيء لأن وجود المشروط بدون الشرط محال فثبت أنه على كل تقدير لا يلزم أن يقارنه في الأزل لا فعل معين ولا مفعول معين فلا يكون في العالم شيء يقارنه في الأزل وإن قدر أنه لم يزل فاعلًا سبحانه وتعالى فهذه الطريقة قرر فيها ثبوت القديم المحدث للحوادث وحدوث كل ما سواه من غير احتياج إلى طريقة الوجوب والإمكان ولا إلى طريقة الجواهر والأعراض.

ويمكن تقدير[2] هذا على طريقة الوجوب بأن يقال: قد ثبت أن الوجود ينقسم إلى واجب بنفسه وممكن والذي لا ريب في إمكانه هو الحوادث فإنا نعلم وجودها بعد العدم فلزم إمكان وجودها وعدمها بخلاف ما لم يعلم إلا وجوده فإنا نحتاج أن يعلم إمكانه بطريق آخر[3].

وقال أيضًا: وليس الأزل وقتًا محدودًا بل هو عبارة عن الدوام الماضي الذي لا ابتداء له الذي لم يسبق بعدم الذي ما زال[4].

وقال أيضًا: ولفظ القديم والأزلي فيه إجمال فقد يراد بالقديم الشيء المعين الذي ما زال موجودًا ليس لوجوده أول ويراد بالقديم الشيء الذي يكون شيئًا بعد شيء فنوعه المتوالي قديم وليس شيء منه بعينه قديمًا ولا مجموعه قديم ولكن

---

(1) كذا في طبعة الدكتور محمد رشاد سالم، وطبعة أضواء السلف، ص: 319، وعندي أن الصواب: «فالمفعول المشروط به أولى بالحدوث ...» والله أعلم.

(2) كذا في طبعة الدكتور محمد رشاد سالم، وطبعة أضواء السلف، ص: 319، ويترجح عندي أن الصواب: «ويمكن تقرير هذا ...».

(3) الصفدية: 2/ 23.

(4) الصفدية: 1/ 283.

هو في نفسه قديم بهذا الاعتبار فالتأثير الدائم الذي يكون شيئًا بعد شيء وهو من لوازم ذاته هو قديم النوع وليس شيء من أعيانه قديمًا فليس شيء من أعيان الآثار قديمًا لا الفلك ولا غيره ولا ما يسمى عقولًا ولا نفوسًا ولا غير ذلك فليس هو في وقت معين من الأوقات مؤثرًا في حادث بعد حادث ولكنه دائمًا مؤثر في حادث بعد حادث كما أنه ليس هو في وقت بعينه مؤثرًا في مجموع الحوادث بل هو مؤثر شيئًا بعد شيء وهو مؤثر في حادث بعد حادث وقتًا بعد وقت فإذا كان المفعول مستلزمًا للحوادث لم يفعل إلا والحوادث مفعوله معه وهي وإن كانت مفعولة فيه شيئًا بعد شيء فالمحدث لها شيئًا بعد شيء إن أحدث مقارنها في وقت بعينه لزم أن يكون محدثًا من جملتها وهو المطلوب.

وإن قيل: هو مقارن له قديم معه بحيث يوجد معه كل وقت. قيل: فهذا لا يمكن إلا إذا كان علة موجبة له لا محدثًا له، ولا بد أن يكون علة تامة فيكون في الأزل مؤثرًا تام التأثير مستجمعًا لشروط التأثير لشيء معين وإذا كان مؤثرًا قديمًا دائمًا لشيء معين كانت لوازم ذلك المعين معه لا يمكن تأخر شيء منها عنه لامتناع وجود الملزوم بدون اللازم فيلزم وجود الحوادث كلها في الأزل.

فإذا قيل: هي تلزم العالم شيئًا بعد شيء. قيل: فيجب أن يكون محدثها يحدثها شيئًا بعد شيء فلا يكون التأثير المعين فيها ولا في شيء منها ولا في واحد بعد واحد أزليًّا فإن ما يوجد شيئًا بعد شيء لم يكن أزليًّا إلا باعتبار النوع كما تقدم وإنما يكون الأزلي نوع التأثير والكلام إنما هو في شيء معين من العالم فلا يكون شيء معين من العالم أزليًّا[1].

---

(1) الصفدية: 47 ـ 48/ 2.

وقال أيضًا: والفرق ثابت بين فعل الحوادث في الأزل وبين كونه لا يزال يفعل الحوادث فإن الأول يقتضي أن فعلًا قديمًا معه فعل به الحوادث من غير تجدد شيء والثاني يقتضي أنه لم يزل يفعلها شيئًا بعد شيء فهذا يقتضي قدم نوع الفعل ودوامه وذاك يقتضي قدم فعل معين وقد تبين أنه يمتنع قدم فعل معين للحوادث فيمتنع فعل الحوادث بدون ملازمها فثبت امتناع فعل الملازم لها في القدم وذلك أن التلازم من الطرفين فإن التقدير أن كل شيء من العالم فإنه مقارن للحوادث ملازم لها يلزم من وجود شيء من العالم وجود حادث معه ويلزم من وجود شيء من حوادث العالم وجود شيء آخر معه ولو كان الملزوم من أحد الطرفين لكفى فإن المقصود أن يكون كل شيء من العالم لا يسبق الحوادث المعلوم حدوثها بل يكون معها أو بعدها فإذا كان كل شيء من العالم مستلزمًا للحوادث كفى ذلك فإن ذلك الجزء من العالم لو كان قديمًا لكان قديمًا بفعل قديم معين له وللحوادث معه فإن وجوده بدون وجود الحوادث ممتنع وفعل قديم للحوادث ممتنع ففعل قديم ملزومها ممتنع فقدم ملزومها ممتنع وهو المطلوب.

وإذا أخذت التلازم من الطرفين قلت: فعل الحوادث بفعل قديم ممتنع وفعلها بدون ملازمها المقارن لها ممتنع فيلزم إذا فعلت أن تفعل مع ملزومها وذلك لا يكون إلا بفعل قديم وهو ممتنع.

وهذا بين كيفما قلبته فإنك إذا فرضت الملزوم يفعل بفعل قديم وفعلت هي أيضًا بفعل قديم آخر لزم قدم الفعلين جميعًا لامتناع انفكاك أحدهما عن الآخر فإنه كما تلازم المفعولان تلازم الفعلان وإذا كان أحد المتلازمين يمتنع قدمه

فالآخر أيضًا يمتنع قدمه لأنه لو لم يمتنع قدمه للزم إما وجودهما وهو ممتنع أو وجود أحد المتلازمين دون الآخر وهو ممتنع.

فقد تبين أن مع القول بجواز حوادث لا أول لها بل مع القول بوجوب ذلك يمتنع قدم العالم أو شيء من العالم وظهر الفرق بين دوام الواجب بنفسه القديم الذي لا يحتاج إلى شيء وبين دوام فعله أو مفعوله وقدم ذلك فإن الأول سبحانه هو قديم بنفسه واجب غني وأما فعله فهو شيء بعد شيء.

فإذا قيل: هو قديم النوع وأعيانها حادثة لزم حدوث كل ما سواه وامتناع قدم شيء معه وأنه يمتنع أن يكون شيء من مفعولاته قديما إذ كل مفعول فهو مستلزم للحوادث والإلزام حدوث الحوادث بلا سبب وترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح لأنه لا يكون قديمًا إلا بفعل قديم العين لا قديم النوع وفعل قديم العين للحادث ممتنع ولملازم الحادث ممتنع وفعلان قديمان مقترنان أحدهما للحادث والآخر لملازم الحادث ممتنع فتبين امتناع قدم فعل شيء من العالم على كل تقدير لأن وجود المفعول بدون الفعل المشروط فيه ممتنع.

وقد عرف أيضًا أن وجود العالم منفكًا عن الحوادث ثم إحداث الحوادث فيه أيضًا ممتنع فثبت امتناع قدمه على كل تقدير.

ويمكن تقدير حدوث كل العالم بالنظر إلى نفس الفاعل المؤثر فيه مع قطع النظر عن العالم خلاف ما يزعمه ابن الخطيب وطائفة أن القائلين بالقدم نظروا إلى المؤثر والقائلين بالحدوث نظروا إلى الأثر.

وذلك أن يقال: قد ثبت أنه موصوف بصفات الكمال وأن الكمال الممكن الوجود لازم له واجب له وأنه مستلزم لذلك.

وحينئذ فيقال: الفاعل الذي يمكنه أن يفعل شيئًا بعد شيء ويحدث الحوادث أكمل ممن لا يمكنه الإحداث بل لا يكون مفعوله إلا مقارنًا له بل يقال هذا في الحقيقة ليس مفعولًا له إذ ما كان لازمًا للشيء لا يتجدد فهو من باب صفاته اللازمة له لا من باب أفعاله فإن ما لزم الشيء ولم يحدث ويتجدد لم يكن حاصلًا بقدرته واختياره بل كان من لوازم ذاته وما كان من لوازم ذاته لا يتجدد ولا يحدث كان داخلًا في مسمى ذاته كصفاته اللازمة له فلم يكن ذلك من أفعاله ولا من مفعولاته.

وإذا كان كذلك فتقدير واجب بنفسه أو قديم أو قيوم أو غني لا يفعل شيئًا ولا يحدثه ولا يقدر على ذلك تقدير مسلوب لصفات الكمال وكون الفعل ممكنًا شيئًا بعد شيء أمر ممكن في الوجود كما هو موجود للمخلوقات فثبت أنه كمال ممكن ولا نقص فيه لا سيما وهم يسلمون أن الجود صفة كمال فواجب لا يفعل ولا يجود ولا يحدث شيئًا أنقص ممن يفعل ويجود ويحدث شيئًا بعد شيء وإذا كان كمالًا لا نقص فيه وهو ممكن الوجود لزم أن يكون ثابتًا لواجب الوجود وأن يكون ثابتًا للقديم وأن يكون ثابتًا للغني عما سواه وأن يكون ثابتًا للقيوم.

وإذا كان كذلك فمن كانت هذه صفته امتنع وجود المفعول معه لأنه لو وجد معه للزم سلب الكمال وهو الإحداث شيئًا بعد شيء والفعل الدائم للمفعولات شيئًا بعد شيء وإذا كان نفس الكمال الذي يستحقه لذاته يوجب أن يفعل شيئًا بعد شيء ويمتنع أن يقارنه شيء من المفعولات فيكون لازمًا له ثبت حدوث كل ما سواه وهو المطلوب[1].

---

(1) الصفدية: 49 ـ 53/ 2.

وقال أيضًا: وهؤلاء القائلون بقدم العالم اشتبه عليهم نوع التأثير بعين التأثير فلما رأوا أن الذات تستلزم كونه مؤثرًا لامتناع حدوث ذلك لم يميزوا بين النوع والعين فظنوا أن هذا يقتضي قدم الأفلاك أو غيرها من أعيان العالم.

وهذا خطأ قطعًا فإن الذات تستلزم نوع التأثير لا عينه فإذا قدر أنها لم تزل فاعلة لشيء بعد شيء لم يكن شيء من مفعولاتها قديما بل كل ما سواها حادث كائن بعد أن لم يكن وإن كان فعلها من لوازم ذاتها.

والذين قابلوا هؤلاء لما أرادوا أن يثبتوا حدوث كل ما سوى الله ظنوا أن هذا يتضمن أنه كان معطلًا غير قادر على الفعل وأن كونه محدثًا لا يصح إلا على هذا الوجه فهؤلاء أثبتوا التعطيل عن نوع الفعل وأولئك أثبتوا قدم عين الفعل وليس لهم حجة تدل على ذلك قط وإنما يدل على ما يذكرونه من الحجج على ثبوت النوع لا على ثبوت عين الفعل ولا عين المفعول ولو كان يقتضي دليلهم الصحيح قدم عين الفعل والمفعول لامتنع حدوث شيء من الحوادث وهو مخالف للمشهود.

وحينئذ فالذي هو من لوازم ذاته نوع الفعل لا فعل معين ولا مفعول معين فلا يكون في العالم شيء قديم وحينئذ لا يكون في الأزل مؤثرًا تامًا في شيء من العالم ولكن لم يزل مؤثرًا تامًا في شيء بعد شيء وكل أثر يوجد عند حصول كمال التأثير فيه والمقتضى لكمال التأثير فيه هو الذات عند حصول الشروط وارتفاع الموانع.

وهذا إنما يكون في الذات التي تقوم بها الأمور الاختيارية وتفعل بالقدرة والمشيئة بل وتتصف بما أخبرت به الرسل من أن الله يحب ويبغض ويرضى ويسخط ويكره ويفرح وغير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة فأما إذا لم يكن

إلا حال واحدة أزلًا وأبدًا وقدر أن لها معلولًا لزم أن يكون على حال واحدة أزلًا وأبدًا[1].

وقال أيضًا: ولكن النوع أزلي بمعنى وجوده شيئًا فشيئًا فيكون الفعل المشروط به موجودا شيئًا فشيئًا لامتناع وجود المشروط بدون الشرط وإذا كان ذلك الفعل يوجد شيئًا فشيئًا كان المفعول كذلك بطريق الأولى لامتناع تقدم المفعول على فعله فلا يكون فعل دائم معين فلا يكون مفعول معين دائم[2].

وقال أيضًا: وإذا لم يمكن فعله إلا مع فعل هذا وهذا لا يكون شيء منه قديمًا فالآخر كذلك ولا يمكن قدم شيء من العالم إلا بقدم فعل له معين ولزوم ذلك الفعل لذات الرب كما تلزم الصفة للموصوف.

ومن المعلوم بصريح المعقول الفرق بين صفة الموصوف وبين فعل الفاعل أما الصفة فيعقل كونها لازمة للموصوف إما عينًا كالحياة وإما نوعًا كالكلام والإرادة ويعقل كونها عارضة لكن ذلك إنما يكون في المخلوق.

وأما الفعل فلا يعقل إلا حادثًا شيئًا بعد شيء وإلا فمن لم يحدث شيئًا لا يعقل أنه فعل ولا أبدع سواء فعل بالإرادة أو قدر أنه فعل بلا إرادة ولو كان الفعل لا يحدث لم يعقل الفرق بينه وبين الصفة اللازمة إذ كلاهما معنى قائم بالذات لازم لها بعينه وما كان كذلك لم يكن فعلا لذلك الموصوف ولا يعقل كون الموصوف فعله[3].

---

(1) الصفدية: 96 ـ 97/ 2.

(2) الصفدية: 144/ 2.

(3) الصفدية: 146/ 2.

وقال أيضًا: فمن قال: إن الرب لم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف شاء وبما شاء كان الكلام عنده صفة ذات قائم بذات الله وهو يتكلم بفعله وفعله بمشيئته وقدرته فمقدار ذلك إذا قيل بقدمه كان وفاء بموجب الحجة المقتضية لقدم نوع ذلك من غير أن يكون شيء من العالم قديم مع الله تعالى ولا يحتاج مع ذلك أن يقال لإمكان الفعل بداية ولا أن يجمع بين النقيضين في التقدير فيقال إذا قيل الفعل أو الحادث بشرط كونه مسبوقًا بالعدم لا أول لإمكانه فإن هذا التقدير جمع بين النقيضين كما في تقدير كونه لم يزل قادرًا مع امتناع دوام المقدور.

فإذا قيل لم يزل الرب قادرًا وقيل مع ذلك لم يكن الفعل ممكنًا ثم صار ممكنًا وأنه يمتنع أن يكون الفعل لم يزل مقدورًا كان حقيقة الكلام لم يزل قادرًا مع كونه كان غير قادر ثم صار قادرًا فإن إثبات القادرية مع امتناع المقدور جمع بين المتناقضين وكذلك هذا وذلك أن الفعل بشرط كونه مسبوقًا بالعدم يجب أن يكون له أول فكل ما سبق بالعدم فله أول إذ العدم قبله وما لا أول له ليس قبله شيء بل هو دائم لم يزل.

فإذا قيل: الفعل بشرط كونه مسبوقًا بالعدم لا أول لإمكانه كان المعنى أن الفعل بشرط كونه له أول لا أول له ونظير هذا التناقض فرقهم بين أزلية الصحة وصحة الأزلية وربما قالوا بين إمكان الأزلية وأزلية الإمكان وهو فرق لا حقيقة له فإنه إذا كان الإمكان الذي هو الصحة أزليًّا فمعنى ذلك أنه لم يزل الفعل ممكنًا صحيحًا.

هذا هو المراد بأزلية الإمكان والصحة ومعلوم أن هذا يتضمن إمكان أزلية الفعل وصحة ذلك فإنه إما أن يكون الثابت في نفس الأمر أزلية الفعل أو امتناعها فإن كان الثابت هو الامتناع كان الفعل ممتنعًا في الأزل فلم يكن ممكنًا وحينئذ فلا

يكون الإمكان أزليًّا بل حادثًا بعد أن لم يكن وهذا قول بأن إمكان الفعل ليس بأزلي بل حادث بعد أن لم يكن من غير مسبب يوجب حدوثه وهو خلاف قولهم بأزلية الإمكان.

ثم إنه ممتنع بصريح العقل فإنه إذا كان إمكان الفعل له بذاته وهو حادث بعد أن لم يكن كان هذا ممتنعًا لوجهين أحدهما أنه يلزم حصول الإمكان بعد الامتناع من غير سبب أوجب كونه قادرًا وهو سلب لصفة الكمال للرب في الأزل ودعوى حدوثها بعد أن لم تكن من غير سبب أوجب ذلك وكلاهما ممتنع فإن كماله من لوازم ذاته وكونه قادرًا من لوازم ذاته إذ لو لم يكن من لوازم ذاته لكان عارضًا لهذا وكان مفتقرًا في ثبوت كونه قادرًا إلى غيره ثم ذلك الغير إن كان مفعوله فإنه يستلزم الدور القبلي فإنه لا يكون فاعلًا للمفعول إلا إذا كان قادرًا فلو استفاد كونه قادرًا من المفعول والمفعول لا يكون قادرًا على الإقدار إلا بإقداره لزم أن لا يكون هذا قادرًا حتى يجعله الآخر قادرًا فلا يكون واحد منهما قادرًا.

وأيضًا فكون المفعول هو الذي يجعل الفاعل قادرًا أو فاعلًا معلوم فساده بصريح العقل فإن كل ما للمفعول هو من الفاعل لا من نفسه فلو لم يكن الفاعل قادرًا إلا بإقدار المفعول له لم يكن قادرًا بحال بل ولا كان مفعول أصلًا فضلًا عن كونه قادرًا فضلًا عن كونه مقدورًا لفاعله[1].

وقال **أيضًا**: ومن أعرض عن نصوص الأنبياء وادعى عقليات تخالفها وليس معه معقول صريح ولا قياس صحيح كان كلامه خارجًا عن العقل والسمع كما قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: 10].

(1) الصفدية: 167 ـ 169/ 2.

وهذا الموضع من أحكمه انكشف له حجاب هذا الباب فإن نفس كون الفاعل فاعلًا يقتضي حدوث الفعل إما نوعًا وإما عينًا وأما فعل ليس بحادث لا نوعه ولا عينه بل هو لازم لذات الفاعل فليس هو فعل أصلًا.

ولهذا كان نفس علم الخلق بأن الشيء مخلوق يوجب علمهم بأنه مسبوق بالعدم إذ لا يعقل مخلوق مقارن لخالقه لازم له لم يزل معه.

ولهذا كان كلام الله الذي بعث به رسله موافقًا لما فطر الله عليه الخلائق والذي فطر عليه العباد أنه إذا قيل: هذا فعل هذا أو صنعه أو خلقه أو أبدعه أو نحو هذه العبارات لم يعقل منه إلا أنه أحدثه بعد أن لم يكن وهذه المقدمة بينة بنفسها لا يحتاج إلى إثباتها بأدلة فطرية بل تقدير نقيضها معلوم الفساد في بدائه العقول.

فإذا قيل: هذا مفعول لهذا وهو معه لم يزل مقارنا له كان هذا عند العقل جمعًا بين النقيضين وكأنه قيل هو مفعول له ليس مفعولًا له بل يقول العاقل: إذا كان الأمر كذلك لم يكن جعل أحدهما فاعلًا والآخر مفعولًا بأولى من العكس.

وإذا قيل: أحدهما ممكن يقبل الوجود والعدم والآخر واجب بنفسه لا يقبل العدم كان هذا أيضًا مما تنكره العقول بفطرتها.

فإنه إذا قيل: هذا يمكن أن يوجد ويمكن أن لا يوجد لم يعقل هذا إلا فيما كان حادثًا والإمكان يعود إلى الفاعل تارة وإلى القابل أخرى فيقال في الأول هذا يمكنه أن يكتب ويقوم ويتكلم ويقال في الثاني هذه الأرض يمكن أن يزدرع فيها وهذه المرأة يمكن أن تحمل.

وهذا القدر مما اتفق عليه الجمهور من العقلاء وهو مذهب أئمة الفلاسفة بل مذهب أئمة المشائين كأرسطو وأتباعه فإنهم لم يصفوا بالإمكان إلا ما كان حادثًا[1].

وقال **أيضًا**: وإذا قيل: إنه موجب للمعين دائمًا. قيل له: إيجاب الفاعل للمفعول المعين بمعنى مقارنته له في الزمان ممتنع كما بُيِّن في موضعه.

وإيجاب الحوادث شيئًا بعد شيء بدون قيام أمور متجددة به ممتنع أيضًا كما قد بسط في موضعه وإيجاب المعين بدون هذا الحادث وهذا الحادث محال وإيجاب هذا الحادث دائمًا وهذا الحادث دائمًا محال.

وأما إيجاب الحوادث شيئًا بعد شيء فيستلزم أن لا يكون موجبًا للحادث إلا عند حدوثه وحينئذ يستكمل شرائط الإيجاب فيلزم من ذلك تجدد الإيجاب بشيء بعد شيء فحينئذ لم يكن موجبًا لمعين إلا بإيجاب معين وما استلزم الحوادث لا يكون له إيجاب معين وأما الإيجاب الذي يتجدد شيئًا بعد شيء فيمتنع أن يكون به شيء بعينه قديمًا لأن القديم لا يكون إلا بإيجاب قديم بعينه لا يتجدد شيئًا بعد شيء.

وصار أصل التنازع في فعل الله هل هو قديم أو مخلوق أو حادث؟ من جنس أصل التنازع في كلام الله تعالى وكثير من المتنازعين في كلامه وفعله ليس عندهم إلا قديم بعينه لم يزل أو حادث النوع له ابتداء فالأول قول الفلاسفة القائلين بقدمه والثاني قول المتكلمين من الجهمية والمعتزلة[2].

---

(1) الصفدية: 149 ـ 150/ 2.

(2) الصفدية: 175/ 2.

وقال الفخر الرازي: القائلون بأنه يمتنع كون العالم قديمًا ويجب كونه محدثًا اضطربوا في إمكان وجود العالم هل له أول أم لا؟ فمنهم من قال إنه لا أول لهذا الإمكان ومنهم من قال: له أول.

أما الذاهبون إلى القول الأول فقالوا: لو كذب قولنا: لا أول لإمكان العالم لصدق نقيضه وهو أنه لا بد لذلك الإمكان من أول، وإذا كان الأمر كذلك لزم أن يقال: إن قبل ذلك الأول كان الإمكان مفقودًا كان الحاصل: إما الوجوب بالذات أو الامتناع بالذات، فإن كان الأول كان القول بالقدم لازم، وإن كان الثاني لزم أن يقال: العالم كان ممتنع الوجود لذاته ثم انقلب ممكن الوجود لذاته وهذا باطل والذي يدل عليه وجوه:

الحجة الأولى: أن كل ما كان ممتنع الوجود لعينه ولذاته امتنع أن يقبل الوجود ألبتة، لأن مقتضى الماهية لا يتبدل ولا يتغير، فإن كانت الماهية مقتضية لعدم قبول الوجود، وجب أن تكون أبدًا كذلك، وإن كانت مقتضية لقبول الوجود، وجب أن تكون أبدًا كذلك. فيثبت: أن العالم لو صدق عليه في بعض الأوقات أنه ممتنع الوجود لذاته، لصدق عليه الحكم في كل الأوقات ولما كان التالي كاذبًا، كان المقدم أيضًا كاذبًا.

فإن قيل: هذا الكلام إنما يتم إذا قلنا: الماهيات مفتقرة حالتي الوجود والعدم حتى يقال إن تلك الماهية لما اقتضت أمرًا وجب بقاء ذلك الاقتضاء أبدًا وهذا بناء على أن المعدوم شيء ونحن لا نقول به فلا يلزمنا هذا الكلام فنقول: الجواب عنه من وجوه:

الأول: أن جميع العقلاء يقولون: الجمع بين الضدين ممتنع لعينه ولذاته فلا جرم وجب بقاء هذا الامتناع أبدا وأن كون الواحد ضعف الاثنين ممتنع لذاته

فوجب بقاء هذا الامتناع أبدًا ثم إن أحدًا من العقلاء لم يقل: إن الممتنعات أشياء في العدم بل هي عدمات محضة وسلوب صرفة وليس لها ماهيات ولا أعيان فإذا عقل هذا فلم لا يعقل أيضًا هٰهنا أن نقول: لو صدق على العالم في وقت من الأوقات أنه ممتنع لعينه ولذاته لوجب أن يبقى هذا الامتناع أبدا وإن كنا لا نقول: بأن المعدوم شيء؟

والوجه الثاني: أن وصف العدم بالامتناع والإمكان إنما يوجب القول بأن المعدوم شيء لو ثبت أن الامتناع أو الإمكان وصفان وجوديان أما إذا كانا وصفين عدميين لم يلزم من إسنادهما إلى الماهية قبل وجودها كون تلك الماهية ذاتًا وعينًا بدليل أن إسناد المحمولات العدمية إلى الموضوعات العدمية غير ممتنع ألبتة أصلًا.

الوجه الثالث: هب أن هذا السؤال يتوجه هٰهنا إلا أنا نذكر ذلك الكلام في صورة لا يتوجه عليه ذلك السؤال فنقول: لا شك أن قدرة الله تعالى لها صلاحية التأثير في إيجاد العالم فهذه الصلاحية إما أن يكون لها أول وإما أن لا يكون لها أول وليس لكم إيراد ذلك السؤال هٰهنا لأن قدرة الله صفة موجودة ولا معنى لقدرته إلا تلك الصلاحية وإلا تلك الصحة فثبت أن هذا السؤال مدفوع من كل الوجوه.

الحجة الثانية: إنه لو كان العالم ممتنعًا لذاته في الوقت الأول، ثم انقلب ممكنًا لذاته في الوقت الثاني، فذلك الإمكان إما أن يحدث مع جواز أن لا يحدث، أو يحدث مع وجوب أن يحدث.

فإن كان الأول كان إمكان حدوث هذا الإمكان سابقًا على حدوث هذا الإمكان يقتضي حصول الإمكان، فقد كان الشيء ممكنًا قبل كونه ممكنًا وذلك

محال، وإن كان الثاني وهو أنه حدث مع وجوب أن يحدث، فنقول: إن هذا غير معقول، وبتقدير كونه معقولا، فإنه يقتضي نفي الصانع.

أما أنه غير معقول، فلأن الأوقات متشابهة متساوية، فإن بتقدير أن يحدث قبل ذلك الوقت بتقدير يوم واحد، لا يصير أزليًّا. وإذا كانت الأوقات متشابهة متساوية، كان القول بأنه ممتنع الحدوث قبل ذلك الوقت بتقدير يوم واحد، وواجب الحدوث في ذلك الوقت بعينه: قول خارج عن العقل.

وأما أن بتقدير صحته، فإنه يلزم نفي الصانع وذلك محال لأنه لو جاز أن يقال: إنه حدث ذلك الإمكان في ذلك الوقت بعينه، حدوثًا لا على سبيل الوجوب الذاتي، فلم لا يجوز أيضًا أن يقال: إن وجود العالم حدث في ذلك الوقت بعينه حدوثًا على سبيل الوجوب الذاتي؟ وحينئذ لا يمكن الاستدلال بحدوث المحدثات على افتقارها إلى الصانع، وذلك يوجب نفي الصانع، فثبت بهذا أن هذا القول باطل.

الحجة الثالثة: إنا توافقنا على أنه تعالى كان قادرًا على إيجاد هذا العالم قبل الوقت الذي أوجده فيه بمقدار ألف سنة، لأن بتقدير أن يتقدم حدوثه على هذا الوقت الذي حدث فيه بمقدار ألف سنة لا يصير أزليًّا، وإذا ثبت هذا فلا وقت يفرض كونه أولا لوقت حصول الإمكان، إلا وكان الإمكان حاصلا قبله بمقدار آخر متناه، وإذا كان لا وقت يشار إليه إلا وقد كان الإمكان حاصلًا قبله لزم القطع بأنه ليس لهذا الإمكان مبدأ ألبتة، فوجب القطع بأنه لا أول لهذا الإمكان وهو المطلوب.

الحجة الرابعة: إنه لو صدق في وقت من الأوقات أنه يمتنع على قدرة الله التأثير في الإحداث والتكوين، ثم صدق بعد ذلك على تلك القدرة أنه يصح منها التأثير والتكوين، فإما أن يحصل هذا التبدل لأمر، أو لا لأمر، والقسمان باطلان.

أما حصوله لا لأمر أصلًا، فهو غير معقول، وأما حصوله لأمر ما سواء كان ذلك وجودا بعد عدم، أو كان عدما بعد وجود، فحصول ذلك التبدل في ذلك الوقت بعينه، إما ان يكون واجبًا أو ممكنًا فإن كان واجبًا عاد التقسيم الأول فيه، وهو أن اختصاص ذلك التبدل بذلك الوقت المعين من غير سبب: كلام لا يقبله العقل. وإن كان ممكنًا فحينئذ يمكن حصول ذلك قبل ذلك الوقت، وبتقدير حصول ذلك التبدل قبل حصول ذلك الوقت، لزم حصول ذلك الإمكان قبل ذلك الوقت. وإذا كان كذلك فذلك الشيء كان ممكن الوجود قبل ذلك الوقت، وكنا فرضناه ممتنعًا. هذا خلف. فثبت: أن القول بإثبات أول لهذا الإمكان ولهذه الصحة: كلام لا يقبله العقل.

الحجة الخامسة: إن الذي يكون ممتنعًا لذاته، وجب أن يكون ممتنعًا أبدًا والذي يكون ممكنًا لذاته، وجب أن يكون ممكنًا أبدًا، ولو جاز التغير على هذه المعاني، فحينئذ لا يبقى للعقل أمان في الحكم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات فلعل الجمع بين الضدين وإن كان ممتنعًا، فسيجيء وقت يصير فيه واجبا لعينه، ولعل كون الأربعة زوجًا، وإن كان واجبًا لذاته، فسيجيء وقت يصير فيه ممتنعًا لعينه.

وبالجملة: فالعقل إنما يمكنه تركيب المقدمات بناء على أن ما يكون ممتنعًا لعينه، وجب أن يكون كذلك أبدًا، وما كان واجبًا لعينه، وجب أن يكون كذلك أبدًا فإن أدخلنا الطعن والتكذيب في هذه المقدمة، فحينئذ لا يبقى عند العقل مقدمة يمكنه الجزم بها، وذلك دخول في السفسطة[1].

---

(1) المطالب العالية: 35 ـ 39/ 4، ومن أجمع وأحسن ما كُتب حول موضوع: «حوادث لا أول لها» بحث بعنوان: «قدم العالم وتسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة مع بيان من أخطأ في المسألة من السابقين والمعاصرين» للباحثة: كاملة الكواري، وقد استفدت منه كثيرًا في الدلالة على مواضع كلام شيخ الإسلام في المسألة وكلام الرازي فيها فنقلت كلامهما من مواضعه فجزى الله الباحثة خيرًا.

وقال العلامة يوسف بن محمد بن مسعود السرمري رحمه الله تعالى:

أمـا حــوادثُ لا مَبْـدا لأولهـا ... فذاك من أغربِ المَحْكِي وأعجبِه
قصَّرتَ في الفهم فاقصُرْ في الكلام فما ... ذا عِشُّك ادرُجْ فما صَقْرٌ كعُنْظُبِه
لو قلتَ قال كذا ثم الجواب كذا ... لبانَ مُخْطِئُ قولٍ من مُصَوِّبِه
أجملتَ قولا فأجملتُ الجوابَ ولو ... فصلتَ فصلتُ تبيانا لأغْـرَبه
إن قلتَ كان ولا علمٌ لديه ولا ... كلامَ لا قدرةٌ أصلًا كَفَرتَ به
أو قلتَ أَحْدَثها بعدَ استحالتِها ... في حقه سُمْتَ نقضَ ما احتججتَ به
وكيف يوجِدها بعد استحالتها ... منه أيقدِرُ مَيْتٌ رفْعَ منكبِه
أو قلتَ فعلُ اختيارٍ منه ممتنعٌ ... ضاهيتَ قولَ امرِئٍ مغْوٍ بأنصُبِه
ولم يزَل بصفات الفعل متصفا ... وبالكلام بعيدا في تقرُّبِه
سبحانه لم يزل ما شاء يفعلُه ... في كل ما زمَنٍ ما مِن معقبِه
نوعُ الكلامِ كذا نوع الفعال قديـ ... ـم لا المعيَّنُ منه في ترتُّبِه
وليس يَفهَم ذو عقل مقارنةَ الـ ... مفعول معْ فاعل في نفس منصبِه
يحب يُبغِض يَرضَى ثم يغضَب ذا ... مِن وصفِه أَرْضِه بُعْدا لمغضِبِه
والخلق ليس هو المخلوقَ تحسَبه ... بل مصدر قائم بالنفس فادْرِ به
وقول كن ليس بالشيء المُكَوَّنِ والـ ... ـصغير يَعرِفُ هذا معْ تلعبه
فالمصطفى قال كان الله قبلُ ولا ... شيءٌ سواه تعالى في تحجبه

قوله: (ثم من بعد العدم أنشأ خلقه)، يعني أن الله سبحانه وتعالى (أنشأ) أي: ابتدأ خلق المخلوقات بعد أن لم تكن كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:27]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

[الملك:23]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:67]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:28].

قوله: (اختيارا) قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص:68]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل:40]، والاختيار ينافي الاضطرار، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قوله: (بقدر) قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:49]، واعلم أن مراتب القدر أربع:

الأولى: علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها وهذه المرتبة اتفق على إثباتها الرسل كلهم صلوات الله عليهم وسلامه وتابعهم على ذلك جميع الصحابة ومن تبعهم بإحسان وخالفهم مجوس الأمة، وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]، قال مجاهد: علم من إبليس المعصية وخلقه لها، وقال قتادة: كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة، وقال ابن مسعود: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ من إبليس، وقال مجاهد أيضًا: علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم.

المرتبة الثانية: كتابته للأشياء قبل كونها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾

[الأنبياء: 105-106]. فالزبور هنا: جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود، والذكر: أم الكتاب الذي عند الله، والأرض: الدنيا، وعباده الصالحون: أمة محمد ﷺ هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهي عَلَم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ فإنه أخبر بذلك بمكة وأهلُ الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الأرض فأخبرهم ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسله، والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته[1]: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء**» فهذا هو الذكر الذي كتب فيه أن الدنيا تصير لأمة محمد ﷺ، والكتب المنزلة قد أطلق عليه الزبر في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: 43-44]، أي: أرسلناهم بالآيات الواضحات[2]، والكتبُ التي فيها الهدى والنور، والذكرُ هاهنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله ﷺ وهما: التوراة والإنجيل، والذكر في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 43-44] هو: القرآن ففي هذه الآية[3] علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه.

---

(1) ليس في صحيح مسلم.

(2) قال الصنعاني: وأحد الوجوه في الآية أن المراد: فاسألوهم الآيات والأحاديث إن كنتم لا تعلمون، فالآية أمر سؤالهم (لعل الصواب: أمرت بسؤالهم) عن الآيات والأحاديث، والآية إلى هذا المعنى أقرب لأنه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر، فالأظهر: اسألوهم عن البينات والزبر التي لا تعلمونها لا تسألوهم عن آرائهم ... إلخ. إرشاد النقاد، ص: 48.

(3) يعني: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ...) الآية.

المرتبة الثالثة: وقد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيارًا أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم، والقرآنُ والسنة مملوآن بتكذيب الطائفتين فقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة: 253]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: 40]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: 112]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس: 99]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾ [هود: 118]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: 35]، وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: 13]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [محمد: 4]، وقال: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: 86]، وقال: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى: 24]، وقال: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء: 133]، وقال: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: 27]،

وقال عن نوح إنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: 33]، وقال إمام الحنفاء وأبو الأنبياء لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأنعام: 80]، وقال الذبيح له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 102]، وقال خطيب الأنبياء شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾ [الأعراف: 89]، وقال الصديق الكريم ابن الكريم ابن الكريم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: 99]، وقال حمو موسى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: 27]، وقال كليم الرحمن للخضر: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: 69]، وقال قوم موسى له: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة: 70]، وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟يْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الكهف: 23-24]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [يونس: 49].

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الأمة فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلوهم هم الخالقين لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديًا ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلمًا والكافر كافرًا والمصلي مصليًا وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك لا بجعله تعالى وقد نادى القرآن

بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض وصنف حزب الإسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهي أكثر من أن يحصيها إلا الله ولم تزل أيدي السلف وأئمة السنة في أقفيتهم ونواصيهم تحت أرجلهم إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض وبدعتهم بالسنة والسنة لا يقوم لها شيء فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين إلى أن نبغت نابغة ردوا بدعتهم ببدعة تقابلها وقابلوا باطلهم بباطل من جنسه وقالوا: العبد مجبور على أفعاله مقهور عليها لا تأثير له في وجودها ألبتة وهي واقعة بإرادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا: بل هي عين أفعال الله ولا ينسب إلى العبد إلا على المجاز والله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فعله بل هو محض فعل الله وهذا قول الجبرية وهو إن لم يكن شرا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان، وإجماعُ الرسل واتفاق الكتب الإلهية وأدلة العقول والفطر والعيان يكذب هذا القول ويرده والطائفتان في عمى عن الحق القويم والصراط المستقيم اهـ ملخصًا من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى[1].

واعلم أنه يدخل تحت المرتبة الثانية تقادير عدة:

الأول: التقدير قبل خلق السموات والأرض كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»**[2].

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص: 55 ـ 92.

(2) صحيح مسلم: (2653).

الثاني: تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «**ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة**» قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5-10]»، وفي لفظ: «**اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: 5-10]».

وعن عمران بن حصين قال: قيل يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار فقال: «**نعم**»، قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «**كل ميسر لما خلق له**» (متفق عليه).

وفي بعض طرق البخاري: «**كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له**».

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قُضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدًا وقلت: كل شيء خلْقُ الله ومُلك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال: فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من

مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «**بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: 7-8]» (رواه مسلم في صحيحه)(1).

الثالث: التقدير ـ والجنين في بطن أمه ـ وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم ليجمع خلقًا في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» (متفق عليه).

وعن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال: «**يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول: أي رب أذكر أم أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص**» (رواه مسلم).

وعن عامر بن واثلة أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره) فأتى رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال

(1) صحيح مسلم: (2650).

له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**».

وفي لفظ آخر: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول: «**إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك**» قال زهير بن معاوية: أحسبه قال: «**الذي يخلقها فيقول يا رب أذكر أم أنثى فيجعله الله ذكرًا أو أنثى ثم يقول: يا رب أسوي أم غير سوي فيجعله الله سويًا أو غير سوي ثم يقول: يا رب ما رزقه وما أجله وما خلقه ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا**».

وفي لفظ آخر: «**إن ملكًا موكلًا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئًا بإذن الله ولبضع وأربعين ليلة**» ثم ذكر نحوه وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم. اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره حديثي ابن مسعود وحذيفة وغيرهما رضي الله عنهم ـ : فاجتمعت هذه الأحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه واختلفت في وقت هذا التقدير وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السموات والأرض وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يومًا من حصول النطفة في الرحم وحديث أنس غير مؤقت وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقت فيه التقدير بأربعين يومًا وفي

لفظ بأربعين ليلة وفي لفظ: ثنتين وأربعين ليلة وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة وهو حديث تفرد به مسلم ولم يروه البخاري وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وأن الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة وأما الملك الذي ينفخ فيه فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود: ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ وصدق بعضها بعضا ودلت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب التقدير، وما يؤتى أحد إلا من غلط الفهم أو غلط في الرواية ومتى صحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق.

الرابع: التقدير ليلة القدر قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾ [الدخان: 1-5]، وهذه هي ليلة القدر قطعا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [القدر: 1]، ومن زعم أنها ليلة النصف من شعبان فقد غلط، قال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم وقال سفيان: عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

وقال ابن علية: ثنا ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسن وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان وإنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها.

وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان.

وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى.

وقال مقاتل: يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر.

وهذا هو الصحيح أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرًا فهي ليلة الحكم والتقدير.

وقالت طائفة: ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر في الناس فإن أراد صاحب هذا القول أن لها قدرًا وشرفًا مع ما يكون فيها من التقدير فقد أصاب وإن أراد أن معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط أن الله سبحانه أخبر أن فيها يفرق أي يفصل الله ويبين ويبرم كل أمر حكيم.

الخامس: التقدير اليومي قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: 29]، ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبي حمزة الثُّمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن مما خلق الله لوحًا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه

من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾[1].

---

(1) قال الحاكم في المستدرك: 474/ 2: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ثنا جدي ثنا أحمد بن حرب ثنا سفيان عن أبي حمزة به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي ـ وأحسن ـ فقال: اسم أبي حمزة ثابت وهو واه بمرة اه

قلت: شيخ الحاكم هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف أبو بكر النيسابوري الحفيد ابن بنت العباس بن حمزة العماني الفقيه الحنفي، قال أبو عبد الله الحاكم: كان محدث أصحاب الرأي في عصره كثير الرحلة والطلب لولا مجون فيه وبعض الناس يجرحه فيتوهم أنه في الرواية وليس كذلك وإنما هو لشربه المسكر اه (لسان الميزان: 240/ 7). وقال الخليلي: محمد بن عبد الله بن سليمان (كذا) ويعرف بالعمالي (كذا) حافظ عالم اه (الإرشاد، ص: 314).

وجده لأمه هو: أبو الفضل العباس بن حمزة النيسابوري. (تاريخ الإسلام: 807/ 7)، قال الخليلي: كبير عالم ثقة ... سمعت الحاكم أبا عبد الله يثني عليه ويوثقه اه (الإرشاد، ص: 314).

وأحمد بن حرب قال الذهبي: له مناكير ولم يترك. (الميزان: 89/ 1). لكنه توبع عن سفيان، فقد أخرجه الحاكم أيضا 519/ 2 قال: حدثني علي بن عيسى الحيري ثنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان به، وقال: صحيح الإسناد فإن أبا حمزة الثمالي لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط اه

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره 268/ 3 قال: أرنا ابن عيينة عن ثابت البناني (كذا في المطبوعة وهو تصحيف والصواب: الثمالي) عن سعيد بن جبير به.

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات 264/ 2 قال: أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنا أبو حامد بن بلال ثنا يحيى بن الربيع المكي ثنا سفيان به.

قلت: ولم ينفرد به ابن عيينة، فقد أخرجه ابن جرير 215/ 22 قال: حدثنا أبو كريب قال: ثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة الثمالي به.

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة 492/ 2 قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا قال: حدثنا سعيد بن يحيى حدثنا مسلم بن خالد عن يزيد أبي خالد عن أبي حمزة الثمالي به.

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1225) قال: أخبرنا محمد بن عمر بن محمد بن حميد قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الوكيل قال: ثنا عمرو بن علي قال: ثنا الحسن بن حبيب قال: ثنا أبو حمزة الثمالي به. =

= وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات 426/ 2 قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا محمد بن إسحاق نا أبو النضر هاشم بن القاسم نا أبو سعيد المؤدب عن أبي حمزة به.
قال البيهقي: هذا موقوف وأبو حمزة الثمالي ينفرد بروايته اهـ
قلت: أبو حمزة الثُّمَالي . واسمه: ثابت بن أبي صفية . قال أحمد: ضعيف الحديث ليس بشيء. (العلل ومعرفة الرجال رواية عبد الله: 4356). وقال ابن سعد: وكان ضعيفا. (الطبقات الكبرى: 345/ 6).
وقال ابن معين: ليس بشيء. (تاريخ ابن معين رواية الدوري: 1335).
وقال أبو حاتم الرازي: لين الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به. (الجرح والتعديل: 2/451)، وقال أبو زرعة الرازي: كوفي لين. (الجرح والتعديل: 451/ 2).
وقال النسائي: ليس بالقوي. (الضعفاء والمتروكون: 93).
وقال الدارقطني: متروك. (سؤالات البرقاني: 64)، وقال أيضا: ليس بقوي. (من تكلم فيه الدارقطني في كتاب السنن، ص: 37). وقال الذهبي: متفق على ضعفه. (ديوان الضعفاء، ص: 56).
قلت: لم ينفرد به أبو حمزة الثمالي ـ كما قال البيهقي . فقد تابعه: بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لوددت أن عندي رجلا من أهل القدر فوجأت رأسه قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحا ... فذكره. أخرجه الطبراني في الكبير 260/ 10 . وعنه أبو نعيم في الحلية 325/ 1 . قال: حدثنا علي ثنا أبو نعيم ثنا عبد الله بن الوليد العجلي حدثني بكير بن شهاب به.
قلت: وهذا إسناد لا بأس به، وقد تصحف «بكير بن شهاب» إلى «بكير عن ابن شهاب» في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 21/ 1.
وتابع أبا حمزة ـ أيضًا ـ عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه به . إن صح . أخرجه الطبراني 72/ 12 ـ وعنه أبو نعيم في الحلية 305/ 4 ـ قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا منجاب بن الحارث ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك به.
قال أبو نعيم: غريب من حديث سعيد وابنه عبد الملك لم نكتبه إلا من هذا الوجه اهـ
وأخرجه أبو الشيخ في العظمة 621 ـ 622/ 2 قال: حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أحمد بن البراء حدثنا عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس به بأطول.
قلت: إسناده تالف فيه: عبد المنعم بن إدريس قال علي بن المديني: عبد المنعم الذي روى عن وهب بن منبه ليس بثقة أخذ كتبا فرواها (تاريخ بغداد: 443/ 12)، وقال أحمد: عبد المنعم بن إدريس يكذب على وهب بن منبه (أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية 361/ 2، وتاريخ بغداد: 443/ 12). =

....

= وقال عبد الخالق بن منصور: سمعت يحيى بن معين وذكر عبد المنعم فقال: الكذاب الخبيث فقيل له: بم عرفته يا أبا زكريا؟ قال: حدثني شيخ صدوق أنه رآه في زمن أبي جعفر يطلب هذه الكتب من الوراقين وهو اليوم يدعيها. فقيل له: إنه يروي عن معمر؟ فقال: كذب. (تاريخ بغداد: 443/ 12). وقال أبو حفص عمرو بن علي الفلاس: متروك الحديث أخذ كتب أبيه فحدث بها عن أبيه ولم يكن سمع من أبيه شيئا. (تاريخ بغداد: 443/ 12). وقال البخاري: ذاهب الحديث (التاريخ الكبير: 138/ 6). وقال أبو زرعة الرازي: واهي الحديث. (أبو زرعة الرازي وجهوده: 360/ 2). وقال النسائي: ليس بثقة (الضعفاء والمتروكون: 387).

وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره من الثقات لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه. (المجروحين: 143/ 2). وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين: (359).

وأما أبوه إدريس بن سنان فقال ابن معين: يكتب من حديثه الرقاق. (الكامل: 235/ 2). وقال ابن عدي: ليس له كثير رواية وأحاديثه معدودة وأرجو أنه من الضعفاء الذين يكتب حديثهم. (الكامل: 2/ 236).

وقال ابن حبان: يتقى حديثه من رواية ابنه عبد المنعم عنه. (الثقات: 77/ 6)، وقال الدارقطني: متروك (الضعفاء والمتروكون: 359).

تنبيه: قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في آداب الزفاف ص: 169 ـ في صدد إعلال حديث ـ : ... ولأن في إسناد الحديث: محمد بن عبد الله الحفيد شيخ الحاكم قال الحاكم نفسه في التاريخ: كان فيه جهالة وكان حنفيا يشرب المسكر على مذهبه ولا يستره اهـ

قلت: تصحف على الشيخ قول الحاكم: «فيه مجون» إلى «فيه جهالة»، وقد سبقني للتنبيه على هذا صاحب كتاب الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم 1107/ 2.

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة 496/ 2 عن الوليد بن أبان عن عبد الله بن يونس عن محمد بن المتوكل عن سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن الضحاك عن ابن عباس به مرفوعًا.

قلت: كذا قال: «عن الضحاك»، والصواب: «عن سعيد بن جبير» كذلك قال عبد الرزاق، وأحمد بن حرب، وابن أبي عمر عن سفيان.

قلت: وما وقع من التصريح برفعه في هذه الرواية غلط مخالف لعامة الروايات.

وقال عبد الرزاق في تفسيره 315/ 2: أرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: لله لوح محفوظ مسيرة خمسمائة عام له دفتان من ياقوت أحمر والدفتان لوحان الله ينظر إليه في كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرعد:39]. =

وقال مجاهد والكلبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل: من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويعز ويذل ويفك عانيا ويشفي مريضا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويتوب على قوم ويكشف كربا ويغفر ذنبا ويضع أقواما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض وقد ذكر الطبراني في المعجم والسنة وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي عن عبد الله بن مسعود قال: (إن ربكم عَزَّوَجَلَّ ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والأرض نور وجهه وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده اثنتي[1] عشرة ساعة فيعرض عليه أعمالكم فيها على ما يكره فيغضبه ذلك وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء إلا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن عَزَّوَجَلَّ رحمة فتلك ست ساعات ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: 6]، وقوله: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ

= قلت: رجاله أئمة ثقات.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة 490 ـ 491/ 2 قال: حدثنا أحمد بن محمد البغدادي حدثنا سعيد بن محمد بن ثواب قال: حدثني بكر بن عيسى السكوني قال: حدثني محمد بن عثمان الحراني عن مالك بن دينار عن الحسن عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عَزَّوَجَلَّ لوحا أحد وجهيه ياقوتة والوجه الثاني زمردة خضراء قلمه النور فيه يخلق وفيه يرزق وفيه يحيي وفيه يميت وفيه يعز وفيه يفعل ما يشاء في كل يوم وليلة**».

قلت: قال الذهبي في الميزان 641/ 3: محمد بن عثمان الحراني وقيل: الحداني وبالراء أصح عن مالك بن دينار بخبر باطل قال الأزدي: متروك الحديث. والخبر: «**لله لوح من در وياقوت قلمه النور فيه يخلق ويرزق ويعز ويذل**» رواه عن مالك عن الحسن عن أنس مرفوعًا.

(1) كذا في المطبوعة، وله وجه.

﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: 49-50]، فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالأرزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه: ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: 26، والإسراء: 30، والروم: 37، وسبأ: 36، والزمر: 52، والشورى: 12]، : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: 29] قال: هذا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى).

قال الطبراني: ثنا بشر بن موسى ثنا يحيى بن إسحاق أنا حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن عبد الله أو عبيد الله ابن مكرز عن ابن مسعود ... فذكره.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبيد الله الفهري أن ابن مسعود قال: «**إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار...**» فذكر الحديث إلى قوله: «**فيسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة**».

فهذا تقدير يومي والذي قبله تقدير حولي والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به والذي قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضغة والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والأرض والذي قبله تقدير سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: 29]، وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوها فيجدون ذلك موافقًا لما يعملونه فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب

ويطرح منه اللغو، وذكر ابن مردويه في تفسيره من طرق إلى بقية عن أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه: (إن أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول من بر أو فجور رطب أو يابس فأحصاه عند الذكر وقال اقرؤا إن شئتم: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ [الجاثية: 29]، فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه).

وقال آدم: ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ قال: تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب.

وفي تفسير الأشجعي عن سفيان عن منصور عن مقسم عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكلُّ ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ [الجاثية: 29].

وفي تفسير الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظوا عليه ذلك كله وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم اهـ ملخصا من شفاء العليل لابن القيم رحمه الله تعالى[1].

(1) شفاء العليل، ص: (14 ـ 44)، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية.

(لحكم لا عبثًا كما ذكر)، خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لحكم عظيمة، وأنكر على من زعم أنه خلق الخلق لغير حكمة، بل خلقه عبثا، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص:27]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: 115 ـ 116] وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الدخان: 38 ـ 39]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:12].

(فيكون ما طلب)، أي: أن الله إذا قال لشيء: «كن» كان، أي: حصل، (ما طلب)، أي: ما أراد حصوله، (بلا علاج) أي: من غير أن يعالجه سبحانه وتعالى، كما هو شأن المخلوق، والمعالجة: محاولة الشيء بمشقة[1]، (أو لغوب)، أي تعب وإعياء، (أو نصب)، النصب هو التعب، والمعنى أن الله إذا أراد شيئًا قال له: «كن» فيكون، أي: يحصل ذلك المطلوب من غير معالجة ولا تعب، والله تعالى أعلم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: 38].

قال المصنف:

قُـلْ صَـدَقَ اللهُ، فَمَـا فِي اللهِ شَـكّْ ... مَالِـكُ كُـلِّ مَالِـكٍ وَمَـا مَلَـكْ

خَـالِقُ كُـلِّ فَاعِـلٍ وَمَـا فَعَـلْ ... مُـسَبِّبُ الأَسْـبَابِ وَاضِـعُ العِلَـلْ

(1) فتح الباري: 29/ 1.

الشرح: قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: 95]، ولعل في ذكر المصنف «قل صدق الله» هنا نكتة، وهي: أن الكلام لما كان في صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه، والكلام فيها لا يكون إلا عن نص آية أو حديث صحيح، فإن على المسلم إذا جاءته صفة أو اسم في آية أو حديث صحيح أن يقول: «صدق الله»، والتصديق يستلزم القبول والتسليم، والله أعلم.

(**فما في الله شك**)، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [إبراهيم: 10]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قالت الرسل أفي الله شك: أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق[1].

(**مالك كل مالك وما ملك**)، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [البقرة: 284]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران: 109]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: 53]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [الضُّحى: 8]، وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور:32]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ

---

(1) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: 339/ 2.

خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: 28]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: 33].

(**خالق كل فاعل وما فعل**)، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، وفي مستدرك الحاكم ـ وقال: صحيح على شرط مسلم ـ من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»، وفي رواية: «**إن الله خالق كل صانع وصنعته**»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم اللّٰهم اغفر لي إن شئت اللّٰهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له**»[2]، فنحن خلْقٌ لله تعالى وما يصدر عنا كذلك.

(**مسبب الأسباب**)، الأسباب: جمع سبب، قال الجرجاني: والسبب في اللغة اسم لما يتوصل به إلى المقصود، وفي الشريعة عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه والسبب التام هو الذي يوجد المسبب بوجوده فقط... والسبب الغير التام هو الذي يتوقف وجود المسبب عليه لكن لا يوجد المسبب بوجوده فقط[3].

(**واضع العلل**): علة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء[4]، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى جعل الأسباب أسبابًا لمسبباتها، وجعل العلل عللا في

(1) المستدرك: 265 ـ 266/ 1.

(2) صحيح مسلم: (2679).

(3) التعريفات، للجرجاني، ص: 84.

(4) التعريفات، ص: 111.

معلولاتها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: 102].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: الأصل الرابع: أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني القدري ومحل ملكه وتصرفه فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جَحْدٌ للضروريات وقدْحٌ في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبطًا بالأسباب قائمًا بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآنُ مملوء من إثبات الأسباب كقوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾، ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [سورة الشورى: 30]، ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة:24]، ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ [سورة النبأ: 26]، ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [سورة النساء: 160-161]، ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ [سورة النساء: 155] إلى قوله: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [سورة النساء:156-157]، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ﴾ [المائدة: 13]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة غافر:22]،

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [سورة البقرة: 275]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [سورة محمد: 3]، وقوله: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحاقة:10]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: 48]، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل:16]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشمس:14]، وقوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الزخرف: 55-56]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ [سورة ق: 9]، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [سورة الأعراف: 57]، وقوله: ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [سورة المائدة: 16]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾ [سورة التوبة: 14]، الآية، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة النبأ: 14-16]، وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سببًا له كقوله: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة:38]، وقوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور: 2]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة الأعراف: 170]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النحل: 88]، وهذا أكثر من أن يستوعب، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء وهو أكثر من أن يستوعب كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [سورة الأنفال:29]، وقوله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:7]، وكلُّ

موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم، وكل موضع تقدم ذكرت فيه الباء تعليلا لما قبلها بها بعدها أفاد التسبب، وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا أفاد التسبيب فإن العلة الغائية علة للعلة الفاعلية، ولو **تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر** ولهذا قال من قال من أهل العلم: تكلم قوم في إنكار الأسباب فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لملائكته وعباده وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فما أفادهم إلا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ونظير من نزه الله في أفعاله وأن يقوم به فعل ألبتة وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقًا بعد أن لم يكن وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة، **ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به** وأنت لا تجد كتابًا من الكتب أعظم إثباتًا للأسباب من القرآن ويا لله العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذي جعل هذا سببا لهذا والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقادة لحكمه إن شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم وإغراق الماء على كليمه وقومه وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا فأي قدح يوجب ذلك في التوحيد وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه؟

ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النار لا تحرق والماء لا يغرق والخبز لا يشبع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك ألبتة ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا قالت: هذا هو التوحيد وإفراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل أن هذا إساءة ظن بالتوحيد وتسليط لأعداء الرسل على ما جاؤوا به كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الإيمان ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر ما لا يضره العدو العاقل قال تعالى عن ذي القرنين: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة الكهف:84] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «علمًا» قال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك: «علمًا تسبب به إلى ما يريد» وكذلك قال إسحاق: «علمًا يوصله إلى حيث يريد» وقال المبرد: «وكل ما وصل شيئًا بشيء فهو سبب» وقال كثير من المفسرين: «آتيناه من كل ما بالخلق إليه حاجة علما ومعونة له وقد سمى الله سبحانه الطريق سببًا في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الكهف: 85]. قال مجاهد: «طريقًا» وقيل السبب الثاني هو الأول أي أتبع سببًا من تلك الأسباب التي أوتيها مما يوصله إلى مقصوده وسمى سبحانه أبواب السماء أسبابًا إذ منها يدخل إلى السماء قال تعالى عن فرعون: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [سورة غافر: 36-37]. أي: أبوابها التي أدخل منها إليها، وقال زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

وسمى الحبل سببًا لإيصاله إلى المقصود قال تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة الحج: 15]. قال بعض أهل اللغة: السبب من الحبال القوي الطويل، قال: ولا يدعى الحبل سببًا حتى يصعد به وينزل ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب، يقال: ما بيني وبين فلان سبب أي آصرة رحم أو

عاطفة مودة وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسبابًا وهي التي يتسببون بها إلى قضاء حوائجهم بعضهم من بعض قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [سورة البقرة:166]. يعني: الواصلات التي كانت بينهم في الدنيا، وقال ابن عباس وأصحابه: «يعني أسباب المودة الواصلات التي كانت بينهم في الدنيا» وقال ابن زيد: «هي الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها إلى ثواب الله» وقيل هي الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك أسبابًا لأنها كانت يتوصل بها إلى مسبباتها وهذا كله عند نفاة الأسباب مجاز لا حقيقة له وبالله التوفيق اهـ[1].

قال المصنف:

وَهْوَ تَعَالَى أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدْ ... أَلْحَدَ مَن قَالَ: بِخَلقِهِ اتَّحَدْ

لَيسَتْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدْ ... أَوْ وَالِدٌ لَيسَ لَهُ كُفْوًا أَحَدْ

الشرح: (**وهو تعالى أحد**)، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، وأحد قال الزجاج: أصله وحَد ثم قلبت الواو همزة وهذا في الكلام عزيز جدًا أن تقلب الواو المفتوحة همزة ولم نعرف له نظيرًا إلا أحرفًا يسيرة منها: أناة وأحرف نظيرتها ويقال: هذا واحد ووحد كما قدمناه من سالم وسلم وحاكم وحكم قال النابغة:

.... **على مستأنس وحَد**[2]

وقال بعض أصحاب المعاني: الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط والأحد يفيده بالذات والمعاني وعلى هذا جاء في التنزيل: ﴿قُلۡ

---

(1) شفاء العليل، ص: 188 ـ 190.

(2) تمام البيت:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... يوم الجليل على مستأنس وحد

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، أراد المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته تعالى الله علوا كبيرا اهـ[1].

(فرد)، فهو الذي لا ضد له، ولا ند له، ولا شريك له في إلاهيته وربوبيته، ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته[2].

تنبيه: لا أعلم ورود اسم «الفرد» في أسماء الله تعالى عن النبي ﷺ من طريق يلزم قبولها، فإن صح به خبر فذاك، وإلا فالباب توقيفي.

(صمد)، اختلف أهل العلم في معنى «الصمد»، فقال الحافظ ابن كثير: قال عكرمة عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقال الأعمش عن شقيق أبي وائل: (الصمد): السيد الذي قد انتهى سؤدده، ورواه عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، مثله.

وقال مالك عن زيد بن أسلم: (الصمد): السيد. وقال الحسن، وقتادة: هو الباقي بعد خلقه. وقال الحسن أيضًا: (الصمد): الحي القيوم الذي لا زوال له. وقال عكرمة: (الصمد): الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم.

---

(1) تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 58.

(2) معارج القبول: 136/ 1.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد. كأنه جعل ما بعده تفسيرا له، وهو قوله: (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد، وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك، وهو صريح فيه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بُريدة، وعكرمة أيضًا، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطية العوفي، والضحاك، والسدي: (الصمد): الذي لا جوف له.

قال سفيان عن منصور عن مجاهد: (الصمد): المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.

وقال عبد الله بن بريدة أيضًا: (الصمد): نور يتلألأ.

روى ذلك كلَّه وحكاه: ابن أبي حاتم، والبيهقي، والطبراني، وكذا أبو جعفر ابن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال: حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ـ لا أعلم إلا قد رفعه ـ قال: (الصمد): الذي لا جوف له[1].

وهذا غريب جدًا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا، عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي

(1) وأخرجه ـ أيضًا ـ الطبراني في الكبير 22/ 2 (1162) قال: حدثنا حفص بن عمر الرقي ثنا محمد بن عمرو الرومي ثنا أبو مسلم قائد الأعمش عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه رفعه قال: (الصمد الذي لا جوف له).

لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك أيضًا[1].

وقال أبو إسحاق الزجاج رحمه الله تعالى: وأصحه أنه السيد المصمود إليه في الحوائج[2].

(ألحد): أصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف[3]، **(من قال بخلقه اتحد)** يعني أن من قال إن الله اتحد بخلقه ـ كما يقوله أهل عقيدة وحدة الوجود ـ فهو ملحد زائغ عن الحق، ناكب عن الصراط السوي، فإن الله سبحانه وتعالى استوى على العرش فوق السموات بائنا من خلقه كما نطقت الآيات والأخبار، وتواطأ على ذلك الأخيار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى لاحقًا، وقد رد العلماء ـ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام البقاعي ـ على أهل وحدة الوجود، وهتكوا أستارهم، وكشفوا عوارهم، وزيفوا أقوالهم، ومن أقطاب هذا المذهب الخبيث ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض.

(ليست له صاحبة ولا ولد أو والد): قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن:3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: 92 ـ 93]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص:3]، وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام:101]، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى عند هذه الآية ـ: أي: كيف يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة؟

---

(1) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: 750 ـ 751/ 3.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 58.

(3) عمدة التفسير: 80/ 2.

أي: والولد إنما يكون متولدًا عن شيئين متناسبين، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه؛ لأنه خالق كل شيء، فلا صاحبة له، ولا ولد، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: 88 ـ 95]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام:101]، فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء، وأنه بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه؟ وهو الذي لا نظير له، فأنى يكون له ولد؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا(1).

(**ليس له كفؤا أحد**): قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:4]، فلا أحد يكافئه، لا في علمه، ولا سمعه، ولا بصره، ولا قدرته، ولا عزته، ولا حكمته، ولا غير ذلك من صفاته(2).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وَلَيسَ مِثلَهُ - علاَ - شَيءٌ وَلَا	يُلْزِمُ ذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ العُلَى
فَهْوَ السَّمِيعُ وَالبَصِيرُ المتَّصِفْ	بِمَا بِهِ فِي نَوْعَي الْوَحْيِ وُصِفْ

الشرح: (**وليس مثله علا شيء**): قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11]، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: فهنا نفى المماثلة ثم أثبت السمع والبصر، فنفى العيب ثم أثبت الكمال، لأن نفي العيب قبل إثبات الكمال، ولهذا يقال: التخلية قبل التحلية، فنفي

---

(1) عمدة التفسير: 804/ 1.

(2) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: 353/ 1.

العيوب يبدأ به أولا ثم يذكر إثبات الكمال، وكلمة: «شيء» نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء، ليس شيء مثله أبدًا ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أي مخلوق وإن عظم فليس مماثلًا لله عَزَّوَجَلَّ لأن مماثلة الناقص نقص، بل إن طلب المفاضلة بين الناقص والكامل تجعله ناقصا كما قيل:

ألـم تـر أن الـسيف يـنقص قـدره — إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فهنا لو قلنا: إن لله مثيلا لزم من ذلك: تنقص الله عَزَّوَجَلَّ، فلهذا نقول: نفى الله عن نفسه مماثلة المخلوقين، لأن مماثلة المخلوق نقص وعيب، لأن المخلوق ناقص، وتمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصًا، بل ذكر المفاضلة بينهما يجعله ناقصًا إلا إذا كان في مقام التحدي، كما في قوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل:59]، وقوله: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:140][1].

(ولا يلزم): لك أن تقول: «يلزم» بفتح حرف المضارعة ثلاثيًا، وحينئذ ترفع قوله: «نفي» على الفاعلية، ولك أن تقول: «يلزم» بضم حرف المضارعة رباعيًا، وتنصب: «نفي» على المفعولية، والمعنى على الأول: ولا يلزم من هذا النفي للمثلية نفي صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، ويكون المعنى على الثاني: ولا يلزم هذا النفيُ لمماثلة الله لمخلوقاته نفيَ صفاته، **(فهو السميع والبصير)** كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء:58]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه:46]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [البقرة:96]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة:1]، وقد أنكر خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه

(1) شرح العقيدة الواسطية: 113 ـ 114/ 1.

وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ على أبيه عبادته ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئًا كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم:42]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:11]، فجمع سبحانه وتعالى بين النفي: (ليس كمثله شيء)، والإثبات: (وهو السميع البصير)، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

(المتصف بما به في نوعي الوحي وصف): المقصود بـ«نوعي الوحي»: الكتاب والسنة، فالله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال الواردة في القرآن والسنة الثابتة، وسيذكر المصنف الكثير منها لاحقًا.

قال المصنف:

يُمَـرُّ مَـا فِي وَصْـفِهِ جَـاءَ مِـنَ الْـ ـوَحْيِ كَمَـا يَفْهَـمُ مَـن فِـيهِمْ نَـزَلْ

مِـن غَـيرِ مَـا تَكْيِيـفٍ أو تَمْثِيـلِ لَـــهُ وَلا تَحْرِيـــفٍ أَوْ تعطيـــل

الشرح: هذه قاعدة عظيمة النفع جليلة المقدار، وهي: إمرار صفات الله تعالى كما أتت بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف للفظها أو معناها، ولا تعطيل، على ما فهمه منها أصحاب محمد ﷺ، وهم المقصودون بقول المصنف: **(من فيهم نزل)**، أي: من نزل الوحي وهم شاهدون، فهم أعلم الناس بمعانيه بعد رسول الله ﷺ، قوله: **(من غير ما)** زائدة **(تكييف أو تمثيل)**: قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية، فقالوا: أمروها بلا كيف[1].

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 320/ 3.

وقال الإمام أبو إسماعيل حماد بن زيد رحمه الله تعالى: مثل الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة؟ قال: نعم. قيل: فلها خوص؟ قال: لا. قيل: فلها سعف؟ قال: لا. قيل: فلها كرب؟ قال: لا. قيل: فلها جذع؟ قال: لا. قيل: فلها أصل؟ قال: لا. قيل: فلا نخلة في دارك، هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب؟ قالوا: نعم. قيل: يتكلم؟ قالوا: لا. قيل: فله يد؟ قالوا: لا. قيل: فله قدم؟ قالوا: لا. قيل: فله أصبع؟ قالوا: لا. قيل: فيرضى ويغضب؟ قالوا: لا. قيل: فلا رب لكم[1].

وقال الإمام وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا[2].

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره، لا كيف ولا مثل[3].

وقال الإمام عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يُشبِّه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له، ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفها ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: 67]

---

(1) شرح مذاهب أهل السنة، ص: (33 ـ 34)، وإسناده صحيح.

تنبيه: ذكر الحافظ قوام السنة الأصبهاني في الحجة 1/ 365 أثر حماد بن زيد هذا معلقًا فعلق محققه محمد عبد اللطيف محمد الجمل في الهامش: (أخرجه الطوسي في مستخرجه على جامع الأحكام «36» بسند صحيح).

قلت: وهذا وهَم فلا وجود لهذا الأثر في مستخرج الطوسي.

(2) السنة لعبد الله بن أحمد: 1/ 267.

(3) شرح أصول الاعتقاد: 3/ 273.

كما وصف نفسه، قال: وكان مالك يعظم أن يحدث أحد بهذه الأحاديث التي فيها: أن الله خلق آدم على صورته وضعفها. اهـ كلامه[1].

وروى الإمام اللالكائي بسنده عن الإمام محمد بن الحسن رحمه الله تعالى: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عَزَّوَجَلَّ من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء[2].

وقال الإمام المبجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى: ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم ولا كيف، إنما هو التصديق بها والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق

---

(1) أصول السنة، ص: (75)، لابن أبي زمنين، وما ذكر من تضعيف الإمام مالك لأحاديث: «خلق الله آدم على صورته» الصواب خلافه فقد صحت الأحاديث بذلك كما سنذكره لاحقًا إن شاء الله تعالى، قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى في «جامع بيان العلم وفضله» 2/ 943: وقد روينا عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت. قال أبو عمر: نحو حديث التنزل، وحديث: «إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورته»، «وأنه يدخل قدمه في جهنم»، وأنه يضع السموات على أصبع، وأن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وإن ربكم ليس بأعور، وما كان مثل هذه الأحاديث وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبسطناه في كتاب التمهيد عند ذكر حديث التنزل، فمن أراد الوقوف عليه تأمله هناك، على أني أقول: لا خير في شيء من مذاهب أهل الكلام كلهم وبالله التوفيق».

(2) شرح أصول الاعتقاد: 3/ 274، لكن في السند إليه من لم أعرفهم.

المصدوق، وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات[1].

وقال **أيضًا**: أمض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد، بما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب[2].

وقال الإمام سيد الحفاظ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي رحمه الله تعالى: المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عَزَّوَجَلَّ التي وصف بها نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة وينسبون رواتها إلى التشبيه فمن نسب الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه إلى التشبيه فهو معطل ناف، ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية، كذلك كان أهل العلم يقولون، منهم عبد الله بن المبارك، ووكيع ابن الجراح[3].

وقال الإمام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث[4] وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال: كيف؟

---

(1) شرح أصول الاعتقاد: 121 ـ 122/ 1.

(2) شرح أصول الاعتقاد: 285/ 3.

(3) الحجة في بيان المحجة: 212 ـ 213/ 1.

(4) يعني: حديث: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه...).

هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة.

وقال إسحق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11][1].

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى: فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب، في ذكر اليدين: كنحو قولنا في ذكر الوجه، والعينين تستيقنوا بهداية الله إياكم، وشرحه جل وعلا صدوركم للإيمان بما قصه الله جل وعلا، في محكم تنزيله، وبينه على لسان نبيه ﷺ من صفات خالقنا عَزَّوَجَلَّ، وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبنا مذهب أهل الآثار، ومتبعي السنن، وتقفوا على جهل من يسميهم مشبهة، إذ الجهمية المعطلة جاهلون بالتشبيه نحن نقول: لله جل وعلا يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، ونقول: كلتا يدي

(1) الجامع الكبير: 42 ـ 43/ 2.

ربنا عَزَّوَجَلَّ يمين، على ما أخبر النبي ﷺ، ونقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ يقبض الأرض جميعا بإحدى يديه، ويطوي السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين، لا شمال فيهما، ونقول: من كان من بني آدم سليم الأعضاء والأركان، مستوي التركيب، لا نقص في يديه، أقوى بني آدم، وأشدهم بطشا له يدان عاجز عن أن يقبض على قدر أقل من شعرة واحدة، من جزء من أجزاء كثيرة، على أرض واحدة من سبع أرضين؟ ولو أن جميع من خلقهم الله من بني آدم إلى وقتنا هذا، وقضى خلقهم إلى قيام الساعة لو اجتمعوا على معونة بعضهم بعضًا، وحاولوا على قبض أرض واحدة من الأرضين السبع بأيديهم كانوا عاجزين عن ذلك غير مستطيعين له، وكذلك لو اجتمعوا جميعًا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك، ولم يستطيعوا، وكانوا عاجزين عنه، فكيف يكون ـ يا ذوي الحجا ـ من وصف يد خالقه بما بينا من القوة والأيدي، ووصف يد المخلوقين بالضعف والعجز مشبهًا يد الخالق بيد المخلوقين؟ أو كيف يكون مشبها من يثبت أصابع على ما بينه النبي المصطفى ﷺ للخالق البارئ؟ ونقول: إن الله جل وعلا يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع ... تمام الحديث، ونقول: إن جميع بني آدم منذ خلق الله آدم إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سماواته، أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانهم كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه، فكيف يكون من يثبت لله عَزَّوَجَلَّ يدين على ما ثبته الله لنفسه، وأثبته له ﷺ مشبها يدي ربه بيدي بني آدم؟ نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين محدثة غير قديمة، فانية غير باقية، بالية تصير ميتة، ثم رميمًا، ثم

ينشئه الله خلقا آخر تبارك الله أحسن الخالقين، فأي تشبيه يلزم أصحابنا ـ أيها العقلاء ـ إذا أثبتوا للخالق ما أثبته الخالق لنفسه، وأثبته له نبيه المصطفى ﷺ؟ وقول هؤلاء المعطلة يوجب أن كل من يقرأ كتاب الله، ويؤمن به إقرارًا باللسان وتصديقًا بالقلب فهو مشبه، لأن الله ما وصف نفسه في محكم تنزيله بزعم هذه الفرقة ومن وصف يد خالقه فهو يشبه الخالق بالمخلوق، فيجب على قود مقالتهم: أن يكفر بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ عليهم لعائن الله؛ إذ هم كفار منكرون لجميع ما وصف الله به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ غير مقرين بشيء منه، ولا مصدقين بشيء منه، نقول: لو شبَّه بعضُ الناس يدَ قويٍّ الساعدين شديدِ البطش، عالمٍ بكثير من الصناعات، جيدِ الخط، سريعِ الكتابة، بيد ضعيف البطش، من الآدميين، خلو من الصناعات والمكاسب، أخرق، لا يحسن أن يخط بيده كلمة واحدة، أو شبه يد من ذكرنا أولا بالقوة والبطش الشديد، بيد صبي في المهد، أو كبير هرم، يرعش، لا يقدر على قبض، ولا بسط، ولا بطش أو نقول له: يدك شبيهة بيد قرد، أو خنزير، أو دب، أو كلب، أو غيرها من السباع، أما ما يقوله سامع هذه المقالة ـ إن كان من ذوي الحجا والنهى ـ: أخطأت يا جاهل التمثيلَ، ونكست التشبيهَ، ونطقت بالمحال من المقال، ليس كل ما وقع عليه اسم اليد جاز أن يشبه ويمثل إحدى اليدين بالأخرى، وكل عالم بلغة العرب، فالعلم عنده محيط أن الاسم الواحد قد يقع على الشيئين مختلفي الصفة، متبايني المعاني، وإذا لم يجز إطلاق اسم التشبيه، إذا قال المرء لابن آدم، وللقرد يدان، وأيديهما مخلوقتان، فكيف يجوز أن يسمى مشبها من يقول لله يدان، على ما أعلم في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، ونقول لبني آدم يدان، ونقول: ويدا الله بهما خلق آدم، وبيده كتب التوراة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويداه

مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وأيدي بني آدم مخلوقة على ما بينت وشرحت قبل في باب الوجه والعينين، وفي هذا الباب، وزعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [سورة المائدة:64]. أي: نعمتاه، وهذا تبديل، لا تأويل، والدليل على نقض دعواهم هذه أن نعم الله كثيرة، لا يحصيها إلا الخالق البارئ، ولله يدان لا أكثر منهما، كما قال لإبليس عليه لعنة الله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [سورة ص:75]، فأعلمنا جل وعلا أنه خلق آدم بيديه، فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلا لكلام الله، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [سورة الزمر:67]، أفلا يعقل أهل الإيمان أن الأرض جميعًا لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة، ولا أن السموات مطويات بالنعمة الأخرى، ألا يعقل ذوو الحجا من المؤمنين أن هذه الدعوى التي يدعيها الجهمية جهل، أو تجاهل شر من الجهل، بل الأرض جميعا قبضة ربنا جل وعلا، بإحدى يديه يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه وهي: اليد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يمين، لا شمال فيهما، جل ربنا وعز أن يكون له يسار؛ إذ كون إحدى اليدين يسارا إنما يكون من علامات المخلوقين، جل ربنا وعز عن شَبَهِ خلقه، وافهم ما أقول من جهة اللغة تفهم وتستيقن أن الجهمية مبدلة لكتاب الله، لا متأولة قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، لو كان معنى اليد النعمة كما ادعت الجهمية لقرئت: بل يداه مبسوطة، أو منبسطة، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى، ومحال أن تكون نعمه نعمتين لا أكثر، فلما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، كان العلم محيطا أنه ثبت لنفسه يدين لا أكثر منهما، وأعلم أنهما مبسوطتان ينفق كيف يشاء، والآية دالة أيضًا على أن ذكر اليد في هذه الآية ليس معناه النعمة، حكى الله جل وعلا قول اليهود، فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ [سورة المائدة:64]، فقال الله

عَزَّوَجَلَّ ردا عليهم: ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [سورة المائدة:64]، وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، وبيقين يعلم كل مؤمن أن الله لم يرد بقوله: ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي: غلت نعمهم، لا، ولا اليهود أن نعم الله مغلولة، وإنما رد الله عليهم مقالتهم، وكذبهم في قولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ وأعلم المؤمنين أن يديه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، وقد قدمنا ذكر إنفاق الله عَزَّوَجَلَّ بيديه في خبر همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها نفقة» فأعلم النبي ﷺ أن الله ينفق بيمينه، وهما يداه التي أعلم الله أنه ينفق بهما كيف يشاء، وزعم بعض الجهمية: أن معنى قوله: «خلق الله آدم بيديه» أي: بقوته، فزعم أن اليد هي القوة، وهذا من التبديل أيضًا، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى الأيد بلغة العرب، لا اليد، فمن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة.

قد أعلمنا الله عَزَّوَجَلَّ أنه خلق السماء بأيد، واليد واليدان غير الأيد، إذ لو كان الله خلق آدم بأيد كخلقه السماء، دون أن يكون الله خص خلق آدم بيديه لما قال لإبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [سورة ص:75]، ولا شك ولا ريب: أن الله عَزَّوَجَلَّ قد خلق إبليس عليه لعنة الله أيضًا بقوته، أي إذا كان قويا على خلقه، فما معنى قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾، عند هؤلاء المعطلة، والبعوضُ والنمل وكل مخلوق فالله خلقهم عنده بأيد وقوة.

وزعم من كان يضاهي بعضُ مذهبه مذهبَ الجهمية في بعض عمره لما لم يقبله أهل الآثار، فترك أصل مذهبه عصبية زعم أن خبر ابن مسعود الذي ذكرناه، إنما ذكر اليهودي أن الله يمسك السموات على أصبع ... الحديث بتمامه، وأنكر أن يكون النبي ﷺ ضحك تعجبًا وتصديقًا له، فقال: إنما هذا من قول

ابن مسعود، لأن النبي ﷺ إنما ضحك تعجبًا لا تصديقًا لليهودي، وقد كثر تعجبي من إنكاره، ودفعه هذا الخبر، وكان يثبت الأخبار في ذكر الأصبعين قد احتج في غير كتاب من كتبه بأخبار النبي ﷺ: «**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين**»، فإذا كان هذا عنده ثابتًا يحتج به، فقد أقر وشهد أن لله أصابع، لأن مفهومًا في اللغة إذا قيل إصبعين من الأصابع أن الأصابع أكثر من إصبعين، فكيف ينفي الأصابع مرة، ويثبتها أخرى؟ فهذا تخليط في المذهب، والله المستعان، وقد حكيت مرارًا عن بعض من كان يطيل مجالسته أنه قد انتقل في التوحيد منذ قدم نيسابور ثلاث مرات، وقد وصفت أقاويله التي انتقل من قول إلى قول، وقد رأيت في بعض كتبه يحتج بخبر ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة عن النبي ﷺ، وبخبر خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»، فيحتج مرة بمثل هذه الأسانيد الضعاف الواهية، التي لا تثبت عند أحد له معرفة بصناعة الحديث، ثم عمد إلى أخبار ثابتة صحيحة من جهة النقل، مما هو أقل شناعة عند الجهمية المعطلة من قوله: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»، فيقول: هذا كفر بإسناد، ويشنع على علماء الحديث بروايتهم تلك الأخبار الثابتة الصحيحة، والقولِ بها، قلةُ رغبة، وجهلٌ بالعلم وعناد والله المستعان، وإن كان قد رجع عن قوله: فالله يرحمنا وإياه اهـ[1].

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى: اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

---

(1) التوحيد: 193 ـ 201/ 1.

وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به أن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ، وعن صحابته، ولا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق[1].

وقال أيضًا: هذه السنن كلها نؤمن بها، ولا نقول فيها: كيف؟ والذين نقلوا هذه السنن: هم الذين نقلوا إلينا السنن في الطهارة، وفي الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يرد هذه السنن إلا من يذهب مذهب المعتزلة، فمن عارض فيها أو ردها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه[2].

وقال أيضًا: الإيمان بهذا[3] واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ: **«أن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة»**، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من: الحلال، والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه[4].

وقال الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى: اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة وتلقيها بالقبول وترك

---

(1) الشريعة: 1051/ 2.

(2) المصدر السابق: 1068/ 2.

(3) يعني النزول.

(4) الشريعة: 1124 ـ 1126/ 3.

الاعتراض عليها بالقياس ومواضعة القول بالآراء والأهواء فإن الإيمان تصديق والمؤمن هو المصدق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله مما نقلته العلماء ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام والسنن والآثار ولا يقال فيما صح عن رسول الله كيف ولا لم بل يتبعون ولا يبتدعون ويسلمون ولا يعارضون ويتيقنون ولا يشكون ولا يرتابون(1).

وقال الإمام أبو عبد الله بن منده رحمه الله تعالى: إن الأخبار في صفات الله عَزَّوَجَلَّ جاءت متواترة عن نبي الله ﷺ موافقة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، نقلها الخلف عن السلف، قرنا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل: **إثبات الصفات لله عَزَّوَجَلَّ، والمعرفة، والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به في تنزيله وبينه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل، والجحود، وترك التمثيل، والتكييف،** وأنه عَزَّوَجَلَّ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه الرسول ﷺ، غير زائلة عنه، ولا كائنة دونه، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدًا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت على أي معنى تأوله دخل في التشبيه.

والصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائه، غير باقية، وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته تعالى ودعا عباده إلى مدحه بذلك وصدق به المصطفى ﷺ وبين مراد الله عَزَّوَجَلَّ فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته، وكان

---

(1) الإبانة: 91/ 7.

ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويلها، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54]، وقال النبي ﷺ: «**قال الله تعالى وتقدس: إني حرمت الظلم على نفسي**»، وقال النبي ﷺ بيانًا لقوله: «**إن الله كتب كتابًا على نفسه فهو عنده إن رحمتي تغلب غضبي**»، فبين مراد الله فيما أخبر عن نفسه وبين أن نفسه قديم غير فان بفناء الخلق وأن ذاته لا توصف إلا بما وصف ووصفه النبي ﷺ، لأن المجاوز وصفهما يوجب المماثلة، والتمثيلُ والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ولا يكون باتفاق الأسماء، وإنما وافق اسم النفس اسم نفس الإنسان الذي سماه الله نفسا منفوسة، وكذلك سائر الأسماء التي سمى بها خلقه إنما هي استعارة لخلقه منحها عباده للمعرفة، فمن الصفات التي وصف بها نفسه ومنح خلقه: «الكلام» فالله عَزَّوَجَلَّ تكلم كلاما أزليًّا غير معلم ولا منقطع فيه(1) يخلق الأشياء وبكلامه دل على صفاته التي لا يستدرك كيفيتها مخلوق، ولا يبلغها وصف واصف، والعبد متكلم بكلام محدث معلم مختلف فانٍ بفنائه، ووصف وجهه فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:88]، الآية فأخبر عن فناء وجوه المخلوق وبقاء وجهه، ووصف نفسه بالسميع البصير، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11]، فأخبر أنه سميع من كل الجهات لكل الأصوات، بصير بكل الأشياء من كل الجهات لم يزل يسمع ويبصر ولا يزال كذلك، ووصف عباده بالسمع والبصر المحدث المخلوق الفاني بفنائه، التي تكل وتعجز عن جميع حقيقة المسموع والمبصَر، ووصف نفسه بالعلم، والقدرة، والرحمة ومنحها عباده للمعرفة عند الوجود فيهم والنكرة عند وجود المضاد فيهم فجعل ضد العلم في خلقه: الجهل، وضد القدرة: العجز، وضد الرحمة: القسوة،

(1) كذا في المطبوع، ولعل الصواب: «فبه يخلق...».

فهي موجودة في الخلق، غير جائزة على الخالق، فوافقت الأسماء وباينت المعاني من كل الجهات، ووصف الله عَزَّوَجَلَّ نفسه بالعلم، وأنه يعلم كل شيء من كل الجهات، لم يزل ولا يزال موصوفا بالعلم، غير معلم، باق غير فان، والعبد مضطر إلى أن يتعلم ما لم يعلم، ثم ينسى، ثم يموت ويذهب علمه، والله موصوف بالعلم بجميع الأشياء من كل الجهات، دائمًا باقيًا، ففيما ذكرناه دليل على جميع الأسماء والصفات التي لم نذكرها، وإنما ينفي التمثيل والتشبيه: النية والعلم بمباينة الصفات والمعاني، والفرق بين الخالق والمخلوق، وفي جميع الأشياء فيما يؤدي إلى التمثيل والتشبيه عند أهل الجهل والزيغ ووجوب الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وبأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ، **وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني**، بحدوث خلقه وفنائهم وأزلية الخالق وبقائه، وبما أظهر من صفاته ومنع استدراك كيفيتها فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:11]، وإنما صدرنا بهذا الفصل لئلا يتعلق الضالون عن الهداية الزائغون عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ بالظاهر فيتأولوا الصفات والأسماء التي في كتابه ونقلها الخلف الصادق عن السلف الطاهر عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسوله ﷺ الذين نقلوا دين الله تعالى وأحكامه وبلغوا جميع أوامر الله التي أمروا بإبلاغها من الصفات وغيرها من أمور الدين واجتنبوا وعيد الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة:159]، الآية فبلغوا كما أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ لم يأخذهم في الله لومة لائم، خلفا عن سلف جعلنا الله تعالى ممن يتبعهم بإحسان إنه ولي ذلك برحمته[1].

---

(1) التوحيد: 7 ـ 9/ 3.

وقال في خاتمة كتابه: وكذلك نقول فيما تقدم من هذه الأخبار في الصفات في كتابنا هذا، نرويها من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولا قياس، ولا تأويل، على ما نقلها السلف الصادق عن الصحابة الطاهرة عن المصطفى ﷺ، ونُجَهِّل من تكلم فيها إلا ببيان عن الرسول ﷺ، أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان، ونتبرأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ مما يخالف القرآن وكلام الرسول ﷺ، والله عَزَّوَجَلَّ الموفق للصواب برحمته إن شاء الله تعالى[1].

قال محمد بن ادَّ: ما أحسنه من كلام.

وقال الإمام المفسر أبو عبد الله بن أبي زمَنِين[2] ـ وهو أحد أئمة المالكية ـ رحمه الله تعالى: واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه، وقد قال: وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28، 30]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]، و[ص: 72]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 67]، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، وقال: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ

---

(1) التوحيد: 309/ 3.

(2) قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في السير 189/ 17 : وزمنين بفتح الميم ثم كسر النون.

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: 255]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ [الحديد: 3]، ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، كما أخبر عن نفسه، وشيء، وله وجه ونفس وغير ذلك كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء مما خلق، والباطن بطن علمه بخلقه تعالى، وهو بكل شيء عليم، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم[1].

وقال أيضًا: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه ﷺ، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير فسبحان من ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: 11]، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به[2].

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين عَزَّوَجَلَّ إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول إن معنى اليد: القدرة ولا إن معنى السمع والبصر: العلم ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح

---

(1) أصول السنة، ص: (60 ـ 61).

(2) أصول السنة، ص: (74).

وأدوات الفعل ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:4]. انتهى[1].

وقال الحافظ إمام المالكية في عصره أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رحمه الله تعالى: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله[2].

وقال الإمام الحافظ قوام السنة إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني رحمه الله تعالى: ومذهب أهل السنة: إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد، وسائر ما أخبر الله به عن نفسه، وليس قولنا: إن لله وجها ويدا موجبا تشبيهه بخلقه أصلًا بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق، نقول ما قال، ولا نزيد شيئًا وحسبنا الله ونعم الوكيل اهـ[3].

---

(1) ذم التأويل، ص: 13 وتذكرة الحفاظ 225/ 3 بإسناد صحيح، وفي رواية الذهبي: (ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والفصل إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه والأصل في هذا أن الكلام ...). وانظر: الحجة في بيان المحجة: 311 ـ 314/ 1.

(2) التمهيد: 145/ 7.

(3) الحجة في بيان المحجة: 109 ـ 110/ 1.

وقال أيضًا: وليس قول أهل السنة أن لله وجها ويدين وسائر ما أخبر الله تعالى به عن نفسه موجبًا تشبيهه بخلقه وليس روايتهم حديث النبي ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**» بموجبة نسبة التشبيه إليهم، بل كل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به رسول الله ﷺ فهو حق، قول الله حق، وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول ورسوله ﷺ أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم وحسبنا الله ونعم الوكيل[1].

وقال الإمام شيخ الإسلام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة رحمه الله تعالى: فإن قال تركتم تأويل الآيات والأخبار الواردة في الصفات وادعى أن السلف تأولوها وفسروها فقد أفك وافترى وجاء بالطامة الكبرى، فإنه لا خلاف في أن مذهب السلف الإقرار والتسليم وترك التعرض للتأويل والتمثيل، ثم إن الأصل عدم تأويلهم فمن ادعى أنهم تأولوها فليأت ببرهان على قوله، وهذا لا سبيل إلى معرفته إلا بالنقل والرواية، فلينقل لنا ذلك عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته أو عن أحد من التابعين أو الأئمة المرضيين، ثم المدعي لذلك من أهل الكلام وهم أجهل الناس بالآثار وأقلهم علما بالأخبار وأتركهم للنقل، فمن أين لهم علم بهذه ومن نقل منهم شيئًا لم يقبل نقله ولا يلتفت إليه وإنما لهم الوضع والكذب وزور الكلام ولا خلاف بين أهل النقل سنيهم وبدعيهم في أن مذهب السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في صفات الله سبحانه وتعالى الإقرار بها والإمرار لها والتسليم لقائلها وترك التعرض لتفسيرها بذلك جاءت الأخبار عنهم مجملة ومفصلة[2].

---

(1) الحجة في بيان المحجة: 1/202.

(2) تحريم النظر في كتب الكلام، ص: 36 ـ 38.

وقال أيضًا: وقال أبو عبد الله: حدثنا وكيع يومًا بحديث من هذه الأحاديث فاقشعر زكرياء بن عدي فقال وكيع وغضب: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها.

وهذا مما لا نعلم فيه بين سلفنا رحمهم الله اختلافا، والمنكر له إما جاهل أو متجاهل قليل الدين والحياء لا يخاف من الله تعالى إذا كذب ولا يستحيي من الناس إذا كذب، ونحن على طريقة سلفنا وجادة أئمتنا وسنة نبينا ﷺ، ما أحدثنا قولا ولا زدنا زيادة بل آمنا بها جاء وأمررناه كما جاء وقلنا بها قالوا وسكتنا عما سكتوا عنه وسلكنا حيث سلكوا فلا وجه لنسبة الخلاف والبدعة إلينا اهـ[1].

وقال أيضًا: على أن معتمدنا في صفات الله تعالى ما صح به النقل عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ ونصف الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ولا نتعدى ونتبع سنة رسولنا عليه السلام وسنة الخلفاء الراشدين[2].

وقال أيضًا: وأما الإجماع فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم وكذلك أهل كل عصر بعدهم **ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة،** والإجماع حجة قاطعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت وقد نقلنا إجماعهم عليه فيجب اتباعه ويحرم خلافه، ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو إما أن يكون علمه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وعلماء أصحابه أو لم يعلموه فإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم؟ وهل يجوز أن يكون قد خبأ عنهم علما وخبأ للمتكلمين لفضل عندهم؟

(1) تحريم النظر في كتب الكلام، ص: 39.

(2) البرهان، ص: 88.

وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم ولا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسعهم، ولأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلا في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به أو ليس بداخل، فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به فيقال له: هل كان الله تعالى صادقا في قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [سورة المائدة: 3] قبل التأويل أو أنت الصادق في أنه كان ناقصًا حتى أكملته أنت؟ ولأنه إن كان داخلًا في عقد الدين ولم يقبله النبي ﷺ ولا أصحابه وجب أن يكونوا قد أَخَلُّوا ودينهم ناقص ودين هذا المتأول كامل ولا يقول هذا مسلم، ولأنه إن كان داخلًا في عقد الدين ولم يبلغه النبي ﷺ أمته فقد خانهم وكتم عنهم دينهم ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [سورة المائدة: 67] الآية، وقوله: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [سورة الحجر: 94] ويكون النبي ﷺ ومن شهد له بالبلاغ غير صادق، وهذا كفر بالله تعالى ورسوله(1).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: المشهور بين أهل السنة والجماعة أنه لا يقال في صفات الله عَزَّوَجَلَّ: «كيف» ولا في أفعاله: «لِمَ» وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن السلف والأئمة نفوا علمنا الآن بكيفيته كقول مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» لم ينفوا أن يكون في نفس الأمر له حقيقة يعلمها هو وتكلمنا على إمكان العلم بها عند رؤيته في الآخرة أو غير ذلك(2).

وقال أيضًا: وأكثر أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس الأمر بل يقولون: لا نعلم الكيفية ويقولون: لا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال بل كما قال الشريف أبو

---

(1) ذم التأويل، ص: 38 ـ 39.

(2) بيان تلبيس الجهمية: 3 ـ 4/ 2.

علي ابن أبي موسى وأبو الفرج المقدسي وغيرهما وهو موافق لقول السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأئمة كما قالوا: لا يعلم كيف هو إلا هو، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وأمثال هذا كثير في كلامهم، ومنهم من ينفي ذلك ويقول: لا ماهية له فتجري في مقال ولا كيف فيخطر ببال، وهذا قول ابن عقيل وغيره، وهذا موافق لقول نفاة الصفات[1].

وقال أيضًا: قولي من غير تكييف ولا تمثيل: ينفي كل باطل وإنما اخترت هذين الاسمين؛ لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة، ومالك وابن عيينة وغيرهم ـ المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول ـ «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» فاتفق هؤلاء السلف على أن التكييف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعًا لسلف الأمة، وهو أيضًا منفي بالنص فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله، وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر[2].

وقال العلامة باب بن الشيخ سيديا الشنقيطي رحمه الله تعالى:

مـــا أوهـــم التـــشـبيه في آيـــات	وفي أحاديـــث عـــن الثقـــات
فهْـــي صـــفات وُصـــف الـــرحمن	بهـــا وواجـــب بهـــا الإيمـــان
ثـــم عـــلى ظاهـــرها نبقيـــها	ونحـــذر التأويـــل والتـــشبيها

(1) المصدر السابق: 388 ـ 389/ 2.

(2) مجموع الفتاوي: 167/ 3.

قال بهذا الثلاثةُ القرونُ والخير باتباعهم مقرونُ
وكم رآه من إمام مرتضى من الخلائق بناظر الرضا
ومن أجاز منهم التأويلا لم ينكروا ذا المذهب الأصيلا
وهْو الذي ينصره القرآن والسنن الصحاح والحسان
ومن تأول فقد تكلفا وغير ما له به علم قفا
وفي الذي هرب منه قد وقع وبعضهم عن قوله به رجع
حتى حكى في منعه الإجماعا وجعل اجتنابه اتباعا
فاشدد يديك أيها المحق على الذي سمعت فهو الحق

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: والتكييف أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيد بمماثل، وهذا اعتقاد باطل، والتمثيل اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: «ليس كمثله شيء»[1].

قوله: (ولا تحريف): قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: والتحريف نوعان: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة وإما بنقصان وإما بتغيير حركة إعرابية، وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع، وقد سلكها الجهمية والرافضة، فإنهم حرفوا نصوص الحديث ولم يتمكنوا من ذلك في ألفاظ القرآن، وإن كان الرافضة حرفوا كثيرًا من لفظه، وادعوا أن أهل السنة غيروه عن وجهه.

(1) القواعد المثلى، ص: (34 ـ 36)، باختصار.

وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا فيه وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلًا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر لقدرٍ مَّا مشترك بينهما، وأصحاب تحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه وهؤلاء شر منهم من وجه، فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعا عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، وهؤلاء أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه، ولكن أولئك لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظًا يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فُهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمه على المعنى الذي قصدوا[1].

وقال ابن عثيمين: والتحريف: التغيير، وهو إما لفظي وإما معنوي، والغالب أن التحريف اللفظي لا يقع، وإذا وقع فإنما يقع من جاهل، فالتحريف اللفظي يعني تغيير الشكل، فمثلا فما تجد أحدًا يقول: (الحمد لله رب العالمين)، بفتح الدال إلا إذا كان جاهلًا، هذا الغالب، لكن التحريف المعنوي هو الذي وقع فيه كثير من الناس، فأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف يعني تغيير اللفظ أو المعنى، وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلًا ويسمون أنفسهم بأهل التأويل لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول، لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف، لأنه ليس عليه دليل صحيح إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: تحريفًا، ولو قالوا: هذا

---

(1) مختصر الصواعق: 387/ 2.

تحريف لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم، ولهذا عبر المؤلف[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتحريف دون التأويل، مع أن كثيرًا ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل، يقولون: من غير تأويل، لكن ما عبر به المؤلف أولى لوجوه أربعة:

الوجه الأول: أنه اللفظ الذي جاء به القرآن، فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: 46، والمائدة: 13]، والتعبير الذي عبر به القرآن أولى من غيره، لأنه أدل على المعنى.

الوجه الثاني: أنه أدل على الحال، وأقرب إلى العدل، فالمؤول بغير دليل ليس من العدل أن نسميه مؤولًا، بل العدل أن نصفه بما يستحق، وهو أن يكون محرفًا.

الوجه الثالث: أن التأويل بغير دليل باطل، يجب البعد عنه، والتنفير منه، واستعمال التحريف فيه أبلغ تنفيرًا من التأويل، لأن التحريف لا يقبله أحد، لكن التأويل لين تقبله النفس، وتستفصل عن معناه، أما التحريف بمجرد ما نقول: هذا تحريف، ينفر الإنسان منه، وإذا كان كذلك فإن استعمال التحريف فيمن خالفوا طريق السلف أليق من استعمال التأويل.

الوجه الرابع: أن التأويل ليس مذموما كله، قال النبي ﷺ: «**اللّٰهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل، والتأويل ليس كله مذموما، لأن التأويل له معان متعددة، يكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره...إلخ كلامه وهو نفيس[2].

---

(1) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

(2) شرح العقيدة الواسطية: 86 ـ 88/ 1.

قوله: (**ولا تعطيل**): المراد بالتعطيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليًا أو جزئيًا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلاً[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: والتعطيل أنواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله وهو تعطيل الجهمية نفاة الصفات وتعطيله عن أفعاله وهو أيضًا تعطيل الجهمية وهم أبناؤه ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا: لا يقوم بذاته فعل لأن الفعل حادث وليس محلًا للحوادث كما قال إخوانهم: لا تقوم بذاته صفة لأن الصفة عرض وليس محلا للأعراض فلو التزم الملتزم أي قول التزمه كان خيرًا من تعطيل صفات الرب وأفعاله، فالمشبهة ضلالهم وبدعتهم خير من المعطلة، ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات وإن كان التعطيلان متلازمين لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة فوجودُ هذه محال في الذهن وفي الخارج، ومعطلة الأفعال خير من معطلة الصفات فإن هؤلاء نفوا صفة الفعل وإخوانهم نفوا صفات الذات وأهل السمع والعقل وحزب الرسول والفرقة الناجية برآء من تعطيل هؤلاء كلهم فإنهم أثبتوا الذات والصفات والأفعال وحقائق الأسماء الحسنى إذ جعلها المعطلة مجازًا لا حقيقة له فشر هذه الفرق لخيرها الفداء انتهى[2].

قال المصنف:

يُقَالُ نَفْسُه كَمَا قَالَ: كَتَبْ ... ربُّكُمُ.. الآيـةَ، أمَّا مَنْ نَسَبْ

ذَاتًا لَـهُ فَقَدْ عَنَى التِي لَـهْ ... ملَّتَـهُ، شِرْعتَـهُ، سَبِيلَهْ

(1) المصدر السابق: 91/ 1.

(2) شفاء العليل، ص: 153 ـ 154.

الشرح: يريد المصنف أنه لا ينبغي إطلاق لفظ: «الذات» على الله سبحانه وتعالى، لكن يطلق عليه لفظ: «النفس»، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: 54]، وإلى هذه الآية أشار المصنف بقوله: (**كما قال كتب ربكم... الآية**)، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام: 12]، وقال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: 116]، وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...**»[1].

(**أما من نسب ذاتا له**): أي من قال: «ذات الله»، أو: «ذات الإله»، (**فقد عنى**): أي قصد بذلك: (**التي له**)، كقول النابغة الذبياني:

محلتهم ذات الإله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقب

فقول النابغة: «محلتهم» روي بالحاء المهملة وبالجيم، فمن رواها بالحاء أراد: الأرض المقدسة وناحية الشام والبيت المقدس وهناك كان بنو جفنة، وقال الجوهري: معناه أنهم يحجون فيحِلون مواضع مقدسة، ومعنى: «ذات الإله»، ـ على هذا ـ أي: التي له، والمعنى على رواية الجيم: الكتاب، فالعرب تطلق المجلة على كل كتاب كما قال أبو عبيد، وقيل: الصحيفة فيها الحكمة، والمقصود هنا «الإنجيل» لأنهم كانوا نصارى[2]، ومعنى «ذات الإله» ـ على هذا ـ: شريعته، قوله: (**ملته شرعته سبيله**)، أي أن من نسب «الذات» له سبحانه وتعالى فإنما

(1) أخرجه البخاري: (7405).

(2) انظر: لسان العرب: 120/11.

يعني بقوله: «ذات الله» أو: «ذات الإله»: «التي لله»، أو يقصد بها سبيل الله وشريعته وملته، كقول النبي ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله: قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة...**»[1]، فقوله: في الحديث: «في ذات الله»: أي في سبيل الله، وكقول خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا	على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلو ممزع[2]

فقوله: «وذلك في ذات الإله»، أي في سبيل الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف:

وَالأَصْلُ أن تُضَافَ لِلإِلَهِ	لا لِلضَّمِيرِ أو لِلَفْظِ اللهِ
كَمِثْلِ مَا قَالَ خُبَيْبٌ إِذْ صُلِبْ	وَقَالَ نَابِغَةُ ذُبْيَانَ الذَّرِبْ

الشرح: (**والأصل**) ـ ولا يعدل عن الأصل إلا بدليل ـ (**أن تضاف**) لفظة «ذات» (**للإله**)، فيقال: «ذات الإله» و(**لا**) تضاف (**للضمير**): فلا يقال: «ذاته»، (**أو للفظ الله**) فلا يقال: «ذات الله».

(**كمثل ما**) اسم موصول بمعنى الذي أو هي مصدرية (**قال**) الصحابي الجليل (**خبيب**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**إذ صلبه**) ه كفار قريش في مكة ليقتلوه، كما في صحيح

---

(1) أخرجه البخاري: (3357)، ومسلم: (2371)، من طريق عبد الله بن وهب أخبرني جرير بن حازم عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: فذكر الحديث بطوله.

(2) صحيح البخاري: (3045)، والأوصال: المفاصل كما في الصحاح: 5/ 1842، والشلو بالكسر هو العضو من اللحم، وممزع أي: مقطع، وقيل: الشلو الجسد من كل شيء، كذا في هدى الساري، ص: 140.

البخاري وغيره، (و) كمثل ما (**قال نابغة ذبيان**) أي: النابغة الذبياني وهو: أبو أمامة زياد بن معاوية أحد فحول شعراء الجاهلية لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير[1]. (**الذرب**)، أي: حديد اللسان.

قال المصنف:

لأَنَّهَا تَأْنِيثُ «ذِي» المُلْتَزَمِ	فِيهِ الإِضَافَةُ لِغَيْرِ العَلَمِ
مِن ظَاهِرٍ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ وَقَدْ	ذَكَرَ مَا يَلْزَمُ «ذُو» فِي ذَا الصَّدَدْ
ذُو ذَاتُ أُنْثَاهُ، ذَوَاتُ الجَمْعُ	وَجَرَيَانَ الأَصْلِ يَجْرِي الفَرْعُ

الشرح: هذا تعليل لعدم إطلاق لفظ «الذات» على الله سبحانه وتعالى، (**لأنها**)، أي: «ذات»، (**تأنيث ذي**) بمعنى صاحب، كما قال ابن مالك في الكافية: «ذو ذات أنثاه»، قوله: (**الملتزم فيه الإضافة لغير العلم من ظاهر**)، يعني أن لفظ: «ذو» يلتزم فيه الإضافة إلى الاسم الظاهر غير العلم، تقول: ذو مال، وذو فضل، وذو حياء، ولا تقول: «ذوه»: بالإضافة إلى الضمير، ولا يضاف «ذو» إلى الاسم الظاهر إذا كان هذا الاسم علمًا، فلا تقول: ذو زيد، ويستثنى من هذا إذا كان لفظ: «ذو» جزء من الاسم العلم، كقولهم: ذو يزن، وذو الكلاع: لرجلين، وذو سلم: لموضع[2]، قال ابن مالك في الكافية:

وقل أن يضاف ذو إلى علم	غير مُصَدَّرٍ به كذي سلم

ومعنى قول ابن مالك: (**وجريان الأصل يجري الفرع**)، أن الفرع ـ وهو هنا: «ذات» ـ يجري مجرى الأصل ـ وهو: «ذو» ـ فكما أن «ذو» يلتزم فيها الإضافة إلى الاسم الظاهر غير العلم، فكذلك «ذات» يلتزم فيها الإضافة إلى الاسم الظاهر

---

(1) جواهر الأدب: 40/ 2.

(2) شرح الكافية، لابن مالك: 417/ 1.

غير العلم، وحينئذ لا تصح إضافتها إلى لفظ الجلالة: «الله» لكونه اسمًا ظاهرًا علمًا عليه سبحانه وتعالى، ولأن «ذات» بمعنى صاحبة، والله سبحانه وتعالى لا صاحبة له، وكذلك لا تصح إضافتها إلى الضمير لكونه غير اسم ظاهر.

قال المصنف:

نَعَــــمْ، أتَـــــتْ مُـــــضَافةً للهِ	فِي كَــــــذَبَاتِ القَانِــــتِ الأوَّاهِ
وَهْـــوَ شُـــذُوذٌ، وَنَظِـــيرُهُ (ذُو	بَكّــةَ) مِمَّـــا وَجْهَـــهُ الــشُّذُوذُ

الشرح: تقدم أن الأصل إضافة «ذات» إلى «الإله» لا إلى اسم الجلالة: «الله» ولا إلى الضمير، وبما أنها وردت مضافة لاسم الجلالة، أراد المصنف أن يعتذر عن ورودها كذلك، وأنه لا يعدو كونه شاذًّا، كإضافة: «ذو» ـ أصل: «ذات» ـ إلى: «تبوك» في قول بعض العرب: «ذو تبوك»، قال ابن مالك: ومثله: «أنا الله ذو بكة»، وجد مكتوبًا في حجر من أحجار الكعبة قبل الإسلام[1]، قال ابن مالك في الكافية:

ونحــو: ذي تبــوك ذي بكــة قــد	شـــذ فـــلا تنكـــر نظـــيرًا إن ورد

(في كذبات القانت الأواه): قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:120] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:114] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود:75]، قال ابن كثير:القانت هو: الخاشع المطيع[2]، والأواه، هو: الدعَّاء، قاله ابن مسعود، وقال قتادة إنه الرحيم أي بعباد الله، وقال ابن عباس: المؤمن التواب، وقال العوفي عن ابن عباس: هو المؤمن بلسان الحبشة، وعن مجاهد: الأواه: الحفيظ الوجل، يذنب الذنب سرًّا، ثم

---

(1) شرح الكافية: 417/ 1.

(2) عمدة التفسير: 404/ 2.

يتوب منه سرًّا[1]، قال ابن جرير ـ وقد ذكر الأقوال الواردة في تفسير الأواه ـ: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود، الذي رواه عنه زر: أنه الدعَّاء، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله ذكر ذلك، ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:114]، وترك الدعاء والاستغفار له، ثم قال: إن إبراهيم لدَعَّاء لربه، شاكٍ له، حليم عمن سبه وناله بالمكروه، وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له، ودعاء الله له بالمغفرة، عند وعيد أبيه إياه، وتهدده له بالشتم، بعد ما رد عليه نصيحته في الله وقوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم:46]، فقال له صلوات الله عليه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: 47 ـ 48]، فوفى لأبيه بالاستغفار له، حتى تبين له أنه عدو لله، فوصفه الله بأنه دعَّاء لربه، حليم عمن سفه عليه، وأصله من: «التأوه»، وهو: التضرع، والمسألة بالحزن، والإشفاق[2].

(وهو شذوذ)، أي أن ورود لفظ: «الذات» مضافًا لاسم الجلالة: «الله» لا يعدو كونه شاذًا، (ونظيره) أي في الشذوذ: ما وجد مكتوبًا على حجر من أحجار الكعبة قبل الإسلام: أنا الله (ذو بكة)، فهذا وما شابهه (**مما وجهه الشذوذ**)، أي مما حمله أهل العلم على الشذوذ.

---

(1) عمدة التفسير: 201 ـ 202/ 2.

(2) تفسير الطبري: 532 ـ 533/ 14، وعمدة التفسير: 202/ 2.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن لفظ الذات في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتأخرين بل يراد به ما يضاف إلى الله كما قال خبيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

وذلـــك في ذات الإله وإن يـــشأ ... يبـارك عـلى أوصـال شـلو مـمزع

ومنه الحديث: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلها في ذات الله». ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [الأنفال: 1]، ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحديد: 6] ونحو ذلك، فإن ذات تأنيث: (ذو) وهو يستعمل مضافًا يتوصل به إلى الوصف بالأجناس فإذا كان الموصوف مذكرًا قيل: ذو كذا؛ وإن كان مؤنثًا قيل: ذات كذا كما يقال: ذات سوار، فإن قيل: أصيب فلان في ذات الله فالمعنى في جهته ووجهته: أي فيما أمر به وأحبه؛ ولأجله. ثم إن الصفات لما كانت مضافة إلى النفس فيقال في النفس أيضًا إنها ذات علمٍ وقدرةٍ وكلام ونحو ذلك حذفوا الإضافة وعرَّفوها فقالوا: الذات الموصوفة أي النفس الموصوفة فإذا قال هؤلاء المؤكدون: «الذات» فإنما يعنون به النفس الحقيقية؛ التي لها وصف ولها صفات. اهـ[1].

قال المصنف:

وَمَـــا نَقُـــولُ فِي صِـــفَاتِ قُدْسِـــهِ ... فَـــرْعُ الـــذِي نَقُولُـــهُ فِي نَفْـــسِهِ

فَإِنْ يَقُلْ جَهْمِيُّهُمْ: كَيفَ استَوَى؟ ... كَيفَ يَجِي؟ فقلْ لـهُ: كَيفَ هُوَا؟

لا فَـــرْقَ بَـــينَ مَـــا سَـــمِيُّهُ يُعَـــدْ ... وَصْفًا لَنَا كَـ(عِلْمٍ) أو جُزْءًا كَـ(يَدْ)

البَـــابُ فِي الجَمِيـــعِ وَاحِـــدٌ فَـــلَا ... تَكُـــنْ مُعطِّـــلًا وَلا مُـــمَثِّلا

الشرح: أصل المؤلف رحمه الله تعالى هنا قاعدة عظيمة في باب الصفات، وهي: أن الكلام في الصفات فرع الكلام في النفس، فكما أننا نثبت وجوده سبحانه

(1) مجموع الفتاوي: 334 ـ 345/ 3.

وتعالى من غير مماثلة للمخلوقين، فكذلك نثبت له ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ فيما صح عنه، من غير مماثلة لصفات المخلوقين.

(وما نقول في صفات قدسه) من الإثبات لحقائقها بدون تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف: **(فرع)** أي: متفرع عن **(الذي)** نعتقده وندين الله به من القول **(في نفسه)** سبحانه وتعالى.

(فإن) لم يرُق هذا المذهب السليم، والمنهج القويم، لمن ضل عن الهدى و: **(يقل)** لك **(جهميهم)**: نسبة إلى: الجهم بن صفوان، معترضًا على كتاب ربه، وسنة نبيه ﷺ، ابتغاء نصر ما لم يأذن الله بنصره، من الاعتقاد الفاسد، والرأي الكاسد: **(كيف استوى)** الله سبحانه وتعالى على العرش؟ **(كيف يجي)**ء سبحانه وتعالى؟ **(فقل له)**، أي: لهذا الجهمي: **(كيف هوا)**؟ فإن معرفة كيفية الصفة تابعة لمعرفة كيفية الموصوف، فإن جُهلت كيفيته جُهلت كيفيتها كذلك، إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات: يحتذى حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف[1].

قال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رحمه الله تعالى: وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا ـ جل ذكره ـ أنه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى اهـ[2].

---

(1) مجموع الفتاوي: 196/ 3.

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص: 46.

واعلم أنه (**لا فرق بين ما سميه**)، قال في القاموس: وسميك: من اسمه اسمك ونظيرك[1] (**يعد وصفا لنا كعلم**) وقدرة، واستواء، وكلام، وغيرها (**أو**) يعد (**جزء**) لنا (**كيد**) وقدم، وإصبع، وعين ... (**الباب في الجميع واحد**) فالمفرق بين شيء من ذلك ـ بلا برهان ـ مبطل، لأن مجرد اشتراك أوصافنا وأجزائنا في الاسم مع صفات الباري سبحانه وتعالى لا يستلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى مماثلًا لمخلوقاته، حاشا وكلا، فقد وصف الله نفسه بأنه عظيم في غير موضع من كتابه، ووصف المخلوق بذلك فقال: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:129]، ووصف نفسه بالقدرة في غير موضع، ووصف المخلوق بالقدرة فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة:34]، ووصف نفسه بالعلم في غير موضع من القرآن، ووصف المخلوق بالعلم، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ [يوسف:68]، واجتمعا في قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:116]، ومعلوم أن علم الله ليس كعلمنا، وقدرته ليست كقدرتنا، وعظمته ليست كعظمتنا، وقال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة:64]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص:75]، وقال تعالى: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر:2]، وقال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ [الفتح:10]، وقال تعالى في مواضع من القرآن: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:54]، وقال تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزُّخرُف:13]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:39]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ ﴾ [البلد:8]، وقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا

---

(1) القاموس المحيط، ص: (1672).

مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحِجر:88]، وليست يد الله مماثلة لأيدي المخلوقين، ولا استواؤه مماثلا لاستوائهم، ولا عينه مماثلة لأعينهم، سبحانه وتعالى.

قال الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي رحمه الله تعالى: والأصل الذي يجب أن يعلم: أن اتفاق التسميات لا يوجب اتفاق المسمين بها، فنحن إذا قلنا: إن الله موجود رءوف واحد حي عليم بصير متكلم، وقلنا: إن النبي ﷺ كان موجودًا حيًا عالمًا سميعًا بصيرًا متكلمًا لم يكن ذلك تشبيهًا، ولا خالفنا به أحدًا من السلف والأئمة، بل الله موجود لم يزل، واحد حي قديم قيوم عالم سميع بصير متكلم فيما لم يزل، ولا يجوز أن يوصف بأضداد هذه الصفات، والموجود منا إنما وجد عن عدم، وحيي بمعنًى حَلَّه، ثم يصير ميتًا بزوال ذلك المعنى، وعلم بعد أن لم يعلم، وقد ينسى ما علم، وسمع وأبصر وتكلم بجوارح قد تلحقها الآفات، فلم يكن فيما أطلق للخلق تشبيه بما أطلق للخالق سبحانه وتعالى، وإن اتفقت مسميات هذه الصفات[1].

وقال الإمام الحافظ أبو عمر الطلمنكي رحمه الله تعالى: قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل: 89 ـ 90/ 2، ومن أراد الاستزادة في هذا الباب فليرجع إلى كلام الحافظ أبي عبد الله بن منده السابق، فإنه نفيس، وأضواء البيان: 201 ـ 213/ 2، للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي الجكني، رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أبدع، وأفاد، وأجاد.

وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض والسواد بالسواد والطويل بالطويل والقصير بالقصير ولو كانت الأسماء توجب اشتباها لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهًا للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجودُه الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم يعني ولا يلزم اشتباهُه بمن اتصف بهذه الصفات(1).

(**فلا تكن**) يا طالب الحق (**معطلًا**) لحقائق الأسماء والصفات (**ولا ممثلًا**) لها بصفات المخلوقات.

قال المصنف:

يَأْتِي، يَجِي، يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، يَضَعْ قَدَمَهُ عَلَى جَهَنَّمَ، يَسَعْ
بِفَضْلِهِ الخَلْقَ، يَدَاهُ بالعَطَا مَبْسُوطَتَانِ، كَيفَ شَاءَ بَسَطَا
كِلتَاهُمَا فِي يُمْنِهَا يَمِينُ فَهْو بِذَا مِنْ خَلْقِهِ يَبِينُ

الشرح: (**يأتي**) قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة:210]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام:158]، (**يجي**)، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر:22]، ومن تأول المجيء والإتيان بمجيء أمره فقد ادعى الباطل وقفا ما لا علم له به وآية البقرة تكذبه فقد فرق فيها بين إتيانه وإتيان ملائكته وقضاء أمره.

---

(1) العلو للعلي الغفار، ص: (246)، طبعة مكتبة أضواء السلف.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر:22]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [سورة البقرة:210] ونظائره، قيل: هو من مجاز الحذف تقديره وجاء أمر ربك، وهذا باطل من وجوه:

أحدها: أنه إضمار ما لا يدل اللفظ عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويُطَرِّق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصحح باطله.

الثاني: أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضماره، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

الثالث: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولًا على المتكلم بلا علم، وإخبارًا عنه بإرادة ما لم يقم دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.

الرابع: أن في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر:22] فعطفُ مجيءِ الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى بأن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:158] ففرّق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آياته، فقسّم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا فتأمله.

ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: هذا يأباه التقسيم والترديد والاطراد.

الخامس: أنه لو صرح بهذا المحذوف المقدر لم يحسن وكان كلامًا ركيكًا، فادعاء صدق ما يكون النطق به مشتركًا باطل، فإنه لو قال: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ملك ربك أو أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك كان مستهجنًا.

السادس: أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطراد، فكيف كان هذا المطرد مجازًا.

السابع: أنه لو كان المجيء والإتيان مستحيلًا عليه لكان كالأكل والشرب والنوم والغفلة، وهكذا هو عندكم سواء، فمتى عهدتم إطلاق الأكل والشرب والنوم والغفلة عليه ونسبتها إليه نسبة مجازية، وهي متعلقة بغيره؟ وهل في ذلك شيء من الكمال ألبتة؟ فإن قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:22] وأتى ويأتي عندكم في الاستحالة، مثل نام وأكل وشرب، والله لا يطلق على نفسه هذه الأفعال ولا رسوله لا بقرينة ولا مطلقة فضلًا عن أن تطرد نسبتها إليه، وقد اطرد نسبة المجيء والإتيان، والنزول والاستواء إليه مطلقا من غير قرينة تدل على أن الذي نُسِب إليه ذلك غيرُه من مخلوقاته، فكيف تسوغ دعوى المجاز فيه؟

الثامن: أن المجاز لو كان ثابتًا فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة إذ هي الأصل، فما الذي أحال حمل ذلك على حقيقته من عقل أو نقل أو اتفاقِ مَن اتفاقُهم حجة؟ فأما النقل والاتفاق فهو من جانب الحقيقة بلا ريب، وأما العقل فإنكم تزعمون أنكم أولى به منهم، وهم قد أبطلوا جميع عقلياتكم التي لأجلها ادعيتم أن نسبة المجيء والإتيان والنزول والاستواء إلى الله مجاز من أكثر من ثلاثمائة وجه، وقد ذكرناها فيما تقدم فسلم لهم النقل واتفاق السلف، فكيف والعقل الصريح من جانبهم، كما تقدم تقريره، فإن من لا يفعل شيئًا ولا يتمكن من فعل يقوم به بمنزلة الجماد.

التاسع: أن هذا الذي ادعوا حذفه وإضماره يلزمهم فيه كما لزمهم فيما أنكروه، فإنهم إذا قدروا وجاء أمر ربك ويأتي أمره ويجيء أمره وينزل أمره، فأمره هو كلامه وهو حقيقة، فكيف تجيء الصفة وتأتي وتنزل دون موصوفها، وكيف ينزل الأمر ممن ليس هو فوق سماواته على عرشه.

ولما تفطن بعضهم لذلك قال: أمره بمعنى مأموره، كالخلق بمعنى المخلوق والرزق بمعنى المرزوق فركّب مجازًا على مجاز بزعمه ولم يصنع شيئًا، فإن مأموره هو الذي يُكَوِّنه ويخلقه بأمره وليس له عندهم أمر يقوم به، ولا كلام يقوم به، وإنما ذلك مجاز من مجاز الكناية عن سرعة الانفعال لمشيئته تشبيها بمن يقول: كن، فيكون الشيء عقيب تكوينه، فركبوا مجازًا على مجاز ولم يصنعوا شيئًا، فإن هذا المأمور الذي يأتي إن كان ملكًا فهو داخل في قوله: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وإن كان شيئًا غير الملك فهو آية من آياته فيكون داخلًا في قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:158].

العاشر: أن ما ادعوه من الحذف والإضمار إما أن يكون في اللفظ ما يقتضيه ويدل عليه أو لا، فإن كان الثاني لم يجز ادعاؤه، وإن كان الأول كان كالملفوظ به، وعلى التقديرين فلا يكون مجازا، فإن المدلول عليه بالسياق حقيقة وغير المدلول عليه يمتنع تقديره اهـ(1).

قال الإمام المجتهد المطلق أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى: فمن أنكر شيئًا مما قلنا من ذلك، قلنا له: إن الله تعالى ذكره يقول في كتابه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:22]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:210]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:158]، فهل أنت مصدقٌ بهذه الأخبار، أم أنت مكذبٌ بها؟ فإن زعم أنه بها مكذب، سقطت المناظرة بيننا وبينه من هذا الوجه، وإن زعم أنه بها مصدقٌ، قيل له: فما أنكرت من الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ: «**أنه يهبط إلى السماء الدنيا فينزل إليها**»؟ فإن قال: أنكرت ذلك؛

(1) الصواعق المرسلة، ص: 686 ـ 687.

أن الهبوط نقلة، وأنه لا يجوز عليه الانتقال من مكانٍ إلى مكان؛ لأن ذلك من صفات الأجسام المخلوقة!

قيل له: فقد قال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:22] فهل يجوز عليه المجيء؟ فإن قال: لا يجوز ذلك عليه، وإنما معنى هذا القول: وجاء أمر ربك.

قيل: قد أخبرنا ـ تبارك وتعالى ـ أنه يجيء هو والملك؛ فزعمت أنه يجيء أمره لا هو؛ فكذلك تقول: إن الملك لا يجيء، إنما يجيء أمر الملك لا الملك؛ كما كان معنى مجيء الرب ـ تبارك وتعالى ـ مجيء أمره.

فإن قال: لا أقول ذلك في الملك، ولكني أقول في الرب.

قيل له: فإن الخبر عن مجيء الرب ـ تبارك وتعالى ـ والملك خبرٌ واحدٌ، فزعمت في الخبر عن الرب ـ تعالى ذكره ـ أنه يجيء أمره لا هو؛ فزعمت في الملك أنه يجيء بنفسه لا أمره، فما الفرق بينك وبين من خالفك في ذلك، فقال: بل الرب هو الذي يجيء، فأما الملك فإنما يجيء أمره لا هو بنفسه؟!

فإن زعم أن الفرق بينه وبينه: أن الملك خلقٌ لله جائز عليه الزوال والانتقال، وليس ذلك على الله جائزًا.

قيل له: وما برهانك على أن معنى المجيء والهبوط والنزول هو النقلة والزوال، ولا سيما على قول من يزعم منكم أن الله ـ تقدست أسماؤه ـ لا يخلو منه مكان.

وكيف لم يجز عندكم أن يكون معنى المجيء والهبوط والنزول بخلاف ما عقلتم من النقلة والزوال من القديم الصانع، وقد جاز عندكم أن يكون معنى العالم والقادر منه بخلاف ما عقلتم ممن سواه، بأنه عالمٌ لا علم له، وقادرٌ لا قدرة له؟

وإن كنتم لم تعقلوا عالما إلا له علم، وقادرًا إلا له قدرة، فما تنكرون أن يكون صائبا لا مجيء له، وهابطا لا هبوط له ولا نزول له، ويكون معنى ذلك وجوده هناك مع زعمكم أنه لا يخلو منه مكان!

فإن قال لنا منهم قائل: فما أنت قائل في معنى ذلك؟

قيل له: معنى ذلك ما دل عليه ظاهر الخبر، وليس عندنا للخبر إلا التسليم والإيمان به، فنقول: يجيء ربنا ـ جل جلاله ـ يوم القيامة والملك صفًا صفا، ويهبط إلى السماء الدنيا وينزل إليها في كل ليلة، ولا نقول: معنى ذلك ينزل أمره؛ بل نقول: أمره نازل إليها كل لحظة وساعة وإلى غيرها من جميع خلقه الموجودين ما دامت موجودة، ولا تخلو ساعة من أمره فلا وجه لخصوص نزول أمره إليها وقتًا دون وقت، ما دامت موجودة باقية.

وكالذي قلنا في هذه المعاني من القول: الصواب من القيل في كل ما ورد به الخبر في صفات الله ـ وأسمائه تعالى ذكره بنحو ما ذكرناه[1].

(يكشف عن ساق): فيه إثبات صفة الساق لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق به سبحانه وتعالى، روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا**»[2]، **(يضع قدمه على جهنم)**: فيه إثبات القدم لله، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض**» أخرجاه في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ واللفظ للبخاري[3].

---

(1) التبصير في معالم الدين، ص: 142 ـ 147.

(2) صحيح البخاري: (4919).

(3) صحيح البخاري: (6661)، وصحيح مسلم: (2848).

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى: باب ذكر إثبات الرجل لله عَزَّوَجَلَّ وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا عَزَّوَجَلَّ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ قال الله عَزَّوَجَلَّ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ [سورة الأعراف:195].

فأعلمنا ربنا جل وعلا أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل، فالمعطلة الجهمية: الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس: كالأنعام بل أضل؛ فالمعطلة الجهمية عندهم كالأنعام بل هم أضل اهـ[1].

(يسع بفضله الخلق) قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:53]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:34]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:20]، **(يداه بالعطا مبسوطتان)**: فيه إثبات صفة اليد لله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:64]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص:75]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح:10]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس:71]، وقال ﷺ: **(يد الله ملأى لا تغيضها نفقة،**

(1) التوحيد، ص: 90.

سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، **وبيده** الميزان، يخفض ويرفع)[1].

وقال ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟ قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى... ثلاثًا**»[2].

وقال النبي ﷺ: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي...**»، الحديث[3].

وقال ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**»[4].

وفي رواية: «**ما تصدق عبد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد إلى السماء إلا طيب إلا كأنما يضعها في يد الرحمن فيربيها له كما**

(1) أخرجه البخاري: (4684)، بهذا اللفظ عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضا: (7419)، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة، بلفظ: (إن يمين الله ملأى)، وبلفظ: (يمين الله) أخرجه مسلم: (993)، من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج به، ومن طريق عبد الرزاق عن معمر به.

(2) أخرجه البخاري: (6614)، واللفظ له، ومسلم: (2652)، من طريق سفيان قال: حفظناه من عمرو عن طاوس سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ.

(3) أخرجه البخاري: (4476)، ومسلم: (193)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

(4) أخرجه البخاري: (1410)، ومسلم: (1014)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم.

يربي أحدكم فلوه وفصيله حتى إن اللقمة أو التمرة لتأتي يوم القيامة مثل الجبل العظيم»[1].

وقال ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2].

وقال ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة...**»، الحديث[3].

وقال ﷺ: «**يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله ـ ويقبض أصابعه ويبسطها ـ أنا الملك**»[4].

(**كيف شاء بسطا**): تقدم الكلام على التكييف بما يكفي ويشفي. (**كلتاهما**) أي: اليدين، (**في يمنها**)، اليمن بضم الياء: البركة، (**يمين**) كما قال النبي ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[5].

(**فهو**) أي: الله سبحانه وتعالى (**بذا**) أي بكون كلتا يديه يمينًا، (**من خلقه يبين**)، لأن الخلق لهم أيمان وشمائل والله كلتا يديه يمين، وقد جاء في صحيح الإمام مسلم من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن**

---

(1) صحيح ابن حبان: (270).

(2) أخرجه مسلم: (2759)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(3) أخرجه البخاري: (6520)، ومسلم: (2792)، واللفظ لمسلم، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(4) أخرجه مسلم، عقب الحديث رقم: (2788)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(5) أخرجه مسلم: (1827)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[1].

قال البيهقي: وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة[2] عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره عن النبي ﷺ، فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، وروي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة؛ تفرد بأحدهما: جعفر بن الزبير، وبالآخر: يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتي يديه يمينًا، وكأن من قال

---

(1) صحيح مسلم: (2788).

(2) فيه نظر فقد أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (702) قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النجار قال: أخبرنا أبو ذر يحيى بن زيد بن العباس البجلي قال: ثنا عمي علي بن العباس بن الوليد قال: ثنا مقدم يعني ابن محمد بن مقدم المقدمي قال: ثنا عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: (يقبض الله الأرض بشماله وتكون السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك)، قال اللالكائي: أخرجه البخاري عن المقدمي اهـ.

قال محمد بن ادِّ: أخرجه البخاري بهذا السند بلفظ: (إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماء بيمينه ...)، ومحمد شيخ اللالكائي وأبو ذر شيخه لم أقف لهما على ترجمة.

وعمر بن حمزة هذا قال عنه الإمام أحمد: أحاديثه أحاديث مناكير (العلل ومعرفة الرجال رواية ابنه عبد الله 2/506). وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكون «470»). وذكره ابن حبان في الثقات 7/168 وقال: كان ممن يخطئ. وقال ابن عدي في الكامل 7/383: هو ممن يكتب حديثه. وقال الحاكم: أحاديثه كلها مستقيمة، وقال ابن معين: عمر بن حمزة أضعف من عمر بن محمد بن زيد (التاريخ رواية عباس «2026»، والجرح والتعديل 6/104). وانظر: تهذيب التهذيب: 3/220، وقال أيضًا: ضعيف. (رواية الدوري: «478»). وعمر بن محمد بن زيد قال عنه ابن معين: كان صالح الحديث. (رواية الدوري: «1129»)، وقال أحمد: شيخ ثقة ليس به بأس. (العلل برواية ابنه عبد الله «358») وقال: ثقة. (العلل «3337»)، والعجلي، وأبو داود: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق (الجرح والتعديل 6/132)، وقال النسائي: ليس به بأس، وانظر: بقية الأقوال في الثناء عليه في تهذيب التهذيب: 3/250. فتبين من حال عمر بن حمزة أن ما تفرد به لا يقبل، وأين أصحاب سالم الأثبات، والنجوم الثواقب؟!

ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتْبِ التوراةِ بيده وغرْسِ جنةِ عدن بيده وتخمير طينة آدم بيده ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه، فقال: «اخترت يمين ربي»، وأخْذِ الصدقةِ بيمينه يربيها لصاحبها، وكتابِهِ بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان: اختر، فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى، وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي بإسناد صحيح[2] عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «أن الملائكة قالت: يا رب قد أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا؟ فقال: لا أفعل، فأعادوا ذلك، فقال: لا أفعل، فأعادوا ذلك عليه فقال: «وعزتي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»»[3].

---

(1) الأسماء والصفات: 252/ 2.

(2) في إسناده: عبد الله بن صالح كاتب الليث والكلام فيه مشهور.

(3) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، ص: 91.

ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة عن النبي ﷺ مرسلًا[1].

وقوله: «الأيدي ثلاثة، فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى» فهل يصح في عقل أو لغة أو عرف أن يقال: قدرة الله أو نعمته العليا ويد المعطي التي تليها، فهل يحتمِل هذا التركيبُ غيرَ يد الذات بوجه ما؟ وهل يصح

---

(1) قال عبد الله في كتاب السنة 469/ 2: حدثنا الهيثم بن خارجة ثنا عثمان بن علاق. وهو عثمان بن محصن بن علاق. قال: سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ به.

قلتُ: وهذا إسناد رجاله ثقات غير الأنصاري فلم أعرفه، قال المزي: قيل إنه جابر بن عبد الله. (تهذيب الكمال 9/ 20). قلت: يؤيد ذلك أن البيهقي رواه في الأسماء والصفات 122 ـ 123/ 2 قال: وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا جنيد بن حكيم ثنا هشام بن عمار ثنا عبد ربه بن صالح قال: سمعت عروة بن رويم اللخمي يحدث عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: ... فذكره.

قلت: هذه الرواية ضعيفة منكرة فقد رواه أبو زرعة الرازي عن هشام بن عمار به وقال: «عن الأنصاري» لم يقل: «عن جابر». (الأسماء والصفات 121 ـ 122/ 2). وجنيد بن حكيم قال الدارقطني: ليس بالقوي. (سؤالات الحاكم للدارقطني 73).

ولو صح السند فإن عروة لم يسمع من جابر، فقد قال إبراهيم بن موسى: ليت شعري أن أعلم عروة بن رويم ممن سمع فإن عامة حديثه مراسيل. (الجرح والتعديل 396/ 6).

وقال أبو حاتم الرازي: عامة أحاديثه مراسيل لقي أنسا وأبا كبشة. (الجرح والتعديل 396/ 6).

وقال المزي في التهذيب 8/ 20: روى عن أنس بن مالك وثوبان مولى رسول الله ﷺ يقال: مرسل وجابر بن عبد الله كذلك اهـ.

تنبيهان:

الأول: قال المزي في التهذيب 9 ـ 10/ 20: وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه: عامة أحاديثه مراسيل، سمعت إبراهيم بن مهدي. يعني: المصيصي. يقول: ليت شعري إني أعلم ... اهـ.

قلتُ: قوله: «إبراهيم بن مهدي يعني المصيصي» خطأ، صوابه: «إبراهيم بن موسى» كما في الجرح والتعديل 396/ 6.

الثاني: قال الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني في تعليقه على كتاب السنة 469/ 2: في سنده: عثمان بن علاق لم أقف له على ترجمة اهـ.

قلتُ: قال أبو زرعة الرازي: لا بأس به. (الجرح والتعديل 157/ 6). وقال أبو مسهر: كان ثقة من طلبة العلم. (تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص: 167). وقال أبو داود: ثقة. (سؤالات أبي عبيد الآجري 215/ 2). وله ترجمة في تهذيب الكمال 351 ـ 352/ 19.

أن يراد به غير ذلك؟ وكذلك قوله: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة، فضُمَّ هذا إلى قوله: الأيدي ثلاثة، فيد الله العليا، ويد المعطي هي التي تليها، وإلى قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [سورة المائدة:64] تقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن التركيب والقصد والسياق لا يحتمله ألبتة.

وتأمل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح:10]. فلما كانوا يبايعون رسول الله ﷺ بأيديهم ويضرب بيده على أيديهم، كان رسول الله ﷺ هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى، ولما كان سبحانه فوق سماواته وعلى عرشه فوق الخلائق كلهم كانت يده فوق أيديهم كما أنه سبحانه فوقهم، فهل يصح هذا لمن ليس له يد حقيقة؟ فكيف يستقيم أن يكون المعنى قدرة الله ونعمته فوق قدرهم ونعمهم، أم تقتضي المقابلة أن يكون المعنى هو الذي يسبق إلى الأفهام من هذا الكلام؟

وكذلك قوله: «ما تصدق أحد صدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل»، فهل يحتمل هذا الكلامُ غيرَ الحقيقة؟ وهب أن اليد تستعمل في النعمة، أفسمعتم أن اليمين والكف يستعملان في النعمة في غير الوضع الجديد الذي اخترعتموه وحملتم عليه كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

وكذلك: «وبيده الأخرى القسط» هل يصح أن يكون المعنى وبقدرته الأخرى؟ وهل يصح في قوله: «إن المقسطين عن يمين الرحمن» أنه عن قدرته في لغة من اللغات؟ وهل سمعتم باستعمال اليمين في النعمة والكف في النعمة؟ وكيف يحتمل قوله: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره، ثم أفاض بهم في كفه» كف

النعمة والقدرة؟ وهذا لم تعهدوا أنتم ولا أسلافكم به استعمالا ألبتة سوى الوضع الجديد الذي اخترعتموه.

وكذلك قوله: «خمر الله طينة آدم ثم ضرب بيده فيها فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بيده الأخرى ثم خلط بينهما» فهل يصح في هذا السياق غير الحقيقة؟ فضع لفظ النعمة والقدرة هاهنا، ثم انظر هل يستقيم ذلك، وهل يصح في قوله: «والخير كله في يديك» أن يكون في نعمتيك أو في قدرتيك.

وقال عبد الله بن الحارث عن النبي ﷺ: «**إن الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده**»، أفيصح أن يخص الثلاث بقدرته، ولا سيما لفظ الحديث: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء» أفيصح أن توضع النعمة والقدرة موضع اليد هاهنا؟[1].

قال المصنف:

يَــرَى وَلا يَــرَاهُ مِنَّــا ذُو بَــصَرْ ... حَتَّى يَمُوتَ، مِثْلَ مَا جَا في الخَبَرْ

الشرح: (يرى) قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق:14]، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46]، هذا إذا كان قول المصنف: «يرى» غير مبني للمجهول، أما إن كان مبنيًّا للمجهول فإن معناها حينئذ أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة[2]، كما ذكرها الله في القرآن وأجمع عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولم ينكرها إلا طوائف الضلال كالمعتزلة والجهمية، ومن نحا نحوهم، واستن بسنتهم، واقتدى بهديهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا

(1) مختصر الصواعق المرسلة، ص: 405 ـ 407.

(2) انظر: عمدة التفسير: 804/ 1، و: 55/ 2، و: 611 ـ 612/ 3.

وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف:143]، ووجه الدليل: أن موسى سأل ربه الرؤية، فلو كانت غير ممكنة للزم جهل موسى بما يمكن في حق ربه سبحانه وتعالى، وهذا عظيم جدا، وتعليق الرؤية باستقرار الجبل ـ وهو ممكن ـ يفيد عدم استحالة الرؤية، لا كما يفتري المعتزلة.

قال الإمام أبو عبد الله بن أبي زمنين ـ أحد أئمة المالكية ـ رحمه الله تعالى: ومن قول أهل السنة إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه ... وساق الآيات والأحاديث على ذلك[1].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى: وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: 143] دلالة واضحة لمن أراد الله هداه أنه يُرى إذا شاء ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: 103] وقد شاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: 22-23] ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: 143]، وفي هذا بيان أنه لا يُرى في الدنيا لأن أبصار الخلائق لم تعط في الدنيا تلك القوة، والدليل على أنه ممكن أن يرى في الآخرة شرطُه[2] في الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل ولا يستحيل وقوعه ولو كان محالًا كون الرؤية[3] لقيدها بما يستحيل

(1) أصول السنة، ص: (120 ـ 127).

(2) في الطبعة المغربية 7/153: «بشرطه»، وكذا في فتح البر: 2/30، وما أثبتناه هو الذي في موسوعة شروح الموطأ: 7/252.

(3) قوله: «كون الرؤية» بمعنى حصولها.

وجوده كما فعل بدخول الكافرين الجنة قيد قبل ذلك بما يستحيل من دخول الجمل في سم الخياط ولا يشك مسلم أن موسى كان عارفا بربه وما يجوز عليه فلو كان عنده مستحيلًا لم يسأله ذلك ولكان بسؤاله إياه كافرا كما لو سأله أن يتخذ شريكًا أو صاحبة وإذا امتنع أن يرى في الدنيا بما ذكرنا لم يكن لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23] وجه إلا النظر إليه في القيامة على ما جاء في الآثار الصحاح عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل اللسان وجعل الله عَزَّوَجَلَّ الرؤية لأوليائه يوم القيامة ومنعها من أعدائه ألم تسمع إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] وإنما يحتجب الله عن أعدائه المكذبين ويتجلى لأوليائه المؤمنين وهذا معنى قول مالك في تفسير هذه الآية، وأما قوله في تأويل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23] فإن أشهب روى عن مالك أنه سمعه وسئل عن قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23] قال: ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143]، **وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأي.** انتهى كلامه(1).

ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفين:15]، ومعلوم أنه ليس إلا كافر أو مؤمن، فإذا حجب الكافر علمنا يقينا أن المسلم بخلافه، وإلا لزم استواؤهما، وقد أبى الله ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:35]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية:21]، وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص:28].

---

(1) التمهيد: 153 ـ 154/ 7.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس:26]، قال الحافظ ابن كثير: وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم عن: أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وقتادة، والسدي، وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ(1).

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22 ـ 23].

وأما السنة فعن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته...**»، الحديث(2).

وقال ﷺ: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»(3).

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّ وَجَلَّ»(4).

---

(1) عمدة التفسير: 2/223.

(2) أخرجه البخاري: (554)، ومسلم: (633)، واللفظ له.

(3) أخرجه البخاري: (7444)، ومسلم: (180)، من طريق أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ، وهذا لفظ مسلم، وأخرجه البخاري في: (4878)، وفي: (4880)، بلفظ: (رداء الكبر)، ولم يقل: (الكبرياء).

(4) أخرجه مسلم: (181)، من طريق عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب به، ثم أسند بعده من طريق يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد، وزاد: (ثم تلا هذه الآية: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة).

وفي الباب عن: أبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن مسعود، وأنس، وعدي بن حاتم، وبريدة بن الحصيب، وغيرهم، وقد جمع أحاديث الباب في تصانيف مستقلة جماعة من أهل العلم، منهم: أبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر الآجري، وابن النحاس، كما جمعها ابن القيم في كتابه: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»[1]، وحافظ بن أحمد حكمي في كتابه: «معارج القبول»[2].

قال الإمام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية كلها صحاح. اهـ[3].

وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رحمه الله تعالى: وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم، وأشار ابن وهب إلى عينه. اهـ[4].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها ـ ثم ذكر بعضها وقال ـ:

ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ في العرصات، وفي روضات الجنات ـ إلى أن قال ـ: ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقًا في

---

(1) حادي الأرواح: 625 ـ 685/ 2.

(2) معارج القبول: 306 ـ 333/ 1.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص: 225.

(4) الرسالة الوافية، ص: (165).

مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق، وهذا بحمد الله **مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام**[1].

وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى: وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم. اهـ[2].

قال المصنف:

...... وَلا يَــرَاهُ مِنَّـــا ذُو بَــصَرْ حَتَّى يَمُوتَ، مِثْلَ مَا جَا في الخَبَرْ

يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يراه ذو بصر في هذه الدنيا، كما وردت الأخبار بذلك، قال ﷺ: «**تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عَزَّوَجَلَّ حتى يموت**»[3].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حيوة بن شريح ويزيد بن عبد ربه قالا: حدثنا بقية حدثني بَحِير بن سعْد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية أنه حدثهم عن عبادة بن الصامت أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج[4]، جعد[5]، أعور، مطموس العين[6]، ليس بناتئة[7]، ولا**

---

(1) عمدة التفسير: 611 ـ 612/ 3.

(2) الرسالة: (207/ 1 ـ العجالة).

(3) أخرجه مسلم: (2931)، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

(4) الفحج تباعد ما بين الفخذين كما في النهاية: 415/ 3.

(5) الجعد له معان انظرها في النهاية: 275/ 1، أنسبها هنا ـ عندي ـ أنه: «القصير المتردد الخلق».

(6) أي: ممسوحها من غير بخَص كما في النهاية: 139/ 3، والبخَص بتحريك الخاء لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق الناظر إذا أنكر شيئًا وتعجب منه (كما في النهاية 102/ 1).

(7) أي: مرتفعة، فاعلة من النتوء كما في (عون المعبود 444/ 11).

حجراء[1]**، فإن أَلبَس عليكم، قال يزيد: ربُّكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن ترون ربكم حتى تموتوا»** قال يزيد: «تروا ربكم حتى تموتوا»[2].

وقال الإمام النسائي رحمه الله تعالى: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أنا بقية بن الوليد قال: ثنا بَحِير بن سعْد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود أن جنادة بن أبي أمية حدثهم عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: **«إني حدثتكم عن مسيح الدجال حتى خفت أن لا تعقلوه هو قصير فجِج**[3] **جعد أعور مطموس عين اليسرى ليس بناتئة ولا حجراء فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»**[4].

وقال الإمام أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بَحِير بن سعْد به لكن ليس عنده: «وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[5].

---

(1) في مسند أحمد وسنن النسائي الكبرى طبعة مؤسسة الرسالة: «حجراء» بتقديم الحاء المهملة على الجيم، وفي سنن أبي داود طبعة مؤسسة الرسالة: «جحراء» وكذا في طبعة دار التأصيل لسنن أبي داود: 472/ 6، وكذا في طبعة دار التأصيل للسنن الكبرى للنسائي: 177/ 8 بتقديم الجيم على الحاء المهملة ويؤيد رواية أبي داود أن ابن الأثير ذكر هذه الكلمة في باب: «الجيم مع الحاء» وإن كان ابن الأثير أوردها أيضًا بعد ذلك 343/ 1 في باب: «الحاء مع الجيم» ونقل عن الهروي أنه قال: إن كانت هذه اللفظة محفوظة فمعناها أنها ليست بصلبة متحجرة اهـ وعلى رواية أبي داود «جحراء» قال ابن الأثير 240/ 1: أي: غائرة منجحرة (وتصحفت: منحجرة) في نقرتها اهـ.

(2) مسند أحمد 423 ـ 424/ 37.

(3) هكذا في طبعة الرسالة «فجج» بجيمين، وفج ما بين رجليه فتحه كما في القاموس المحيط، ص: (183)، وفي طبعة دار التأصيل: «فحج» بحاء مهملة ثم جيم وقد علقوا عليها بما يلي: كذا في (م) والصواب كما في مصادر الحديث: «أفحج».

(4) السنن الكبرى 165/ 7.

(5) السنن 4320.

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون الحافظ ثنا إسحاق بن راهويه ثنا بقية بن الوليد ثنا بحير بن سعد به.

قال أبو نعيم: لم يروه بهذه الألفاظ إلا خالد تفرد به عنه بحير[1].

وإسناده جيد لأن بقية إذا روى عن المعروفين فهو ثقة كما جزم به غير واحد[2].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى: حديث حسن متصل[3].

قلت: تصحف في الحلية «بحير بن سعد» إلى: «يحيى بن سعيد».

قال المصنف:

يَسْمَعُ، يُبْصِرُ، يُحِبُّ، يَعجَبُ ... يَضحَكُ، يَرضَى، يَستَجِيبُ، يَغْضَبُ

يُبغِضُ، يَطْمِسُ الوجُوهَ، يَطْبَعُ ... يَقْبِضُ، يَبسُطُ ويُعْطِي، يَمْنَعُ

يَخفِضُ، يَرفَعُ، يُعِزُّ وَيُذِلْ ... يَكْرَهُ، يَمْقُتُ وَيَهْدِي وَيُضِلْ

يُقْبِلُ، يُعْرِضُ، يَتُوبُ، يَرْحَمُ ... يَأخُذُ مِنَّا الصَّدَقَاتِ، يُطْعِمُ

وَلَيسَ يُطْعَمُ، وَلَنْ يَنَالَهْ ... لُحُومُ أو دِمَاءُ مَا يُهدَى لَهْ

الشرح: (يسمع يبصر) فيه إثبات صفتي: السمع والبصر، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46]، وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، وقال تعالى: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران:163]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحُجُرات:18]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ

---

(1) حلية الأولياء 235/ 9.

(2) راجع ترجمته في: تهذيب الكمال: 192 ـ 200/ 4، وإكمال تهذيب الكمال: 6 ـ 10/ 3.

(3) أخبار الدجال، ص: (14).

بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران:181]، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:1].

(يحب) فيه: إثبات صفة المحبة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 76]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: 222]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 54]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: 31].

قال قوام السنة رحمه الله تعالى: فصل في إثبات صفة المحبة والفرق بينها وبين الإرادة، والإرادةُ غير المحبة والرضا، فقد يريد ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه، قال بعض السلف: إن الله يقدر ما لا يرضاه بدليل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: 7]، وقال قوم من المتكلمين: من أراد شيئًا فقد أحبه ورضيه، وإن الله تعالى رضي المعصية والكفر، ودليلنا: أنه قد ثبت إرادته للكفر ونفي رضاه به فقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: 125]، وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: 7] فأثبت الإرادة ونفى الرضا. اهـ[1].

(يعجب) فيه: إثبات صفة العجب، قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: 12]، والاستدلال بالآية إنما يتم على قراءة من ضم التاء من: «عجبتُ»[2]، قال ﷺ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»[3].

---

(1) الحجة في بيان المحجة: 458 ـ 460/ 1.

(2) قال الإمام ابن الجزري في تقريب النشر، ص: (184 ـ 185) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (بل عجبتُ) بضم التاء، والباقون بفتحها.

(3) أخرجه البخاري: (3010)، من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «**من يضيف هذا الليلة رحمه الله**»؟، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ، فقال: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**»(1).

(**يضحك**) فيه: إثبات صفة الضحك لله كما يليق بجلاله، قال رسول الله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»(2).

(يرضى) فيه إثبات صفة الرضى، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة:119]، وقال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزُّمَر:7]، وقال ﷺ: «**إن**

---

(1) صحيح مسلم: (2054).

(2) أخرجه البخاري: (2826)، ومسلم: (1890)، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:...فذكره.

الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»(1).

(يستجيب) لمن دعاه كما قال ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ـ وذكر الحديث وفيه ـ : من يدعوني فأستجيب له»(2).

(يغضب) فيه إثبات صفة الغضب كما يليق بجلال الله وعظمته قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: 14]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: 9]، وفي حديث الشفاعة الطويل قول آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم: «إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ...»(3).

(يبغض) قال ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء»(4).

وقال ﷺ: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل ـ وذكر الحديث وفيه ـ : وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول:

---

(1) أخرجه مسلم: (1715)، من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:...فذكره.

(2) أخرجه البخاري: (1145)، ومسلم: (758)، من طريق مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: ... فذكره.

(3) أخرجه البخاري: (3361)، ومسلم: (194)، من طريق أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(4) أخرجه الترمذي: (2002)، من طريق ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: ... فذكر الحديث، وقال: حسن صحيح.

إني أبغض فلانًا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه...»[1].

(يطمس الوجوه) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [النساء:47]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قال بعضهم: طمسُها هو ردها إلى الأدبار وجعلُ أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد: من قبل أن نطمس وجوها فلا يبقى لها سمع ولا بصر ولا أثر، ونردها مع ذلك إلى ناحية الأدبار، قال العوفي عن ابن عباس: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ وطمسها أن تعمى: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ يقول: نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم، فيمشون القهقرى، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه، وكذا قال قتادة، وعطية العوفي، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم، وهذا كما قال بعضهم في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ [يس: 8] إن هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى[2].

(يطبع) قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:155]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:101].

---

(1) أخرجه مسلم: (2637)، من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:... الحديث.

(2) عمدة التفسير: 520/1.

(يقبض يبسط) قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:245]، وقال ﷺ: **«إن الله عَزَّوَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**(1).

(ويعطي يمنع) قال ﷺ: **«اللّٰهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**(2)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، وفي حديث النزول: **«من يسألني فأعطيه»**(3).

(يخفض يرفع) قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 158]، وقال ﷺ: **«إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه...»**(4).

(يعز ويذل) قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، (يكره) قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]، وقال ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا...»**، الحديث(5).

---

(1) أخرجه مسلم: (2759)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(2) أخرجه البخاري: (844)، ومسلم: (593)، من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(3) تقدم تخريجه ص: 143 عند قول الناظم: «يستجيب».

(4) أخرجه مسلم: (179)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(5) تقدم ص: 142-143.

(يمقت) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر:10]، وفي حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب...)(1).

(ويهدي ويضل) قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:27]، وقال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجُرات:17]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدَّثر:31]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضُّحى:7]، وقال تعالى: ﴿ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:121]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:23].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6] يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهي بيده إن شاء أعطاها عبده وإن شاء منعه إياها، والهداية معرفة الحق والعمل به فمن لم يجعله الله تعالى عالمًا بالحق عاملًا به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي لا يتخلف عنها وهي جعل العبد مريدا للهدى محبًا له مؤثرًا له عاملًا به فهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل وهي التي قال سبحانه فيها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة القصص:56] مع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى:52] فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد

(1) أخرجه مسلم: (2865).

وهي التي هدى بها ثمود فاستحبوا العمى عليها وهي التي قال تعالى فيها: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة:115] فهداهم هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم ومنعهم الهداية الموجبة للاهتداء التي لا يضل من هداه بها فذاك عدله فيهم وهذا حكمته فأعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم ومنعهم ما ليسوا له بأهل ولا يليق بهم اه كلامه(1).

(يقبل) من الإقبال، ولهذا قرنها بقوله: (يعرض) قال ﷺ: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟** ـ الحديث وفيه ـ : **وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**»(2).

وقال ﷺ: «**وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت...**»(3).

(يتوب) قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 39]، وقال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 15]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]، وقال ﷺ: «**ويتوب الله على من تاب**»(4).

(1) شفاء العليل، ص: 53.

(2) أخرجه البخاري: (66)، ومسلم: (2176)، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(3) أخرجه الترمذي: (2863)، وابن خزيمة: (930)، مختصرا، و: (1895) مطولًا ـ واللفظ له في الموضع الثاني ـ وابن حبان: (6233)، والحاكم: 421 ـ 422/ 1، من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(4) أخرجه البخاري: (6436)، و: (6437)، ومسلم: (1049)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري: (6439)، ومسلم: (1048)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه البخاري: (6438)، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(يرحم) قال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:54]، وقال: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون:75]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله ...**»، الحديث[1].

(يأخذ منا الصدقات) قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 104]، وقال ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**»[2].

(يُطعِم) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 14]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء:79]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش:4]، وقال ﷺ: «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[3].

(وليس يُطعَم) قال تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: 14]، (**ولن يناله لحوم**) ما يهدى له (**أو دماء ما يهدى له**) سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: 37].

---

(1) أخرجه البخاري: (6224)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) أخرجه البخاري: (1410)، و: (7430)، ومسلم: (1014)، واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) أخرجه البخاري: (1965)، ومسلم: (1103)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا تُـدْرِكُ الأبْـصَارُ مِنـهُ الكُنْهَـا	وَهْـوَ الـذِي يُـدْرِكُ ذاكَ مِنهَـا
يَغَـارُ أنْ يَـزْنِيَ عَبْـدٌ أوْ أَمَـهْ	لـهُ، وَيـسْتَحْيي عَـلَا، مَـا أَكْرَمـهْ!
وَلَـيسَ يَـستَحْيِي مِـنَ الحـقِّ وَلَا	مِـن ضَرْبِـهِ مَـا كَـالبَعُوضِ مَـثَلا

الشرح: (الكنه): كنه الشيء حقيقته، يعني أن الأبصار لا تدرك كنه الله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]، ولا دليل في هذه الآية لمن نفى الرؤية، لأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية.

(وهو) أي: الله (**الذي يدرك ذاك**) أي: الكنه (**منها**) أي: الأبصار، كما في قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]، (**يغار أن يزني عبد أو أمه**) قال ﷺ: «**والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته**»[1].

(**ويستحيي علا ما أكرمه**) فيه إثبات صفة الاستحياء لله تعالى كما يليق بجلاله على ما جاء به النص قال ﷺ ـ في حديث النفر الثلاثة ـ: «**وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه**»[2].

وليس هذا من المشاكلة في شيء، ولئلا يُتَوهم من إثبات صفة الاستحياء لله سبحانه وتعالى أنه قد يستحيي من الحق أتبعها المصنف بقوله: (**وليس يستحيي من الحق**) كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: 53]، (**ولا**) يستحيي سبحانه وتعالى (**من ضربه ما كالبعوض**) أدخلت الكاف العنكبوت (**مثلا**) إشارة

---

(1) أخرجه البخاري: (1044)، ومسلم: (901)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مطولًا.

(2) تقدم تخريجه ص: 147.

إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:41].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَيسَ يَأذَنُ لِشَيءٍ أَذَنَهْ ... إلى تِلاوَةِ نَبِيٍّ حَسَنَهْ

وَلَخُلُوفُ فَمِ ذِي الصَّومِ الزَّكِيْ ... أطيبُ عِنْدَهُ مِنَ المِسْكِ الذَّكِيْ

الشرح: (يأذن) أذن لكذا: استمع له (أذنه) مصدر أذن بالكسر يأذن بالفتح أذنا، روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن**»(1).

وفي لفظ للبخاري: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**»(2).

ولمسلم: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**».

وفي لفظ له: «**ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به**».

(ولخلوف) بضم الخاء المعجمة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام. اهـ كلامه(3).

---

(1) أخرجه البخاري: (5024)، ومسلم: (792)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(2) صحيح البخاري: (7544).

(3) فتح الباري: 105/ 4.

(فم ذي الصوم الزكي) كالرَّضِيِّ، أي: الزاكي، وهو الصالح (أطيب عنده) أي: عند الله (من) ريح (المسك الذكي) مسك ذكي أي: ساطع ريحه، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[1].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لا يُسْتَكْرَهُ	وَهُوَ بَالِغٌ - تَعَالَى- أَمْرَهُ
فَمَا يَشأْ فِينَا يَكُنْ لَو لَمْ نَشَا	وَلا يَكُونُ مَا نَشَا مَا لَمْ يَشَا
وَلا يَضِلُّ - جَلَّ - أو يَنْسَى، وَلا	تَأخُذُهُ سِنَةٌ أَو نَومٌ - عَلَا -
لا يَظْلِمُ العِبَادَ ذَرَّةً، وَلا	يُحْصُونَ مَا لَهُ عَلَيهِم مِن إِلَى

الشرح: (يفعل ما يشاء) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 40]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: 8]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]، وقال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 39]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: 8].

---

(1) أخرجه البخاري: (1894)، ومسلم بعد الحديث: (1151)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي الباب عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عند مسلم.

(لا يستكره) قال ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء ولا يقل: اللّهم إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له»**[1].

(وهو بالغ تعالى أمره) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ [الطلاق:3]، **(فما)** شرطية **(يشأ فينا يكن لو لم نشا ...)** لأن الله سبحانه وتعالى جعل مشيئتنا تابعة لمشيئته حيث قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 29]، **(ولا يضل جل أو ينسى)** قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا، يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط، وأنه لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علم المخلوق يعتريه نقصان[2] **أحدهما:** عدم الإحاطة بالشيء، **والآخر:** نسيانه بعد علمه، فنزه نفسه عن ذلك[3].

(ولا تأخذه سنة) أي: لا تغلبه سنة، وهي: الوسن والنعاس **(أو نوم)** لأنه أقوى من السِّنَة، قال تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: 255] أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم[4].

---

(1) أخرجه البخاري: (6338)، ومسلم: (2678)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهذا لفظ مسلم.

(2) في الأصل: «نقصانان».

(3) عمدة التفسير: 530/ 2.

(4) عمدة التفسير: 311/ 1.

(لا يظلم العباد ذرة) الذرة واحدة الذر وهو صغار النمل ومائة منها زنة حبة شعير(1).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [يونس: 44]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: 40]، قال الزجاج: وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه(2).

وقال ابن جرير الطبري: وأصل الظلم في كلام العرب، وضع الشيء في غير موضعه، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

إلا أواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

فجعل الأرض مظلومة، لأن الذي حفر فيها النؤي حفر في غير موضع الحفر، فجعلها مظلومة، لموضع الحفرة منها في غير موضعها.

ومن ذلك قول ابن قميئة في صفة غيث:

ظَلَم البِطَاحَ بها انهلالُ حَريصةٍ ... فَصَفَا النِّطافُ له بُعَيدَ المُقْلَعِ

وظلمه إياه: مجيئه في غير أوانه، وانصبابه في غير مصبه. ومنه: ظلم الرجل جزوره، وهو نحره إياه لغير علة، وذلك عند العرب وضع النحر في غير موضعه.

وقد يتفرع الظلم في معان يطول بإحصائها الكتاب، وسنبينها في أماكنها إذا أتينا عليها إن شاء الله تعالى، وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشيء في غير موضعه(3).

---

(1) القاموس المحيط، ص: (357).

(2) معاني القرآن وإعرابه: 293/ 3.

(3) تفسير الطبري: 523 ـ 524/ 1.

قال الراغب: والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه[1].

وقال أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي: والحق أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه[2].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: طرق الناس اختلفت في حقيقة الظلم الذي ينزه عنه الرب سبحانه وتعالى، فقالت الجبرية: هو المحال الممتنع لذاته كالجمع بين الضدين، وكون الشيء موجودا معدوما، قالوا: لأن الظلم إما التصرف في ملك الغير بغير إذنه، وإما مخالفة الأمر، وكلاهما في حق الله تعالى محال، فإن الله مالك كل شيء، وليس فوقه أمر تجب طاعته، قالوا: وأما تصور وجوده وقدر وجوده فهو عدل كائنًا ما كان، وهذا قول جهم ومن اتبعه، وهو قول كثير من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم من المتكلمين.

وقال القدرية: الظلم إضرار غير مستحق، أو عقوبة العبد على ما ليس من فعله، أو عقوبته على ما هو مفعول منه ونحو ذلك، قالوا: فلو كان سبحانه خالقًا لأفعال العبيد مريدًا لها قد شاءها وقدرها عليهم، ثم عاقبهم عليها كان ظالمًا، ولا يمكن إثبات كونه سبحانه عدلًا لا يظلم إلا بالقول بأنه لم يرد وجود الكفر والفسوق والعصيان، ولا شاءها، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته وإرادته، كما فعلوه بغير إذنه وأمره، وهو سبحانه لم يخلق شيئًا من أفعال العباد لا خيرها ولا شرها، بل هم أحدثوا أعمالهم بأنفسهم ولذلك استحقوا العقوبة عليها، فإذا عاقبهم لم يكن ظالمًا لهم، وعندهم أنه يكون ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون، فإن

---

(1) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: (353).

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: 12/ 3.

المشيئة عندهم بمعنى الأمر، وهاتان الطائفتان متقابلتان غاية التقابل، كل منهما تذم الأخرى، وقد تكفرها وتسميها قدرية.

وقال أهل السنة والحديث ومن وافقهم: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو سبحانه حكم عدل، لا يضع الشيء إلا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والمصلحة، وهو سبحانه لا يفرق بين متماثلين ولا يساوي بين مختلفين، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ويضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة، ولا يعاقب أهل البر والتقوى، وهذا قول أهل اللغة قاطبة، وتفسير الظلم بذينك التفسيرين اصطلاح حادث ووضع جديد.

قال ابن الأنباري[1]: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، يقال: ظلم الرجل سقاءه إذا سقى منه قبل أن يخرج منه زبده، وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تربني شكاتُه ظلمتُ وفي ظلمي له عامدًا أجر

أراد بالصاحب: وطب اللبن، وظلمه إياه أن يستقيه قبل أن يخرج زبده، قال: والعرب تقول: هو أظلم من حية، لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماء الوادي إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى.

وقال الحسين بن مسعود والفراء: أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه[2]، قال: ومنه قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، وقولهم: من استرعى الذئب فقد ظلم، يعنون من أشبه أباه فما وضع لشبه في غير موضعه، وهذا القول هو الصواب المعروف في لغة العرب والقرآنِ والسنةِ، وإنما تحمل ألفاظهما على لغة القوم لا على

(1) انظر: زاد المسير، ص: (55).

(2) كلام البغوي في تفسيره: 83/ 1.

الاصطلاحات الحادثة، فإن هذا أصل كل فساد وتحريف وبدعة، وهذا شأن أهل البدع دائمًا، يصطلحون على معان يضعون لها ألفاظا من ألفاظ العرب ثم يحملون ألفاظ القرآن والسنة على تلك الاصطلاحات الحادثة[1].

(ولا يحصون ما له عليهم من إلى) الإلى: إحدى الآلاء، وهي: النعم، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]، قال الحافظ ابن كثير: يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلًا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين، وأمسوا توابين[2].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُفتِي، وَيَشْهَدُ، وَيقْضِي، يَحكُمُ	بالحقِّ، يَسْتَفْهِمُ - وهْوَ أعْلَمُ-
وَمَا لَهُ مُعِينٌ أو ظَهِيرُ	ومَا لَهُ نِدٌّ وَلا نَظِيرُ
وَلَم يَكُنْ يَؤُودُهُ حِفْظُ السَّمَا	وَالأرْضِ أو يُعجِزُهُ مَنْ فِيهِمَا

الشرح: (يفتي) قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: 176]، **(ويشهد)** قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، **(ويقضي)**

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة، ص: (231 ـ 232).

(2) عمدة التفسير: 2/351.

القضاء نوعان: شرعي وكوني، أما الأول فكقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: 23]، أي أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عُبد غير الله، وأما القضاء الكوني فكقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: 14]، وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: 75][1].

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: 20]، **(يحكم بالحق)** قال تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 112]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف: 87]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 26]، وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: 57]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: 10]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم سنكزخان[2]، الذي وضع لهم الياسق

---

(1) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص: 280 ـ 283.

(2) قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عمدة التفسير 1/695: هكذا ثبت في المخطوطتين واضحًا: «سنكزخان» بالسين في أوله، والمشهور على الألسنة الثابت في المراجع التاريخية: «جنكزخان» بالجيم بدل السين وهو الثابت في المطبوعة هنا. اهـ.

وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير اهـ(1).

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: 114]، (يستفهم وهو أعلم) كما قال ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»(2).

(**وما له معين أو ظهير**) الظهير هو: المعين، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: 22]، (**وما له ند ولا نظير**) الند ـ بالكسر ـ المثل والنظير، قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: 65]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: 4]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 22]، (**ولم يكن يؤوده**) أي: لا يثقله ولا يشق عليه (**حفظ السما**) بالقصر للضرورة (**والأرض**) كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ

(1) عمدة التفسير: 695 ـ 1/696.

(2) أخرجه البخاري: (555)، ومسلم: (632)، من حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:255]، (أو يعجزه من فيهما) كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ [فاطر: 44].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَمْ يَعْيَ بِالخَلْقِ ابْتِدَاءً مِنْ عَدَمْ	كَذَاكَ لا يَعْيَا بِإحيَاءِ الرِّمَمْ
يُحْدِثُ مَا يَشَاءُ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ	ذِكْرٍ، فَمَا أَحَدَثَ مِن ذِكْرٍ يُقِنْ
أنْ لَيسَ مَخْلُوقًا لأنَّ المُحْدَثَ الـ	إنزَالُ، أمَّا الذِّكرُ فَهْو لَمْ يَزَلْ
ألا لهُ الخلقُ والأمْرُ، العَطْفُ دَلْ	أنْ لَيسَ خَلْقًا مَا مِنَ الأمْرَ نَزَلْ
بَلْ علَّمَ القرآن وَالإنْسَانَا	خَلَقَهُ عَلَّمَهُ البَيَانَا

الشرح: (لم يعي بالخلق ابتداء من عدم) أي: لم يتعب به ولم يعجز عنه (كذاك لا يعيا بإحياء الرمم) الرمم بكسر الراء جمع رمة بالكسر، وهي: العظام البالية، قال تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ [يس: 78]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الروم: 27]، فمن لم يعجز عن الخلق ابتداء لم يعجز عن إعادة الخلق، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة والإجماع المقطوع به من كل مسلم أن الإيمان بالبعث واجب، وأن منكره كافر، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: 7]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: 62]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: 94]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [آل عمران: 158]، وقال ﷺ: «**إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين...**»[1].

---

(1) أخرجه البخاري: (3349)، ومسلم عقب الحديث: (2860)، واللفظ له، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(يحدث ما يشاء من خلق ومن ذكر) قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]، وقال تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ [الشعراء: 5]، وبما أن الخلق مخلوق والذكر غير مخلوق، وكل منهما أطلق عليه أنه «محدث» شرع المصنف يفرق بين وصف المخلوق بأنه محدث أي: مخلوق، وبين وصف الذكر بأنه محدث بمعنى أنه محدث الإنزال، لا أنه مخلوق فقال: **(فما أحدث)** الله سبحانه وتعالى **(من ذكر يقن)** بالبناء للمجهول، من يقن الأمر ـ من باب طرب ـ إذا تيقنه **(أن ليس مخلوقا)** لأنه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى وليس شيء من صفاته مخلوقًا **(لأن المحدث الإنزال)** قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ـ عند آية الأنبياء ـ: أي جديد إنزاله.

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ الآية [الأنبياء: 2]، يقول: ما يُنَزَّلُ عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون(1).

(أما الذكر فهو لم يزل) غير مخلوق **(ألا له الخلق والأمر العطف دل أن ليس خلقا ما من الأمر نزل)** استدل المصنف ـ تبعًا لبعض العلماء كسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، ونعيم بن حماد، ومحمد بن يحيى الذهلي، وعبد السلام بن عاصم

(1) تفسير الطبري: 222/ 16.

الرازي، وأحمد بن سنان الواسطي، وأبي حاتم الرازي[1] ـ بعطف الأمر على الخلق على أن الأمر غير مخلوق، لأن العطف يقتضي التغاير، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54]، **(بل علم القرآن والإنسان...)** يشير إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: 1-4]، فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه وصفته وخص الإنسان بالتخليق لأنه خلقه ومصنوعه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَنْسَخُ، يُنْسِي مَا يَشَا، يُبدِّلُ	واللهُ أعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
وَيَتكَلَّمُ مَتَى شَاءَ بِمَا	شَاءَ كَمَا شَاءَ لَوَ انَّ الكَلِمَا
مِدَادُهُ البَحْرُ بِسَبْعَةٍ أُمِدْ	وَشَجُرُ الأرْضِ قِلامٌ مَا نَفِدْ
وَرَحمَةً سَكَتَ عَنْ أشْيَاءَ	مِنْ غَيرِ نِسيَانٍ عَلَى مَا جَاءَ

الشرح: **(ينسخ)** النسخ لغة: الرفع والإزالة والنقل والتحويل، واصطلاحًا: رفع لحكم شرعي بحكم شرعي متراخ عنه **(ينسي)** من النسيان أو بمعنى الترك **(ما يشا)**ء قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:106]، **(يبدل والله أعلم بما ينزل)** كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:101]، **(ويتكلم متى شاء)** فيه أن صفة الكلام تابعة للمشيئة كما هو قول أهل السنة، وقوله: **(كما شاء)** فيه نفي لعلم الكيفية **(لو أن الكلما)** الألف للإطلاق **(مداده البحر بسبعة أمد)** بالبناء للمجهول **(وشجر الأرض قلام)** ككتاب جمع: قلم **(ما نفد)** كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ

---

(1) حكاه اللالكائي عنهم في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ص: 107.

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:27]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:109].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما السلف فقالوا: لم يزل الله متكلما إذا شاء وأن الكلام صفة كمال ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما لذاته ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئة والكمال إنما يكون بالصفات القائمة بالموصوف لا بالأمور المباينة له ولا يكون الموصوف متكلمًا عالما قادرًا إلا بما يقوم به من الكلام والعلم والقدرة. وإذا كان كذلك فمن لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفًا بها لو كان حدوثها ممكنًا فكيف إذا كان ممتنعًا؟ فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال؛ ومن أجلِّها الكلام. فلم يزل متكلمًا إذا شاء ولا يزال كذلك وهو يتكلم إذا شاء بالعربية كما تكلم بالقرآن العربي وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقًا منفصلًا عنه فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة لأن الله تكلم بها. اهـ[1].

(ورحمة) ولطفا بنا **(سكت)** الله سبحانه وتعالى **(عن أشياء)** فلم يحرمها علينا **(من غير نسيان)** لها **(على ما جاء)** في سنن الدارقطني من طريق داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[2]. وحسنه أبو بكر السمعاني

---

(1) مجموع الفتاوي: 52 ـ 53/ 12.

(2) السنن: 717/ 4، ح: (4350).

والنووي، وقد أعل بالاختلاف في رفعه ووقفه، وقد صوب الدارقطني رفعه، وأُعِل بالانقطاع بين مكحول وأبي ثعلبة، فإن أبا مسهر الدمشقي وأبا نعيم الأصبهاني وغيرهما جزموا بعدم سماعه منه، قال العلائي: وهو معاصر له بالسن والبلد فيحتمل أن يكون لقيه وأن يكون أرسل عنه كعادته وهو يدلس أيضًا، وقد تعقب وليُّ الدين العراقيُّ العلائيَّ بقوله: روايته عن أبي ثعلبة الخشني في صحيح مسلم، وقال المزي: يقال: مرسل. اهـ[1].

قلت: لكن مسلمًا لم يخرج له عن أبي ثعلبة ـ فيما وقفت عليه ـ إلا حديثًا واحدًا في الصيد، تابعه عليه جبير بن نفير عن أبي ثعلبة، لكن أخرج أبو بكر البزار من طريق إسماعيل بن عياش وأبو الحسن الدارقطني وأبو عبد الله الحاكم من طريق أبي نعيم كليهما عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفع الحديث قال: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله العافية، فإن الله لم يكن نسيا ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [سورة مريم:64]. لفظ الحاكم، قال البزار: لا نعلمه يروى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجه من الوجوه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وعاصم بن رجاء بن حيوة حدث عنه جماعة، وأبوه رجاء قد روى عن أبي الدرداء غير حديث، وإسناده صالح لأن إسماعيل بن عياش قد حدث عنه الناس واحتملوا حديثه.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي: إسناده حسن ورجاله موثقون[2].

---

(1) تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، ص: 315.

(2) مسند البزار: 26/ 10، وسنن الدارقطني: 59/ 3، والمستدرك: 261/ 4، ومجمع الزوائد: 416/ 1، وجامع العلوم والحكم لابن رجب: 817 ـ 819/ 2، وغاية المرام للشيخ الألباني، ص: (14 ـ 15).

لكن قال الذهبي: سنده منقطع وعاصم متماسك[1] وذكر العلائي ـ ووافقه أبو زرعة العراقي ـ أن روايته عن معاذ وأبي الدرداء مرسلة وأن المزي ذكر ذلك في التهذيب[2].

قال محمد بن ادِّ: ذكر المزي في التهذيب في ترجمة رجاء بن حيوة أنه لم يدرك معاذًا ولكن لم يذكر أن روايته عن أبي الدرداء مرسلة[3].

وقد روي من وجهين آخرين ساقطين، قال الطبراني: حدثنا نوح الأبلي حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي حدثنا أصرم بن حوشب حدثنا قرة بن خالد عن الضحاك بن مزاحم عن طاوس قال: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تتكلفوها رحمة من الله فاقبلوها**».

قال الطبراني: لم يروه عن قرة إلا أصرم بن حوشب اهـ[4].

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن إبراهيم الوشاء، ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام به. وقال: لم يرو هذا الحديث عن قرة بن خالد إلا أصرم بن حوشب، تفرد به: أبو الأشعث اهـ[5].

وقال ابن عدي: حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع الصوفي، حدثنا عثمان بن صالح الخياط، حدثنا أصرم بن حوشب، حدثنا قرة عن الضحاك عن طاووس،

---

(1) المهذب في اختصار السنن الكبير: 3975/ 8.

(2) جامع التحصيل، ص: (175)، وتحفة التحصيل، ص: 105.

(3) انظر: تهذيب الكمال: 152/ 9.

(4) المعجم الصغير: 122 ـ 123/ 2.

(5) المعجم الأوسط: 265/ 7.

قال: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وحرم محارم فلا تنتهكوها رحمة من الله فاقبلوها**».

قال ابن عدي: وهذه الأحاديث بواطيل عن قرة بن خالد كلها لا يحدث بها عنه غير أصرم هذا[1].

قلت: أصرم بن حوشب وضاع[2].

وقال الدارقطني: حدثنا أحمد بن محمد بن سعدان الصيدلاني بواسط نا جعفر بن النضر بن حماد الواسطي أنا إسحاق الأزرق عن أبي عمرو البصري عن نهشل الخراساني عن الضحاك بن مزاحم أنه اجتمع هو والحسن بن أبي الحسن، ومكحول الشامي، وعمرو بن دينار المكي، وطاوس اليماني، فاجتمعوا في مسجد الخيف فارتفعت أصواتهم وكثر لغطهم في القدر، فقال طاوس وكان فيهم مرضيا: أنصتوا حتى أخبركم ما سمعت من أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تتكلفوها رحمة من ربكم فاقبلوها**». نقول ما قال ربنا ونبينا ﷺ: الأمور بيد الله، من عند الله مصدرها، وإليه مرجعها، ليس إلى العباد فيها تفويض ولا مشيئة، فقاموا وهم راضون بقول طاوس[3].

---

(1) الكامل: 316/ 2.

(2) التاريخ الكبير: 56/ 2، والمجروحين: 205 ـ 207/ 1 لابن حبان، والضعفاء والمتروكين للدارقطني: (ترجمة: 116).

(3) سنن الدارقطني: 537/ 5.

شيخ الدارقطني لم أهتد لترجمته[1]، وكذا الحال بالنسبة لجعفر بن النضر بن حماد الواسطي، وأما نهشل فهو ابن سعيد قال أبو داود الطيالسي وإسحاق بن راهويه: كذاب، وقال البخاري: أحاديثه مناكير[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقال شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري في اعتقاد أهل السنة؛ وما وقع عليه إجماع أهل الحق من الأمة: باب القول في القرآن، اعلم أن الله متكلم قائل مادح نفسه بالتكلم؛ إذ عاب الأصنام والعجل أنها لا تتكلم وهو متكلم كلما شاء تكلم بكلام لا مانع له ولا مكره والقرآن كلامه هو تكلم به؛ وقد تأول ابن عقيل كلام شيخ الإسلام بنحو ما تأول به القاضي كلام أحمد. وقال شيخ الإسلام أيضًا في كتاب «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» في باب الإشارة عن طريقته في الأصول؛ لما ذكر كلامه في مسائل القرآن وترتيب البدع التي ظهرت فيه وأنهم قالوا أولا هو مخلوق وجرت المحنة العظيمة ثم ظهرت مسألة اللفظية بسبب حسين الكرابيسي وغيره. إلى أن قال: ثم جاءت طائفة فقالت: لا يتكلم بعد ما تكلم؛ فيكون كلامه حادثًا. قال: وهذه سخارة أخرى تقذي في الدين غير عين واحدة. فانتبه لها أبو بكر بن إسحاق اللنجرودي[3] ابن خزيمة وكانت حينئذ نيسابور دار الآثار تمد إليها الرقاب وتشد إليها الركاب ويجلب منها العلم. وما ظنك بمجالس يحبس عنها الثقفي والضبعي[4]

(1) وانظر: الدليل المغني لشيوخ الإمام أبي الحسن الدارقطني، ص: 126.

(2) التاريخ الكبير: 115/ 8، والتكميل: 405 ـ 406/ 1، وتهذيب التهذيب: 243 ـ 244/ 4.

(3) كذا في المجموع، والصواب: «الكنجروذي» بفتح أولها وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وفي آخرها ذال معجمة هذه النسبة إلى كنجروذ وهي قرية على باب نيسابور وتعرب فيقال لها: «جنزروذ» اهـ من اللباب في تهذيب الأنساب: 113/ 3.

(4) كذا في المجموع، والصواب: الصِّبْغي.

مع ما جمعا من الحديث والفقه والصدق والورع واللسان والتثبت والقدر؛ والمحفل لا يسرون بالكلام واشتمام لأهله؛ فابن خزيمة في بيت ومحمد بن إسحاق السراج في بيت وأبو حامد بن الشرقي في بيت. قال شيخ الإسلام: فطار لتلك الفتنة ذاك الإمام أبو بكر؛ فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها؛ كأنه منذر جيش حتى دون في الدفاتر وتمكن في السرائر؛ ولقن في الكتاتيب ونقش في المحاريب: أن الله متكلم إن شاء تكلم وإن شاء سكت؛ فجزى الله ذاك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيرًا.

قلت[1]: في حديث سلمان عن النبي ﷺ: «**الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**» رواه أبو داود[2].

---

(1) القائل هو ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(2) قال أبو داود (3800): حدثنا محمد بن داود بن صبيح حدثنا الفضل بن دكين حدثنا محمد ـ يعني ابن شريك المكي ـ عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [الأنعام: 145] إلى آخر الآية. قلت: إسناده صحيح.

وأما حديث سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فليس في سنن أبي داود، بل رواه الترمذي: (1726)، وابن ماجه: (3367)، من طريق سيف بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان به .

وإسناده ضعيف جدا فيه: سيف بن هارون وهو متروك، وقد قال العقيلي في الضعفاء 211/ 2: ولا يحفظ إلا عنه بهذا الإسناد اهـ. وقال الدارقطني ـ كما في أطراف الأفراد والغرائب: 411/ 1 ـ: تفرد به.

وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله وكأن الحديث الموقوف أصح وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظا روى سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان موقوفًا قال البخاري: وسيف بن هارون مقارب الحديث وسيف بن محمد بن عاصم ذاهب الحديث اهـ.

وقال أبو حاتم الرازي ـ كما في العلل لابنه: 386/ 4 ـ: هذا خطأ، رواه الثقات عن التيمي عن أبي عثمان عن النبي ﷺ مرسل ليس فيه سلمان وهو الصحيح اهـ. =

....

= وقال البيهقي 412/ 14: أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل ببغداد أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا بشر بن موسى أبو علي، ثنا الحميدي، عن سفيان، ثنا سليمان، عن أبي عثمان، عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أراه رفعه ـ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ أحل حلالًا، وحرم حرامًا، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو**».

قلت: إسناده نظيف، لكنه تردد في رفعه.

وأخرجه البيهقي ـ أيضًا ـ 296 ـ 297/ 14 من طريق يونس بن خباب، عن أبي عبيد الله، عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سئل عن الجبن والسمن والفراء ، فقال رسول الله ﷺ: «**الحلال ما أحل الله في القرآن، والحرام ما حرم الله في القرآن، وما سكت عنه فقد عفا عنه**». وإسناده ضعيف جدا فيه يونس بن خباب وهو منكر الحديث كما قال البخاري (ميزان الاعتدال: 479/ 4).

أبو عبيد الله هو مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكره البخاري في الكنى، ص: 53، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وأخرجه الطبراني في الكبير 261/ 6: حدثنا الحسن بن علي المعمري، ثنا عبد الغفار بن عبد الله الموصلي، ثنا علي بن مسهر، عن أبي إسماعيل يعني بشيرا، عن مسلم البطين، عن أبي عبد الله الجدلي، عن سلمان الفارسي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجبن، والسمن، والفراء، فقال النبي ﷺ: «**الحلال ما أحل الله في القرآن، والحرام ما حرم الله في القرآن، وما سكت عنه فقد عفا عنه**». أبو إسماعيل هو بشير بن سلمان النهدي ووقع خطأ في مطبوعة المعجم: «بشر» ووقع في تهذيب الكمال 168/ 4: «الكندي» وكذا وقع في التقريب أيضًا، والصواب: «النهدي». وهذا الإسناد فيه: عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير أبو نصر التمار الموصلي ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 54/ 6 فقال: روى عن علي بن مسهر وعبد الله بن عطارد الطائي المغربي روى عنه: إبراهيم بن يوسف الهسنجاني اهـ قلت: حدث عنه أيضًا: الحافظ أبو يعلى الموصلي والحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي والحسن بن علي المعمري والحسين بن إدريس الأنصاري وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن إبراهيم العمري وأحمد بن بشر المرثدي.

وقد صحح الحافظ أبو العباس البُوصِيرِي إسنادا فيه عبد الغفار هذا في إتحاف الخيرة المهرة: 364/ 1، لكن في الكامل لابن عدي 141/ 1 ما يفيد أنه كان يقبل التلقين.

قال الطبراني في مسند الشاميين 203/ 3 : حدثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه عن سلمان عن النبي ﷺ أنه سئل عن الفراء والخبز والسمن فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه».

قلت: إسناده ضعيف، شيخ الطبراني قال عنه النسائي: ضعيف. وقال الذهبي: حمل الناس عنه وهو مقارب الحال. (الميزان: 346/ 1)، وفيه راو مبهم أيضًا وعبد الله بن صالح كاتب الليث ومعاوية مختلف فيهما. =

وفي حديث أبي ثعلبة عن النبي ﷺ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها؛ وحدد حدودًا فلا تعتدوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها**». ويقول الفقهاء في دلالة المنطوق والمسكوت وهو ما نطق به الشارع وهو الله ورسوله وما سكت عنه تارة تكون دلالة السكوت أولى بالحكم من المنطوق؛ وهو مفهوم الموافقة وتارة تخالفه وهو مفهوم المخالفة وتارة تشبهه وهو القياس المحض. فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت؛ لكن السكوت يكون تارة عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه؛ كما قال في الصحيحين عن أبي هريرة يا رسول الله أرأيتك سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول؟ قال أقول: «**اللّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**» إلى آخر الحديث. فقد أخبره أنه ساكت وسأله ماذا تقول؟ فأخبره أنه يقول في حال سكوته؛ أي سكوته عن الجهر والإعلان لكن هذان المعنيان المعروفان في السكوت لا تصح على قول من يقول: إنه متكلم كما أنه عالم؛ لا يتكلم عند خطاب عباده بشيء؛ وإنما يخلق لهم إدراكًا ليسمعوا كلامه القديم سواء

= وقال سعيد بن منصور في سننه: 320/ 2: حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن أبي عبد الله الثقفي قال : حدثنا رجل من أهل المدائن قال : سمعت سلمان الفارسي يقول : كل ما لم يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، فهو من عفو الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن عدي 138 ـ 139/ 10: حدثنا محمد بن جعفر بن يزيد وراق ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث حدثنا أبو هارون محمد بن أيوب الجبلي حدثنا نعيم بن مورع بن كوبة العنبري عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر: سئل رسول الله ﷺ عن الجبن والسمن والفراء قال ﷺ: «**الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت الله عنه فهو مما عفا عنه**».

قال ابن عدي: وهذا غير محفوظ من حديث ابن جريج وما أظنه يرويه غير نعيم ولنعيم غير ما ذكرت من الحديث وعامة ما يرويه غير محفوظ.

ورواه ابن مردويه ـ كما في الدر المنثور 531/ 5 ـ من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثل حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قيل هو معنى مجرد أو معنى وحروف؛ كما هو قول ابن كلاب والأشعري ومن قال بذلك من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية من الحنبلية وغيرهم. فهؤلاء إما أن يمنعوا السكوت وهو المشهور من قولهم أو يطلقوا لفظه ويفسروه بعدم خلق إدراك للخلق يسمعون به الكلام القديم، والنصوصُ تبهرهم مثل قوله: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا». وقول النبي ﷺ لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية: «**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**»؟ وتكليمه لموسى ونداؤه له كما دل عليه الكتاب والسنة وعلى قولهم يجوز أن يسمع كل أحد الكلام الذي سمعه موسى. اهـ[1].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أحَــاطَ بالنَّــاسِ وَأينَمَــا يُــوَلْ ... مُـستقْبِلٌ فـثَمَّ وَجـهُ اللهِ - جَـلَّ -

قَـدْ استَوَى إلى الـسَّمَاءِ وَاسْـتَوَى ... بَعْدُ عَلَى العَرْشِ بِخُلْفِ المُحتَوَى

وَلَـيْسَ كَاستِوَائِنَا نَحْـنُ عَـلَى الـْـ ... ـفِلْكِ والانعَـامِ، بَـلْ العَـرْشَ حَمَـلْ

وَحَامِلِيـــهِ، وإلى دُنْيَـــا الـــسَّمَا ... يَنْــزِلُ كُــلَّ لَيلَــةٍ ، لا مِثْــلَ مَــا

يَنْــزِلُ مَــخلُوقٌ بِــإخْلا حَيِّــزْ ... مِنــهُ وَشَــغْلِ حَيِّــزِ - فَمَيِّــزِ -

وَهْــوَ العَــلِيُّ، لا تَحُــدُّه جِهَــهْ ... ضَــلَّ الــمعَطِّلَةُ والمُـــشَبِّهَهْ

الشرح: (**أحاط بالناس**) كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: 60]، (**وأينما يول مستقبل فثم وجه الله جل**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:115]، لكن

(1) مجموع الفتاوي: 177 ـ 180/ 6.

بعض العلماء يرى أن لا دخل لهذه الآية في آيات الصفات، ويرى أن «الوجه» فيها بمعنى «الجهة» قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومن عدها في الصفات فقد غلط كما فعل طائفة؛ فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 115]، والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة؛ يقال: أي وجه تريده؟ أي: أي جهة وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: 148]، ولهذا قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 115]، أي تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم[1].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يعرف إطلاق «وجه الله» على القبلة لغةً ولا شرعًا ولا عرفًا بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه، فلا يدخل أحدهما على الآخر ولا يستعار اسمه له، نعم، القبلة تسمى وجهة، كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ ﴾ [البقرة: 148] وقد تسمى جهة وأصلها وجهة لكن أعلت بحذف فائها كزنة وعدة، وإنما سميت قبلة ووجهة لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه، وأما تسميتها وجها فلا عهد به، فكيف إذا أضيف إلى الله تعالى مع أنه لا يعرف تسمية القبلة (وجه الله) في شيء من الكلام مع أنها تسمى وجهة، فكيف يطلق عليها وجه الله ولا يعرف تسميتها وجها؟! اهـ[2].

(قد استوى إلى السماء) كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 29]، قال الحافظ

(1) مجموع الفتاوى: 193/ 3، و: 15 ـ 17/ 6.

(2) مختصر الصواعق: 413 ـ 414/ 2.

ابن كثير رحمه الله تعالى: أي قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بـ: «إلى»[1].

ولكن قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف. اهـ[2].

وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت:11]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية[3]:

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي	ظهر المراد به ظهور بيان
لا فيه إجمال ولا هو مفهم	للاشتراك ولا مجاز ثان
تركيبه معْ حرف الاستعلاء نصـ	ـص في العلو بوضع كل لسان
فإذا تركب معْ إلى فالقصد مع	معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد	بتمام صنعتها مع الإتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق	من بعد ما قد تم بالأركان
لكنما الجهميُّ يقصر فهمه	عن ذا فتلك مواهب المنان
فإذا اقتضى واو المعية كان معناه	استوى متقدم والثاني
فإذا أتى من غير حرف كان معناه	الكمال فليس ذا نقصان
لا تلبسوا بالباطل الحق الذي	قد بين الرحمن في الفرقان
وعلى للاستعلاء فهْي حقيقة	فيه لدى أرباب هذا الشان
وكذلك الرحمن جل جلاله	لم يحتمل معنى سوى الرحمن

(1) عمدة التفسير: 99/ 1.

(2) سيأتي هذا الكلام ضمن كلامه الذي سننقله إن شاء الله تعالى من مختصر الصواعق.

(3) الكافية الشافية، ص: (160 ـ 161).

يا ويحه بعماه لو وجد اسمه الـ	ـرحمن محتملًا لخمس معان
لقضى بأن اللفظ لا معنى له	إلا التلاوة عندنا بلسان
فلذاك قال أئمة الإسلام في	معناه ما قد ساءكم ببيان
ولقد أحلناكم على كتب لهم	هي عندنا والله بالكيمان

(واستوى بعد) أي: بعد خلق السموات والأرض (على العرش) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: 3]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: 4]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

واعلم أن الاستواء دل عليه النقل، وأما العلو فثابت بالنقل والعقل والفطرة، ولاستواء الله سبحانه وتعالى على عرشه تفسيرات ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

---

(1) الكافية الشافية، ص: (120).

فلهــم عبــارات عليهــا أربـــع قــد حُــصِّلت للفــارس الطعــان
وهــي استقر وقـد عـلا وكـذلك ار تفـع الـذي مـا فــيه مـن نكـران
وكـذاك قـد صعد الـذي هـو رابع وأبــو عبيــدة صــاحب الــشيباني
يختــار هــذا القــول في تفــسيره أدرى مـــن الجهـــمي بـــالقرآن

واعلم أن تفسير «استوى» بـ«استولى» باطل من وجوه كثيرة، قال ابن القيم[1]:

وكـذلك الجهميُّ قيـل لـه اسـتوى فـــأبى وزاد الحـــرف للنقـــصان
قال استوى استولى وذا مـن جهلـه لغـــة وعقـــلا مـــا همـــا سيـــان
عــشرون وجهــا تُبطِــل التأويــل باســتولى فـلا تخـرج عـن القـرآن
قـد أفـردت بمـصنف هـــو عـندنا تـــصنيف حـــبر عـــالم ربـــاني
ولقـــد ذكرنـــا أربعـــين طريقـــة قــد أبطلــت هــذا بحـسن بيــان
هـي في الـصواعق إن تـرد تحقيقهـا لا تـــختفي إلا عـــلى العميـــان
نــون اليهـود ولام جهـــميٍّ همــا في وحـــي رب العـــرش زائـــدتان

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتأويله بـ: «استولى» باطل وإنما كان يصح أن لو كان أكثرُ مجيئه بلفظ استولى ثم يخرج موضع عن نظائره ويرد بلفظ استوى فهذا كان يصح تأويله باستولى فتفطن لهذا الموضع واجعله قاعدة فيما يمتنع تأويله من كلام المتكلم وما يجوز تأويله[2].

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: فنحن نؤمن بخبر الله أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل

(1) الكافية الشافية، ص: (157).
(2) الصواعق المرسلة: 386/ 1.

اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية اهـ(1).

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى: أما بعد فإني أحذر إخواني المؤمنين مذهب الحلولية الذين لعب بهم الشيطان فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم، إلى مذاهب قبيحة، لا يكون إلا في كل مفتون هالك، زعموا أن الله عَزَّوَجَلَّ حال في كل شيء، حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله عَزَّوَجَلَّ بما تنكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة ولا قول الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم تنزيها مني لجلال الله الكريم وعظمته، كما قال ابن المبارك رَحِمَهُٱللَّهُ: «إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

ثم إنهم إذا أنكر عليهم سوء مذهبهم قالوا: لنا حجة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإذا قيل لهم: ما الحجة؟ قالوا: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:7]، وبقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 3-4]، فلبسوا على السامع منهم بما تأولوه، وفسروا القرآن على ما تهوى نفوسهم فضلوا وأضلوا، فمن سمعهم ممن جهل العلم ظن أن القول كما قالوا، وليس هو كما تأولوه عند أهل العلم، والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عَزَّوَجَلَّ سبحانه على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم

(1) التوحيد، ص: 101.

الخطرة والهمة، ويعلم ما توسوس به النفوس يسمع ويرى، لا يعزب عن الله عَزَّوَجَلَّ مثقال ذرة في السموات والأرضين وما بينهن، إلا وقد أحاط علمه به، فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار.

فإن قال قائل: فأيش معنى قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: 7] الآية التي بها يحتجون؟ قيل له: علمُه عَزَّوَجَلَّ والله على عرشه، وعلمه محيط بهم، وبكل شيء من خلقه، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم فإن قال قائل: كيف؟ قيل: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: 7]، فابتدأ الله عَزَّوَجَلَّ الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فعلمه عَزَّوَجَلَّ محيط بجميع خلقه، وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين اهـ(1).

ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام متين في إبطال اللام الزائدة على كلام ربنا سبحانه وتعالى لا بد أن ننقله ـ على طوله ـ لعظيم فائدته قال رحمه الله تعالى:

المثال الثالث: في قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5] في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم، فإنهم قالوا: هو مجاز، ثم اختلفوا في مجازه، فالمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدَّعهم وضللهم فيه بمعنى استولى، أي ملك وقهر، وقالت فرقة منهم: بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش، وقالت فرقة أخرى: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر

(1) الشريعة: 1074 ـ 1076/ 3.

وجها كلها لا يُعلَم أيها المراد إلا أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل[1]، وهذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجهًا:

أحدها: أن لفظ استوى في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: 14]، وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام، وأما المقيد فثلاثة أضرب: **أحدها**: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 29 وفصلت: 11]، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 29]، والثاني في سورة السجدة[2]: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، كما سنذكره ونذكر ألفاظهم بعد إن شاء الله.

والثاني: مقيد بعلى كقوله: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: 13]، وقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: 44]، وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29] وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، هذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى ألبتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق الجهمية والمعتزلة، يوضحه:

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل: 279/ 1.

(2) الآية من سورة فصلت: (11)، لا من السجدة.

الوجه الثاني: أن الذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلا، فإنه مجاهرة بالكذب وإنما قالوه استنباطًا وحملًا منهم للفظة استوى على استولى، واستدلوا بقول الشاعر:

قــد اســتوى بــشر عــلى العــراق   مــن غــير ســيف أو دم مهــراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب كما سيأتي بيانه.

الوجه الثالث: أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك، هذا وهو من أكابر أئمة اللغة.

الوجه الرابع: ما قاله الخطابي في كتابه (شعار الدين) قال: القول في أن الله مستو على عرشه، ثم ذكر الأدلة من القرآن ثم قال: فدل ما تلوته من هذه الآي أن الله تعالى في السماء مستو على العرش، وقد جرت عادة المسلمين خاصهم وعامهم بأن يدعوا ربهم عند الابتهال والرغبة إليه يرفعون أيديهم إلى السماء، وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن المدعو في السماء سبحانه.

إلى أن قال: وزعم بعضهم أن الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء، ونزع فيه ببيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله، ولو كان الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة، لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء من الأشياء وكل قطر وبقعة من السموات والأرضين وما تحت العرش، فما معنى تخصيصه العرش بالذكر؟، ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه، فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده؟ هذا لفظه وهو من أئمة اللغة.

الوجه الخامس: أن هذا تفسير لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير

الذين يحكون أقوال السلف، وقد قال النبي ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**(1).

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في التفسير 252/ 1، قال: نا الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ... فذكره.

وأخرجه الترمذي (2951) عن سفيان بن وكيع عن سويد بن عمرو الكلبي عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به، بلفظ: **«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»**. وقال: حديث حسن.

وأخرجه النسائي في الكبرى 286/ 7 عن محمد بن بشار عن يحيى عن سفيان به بلفظ: **«من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار»**.

وأخرجه أحمد 496/ 3 عن وكيع عن سفيان به، بلفظ: **«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»**. خالفه ابن أبي شيبة 244/ 10 فرواه عن وكيع به موقوفًا.

وأخرجه أحمد 250/ 4 ـ أيضًا ـ عن مؤمل عن سفيان به.

وأخرجه 122/ 5 ـ أيضًا ـ عن أبي الوليد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به، مثل رواية الترمذي إلا أنه قال: **«فإنه من كذب ... ومن كذب في القرآن بغير علم ...»** والباقي سواء.

وأخرجه 155/ 5 ـ أيضًا ـ عن عفان عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به.

قال الدارقطني في الأفراد ـ كما في أطراف الغرائب والأفراد 435/ 1 ـ: تفرد به عبد الأعلى عنه اهـ.

قلت: قال أحمد بن حنبل: منكر الحديث عن سعيد بن جبير. (الكامل 460/ 8). وقال ـ أيضا ـ: ضعيف الحديث. (العلل ومعرفة الرجال «787»).

وقال ابن معين: ليس بذاك القوي. (الجرح والتعديل 26/ 6). وقال ابن سعد: وكان ضعيفا في الحديث. (الطبقات الكبرى 326/ 6). وقال أبو حاتم الرازي: ليس بقوي. (الجرح والتعديل 26/ 6). وقال أبو زرعة الرازي: ضعيف الحديث ربما رفع الحديث وربما وقفه. (الجرح والتعديل 26/ 6).

وقال ابن عدي: قد حدث عنه الثقات ويحدث عن سعيد بن جبير وابن الحنفية وأبي عبد الرحمن السلمي بأشياء لا يتابع عليها. (الكامل 461/ 8).

تنبيهات:

الأول: صحح الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في المطالب العالية 506/ 7 هذا الحديث وذلك وهَم منه.

الثاني: قال الحافظ أبو العباس البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة 256/ 1: «رواته ثقات محتج بهم في الصحيح» وهذا وهَم منه رحمه الله فعبد الأعلى ضعيف ولم يخرج له الشيخان شيئًا، وقد قال الحافظ عبد الغني في الكمال 358/ 6: روى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الحافظ المزي في التهذيب 355/ 16: روى له الأربعة. =

الوجه السادس: أن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف.

الوجه السابع: أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية الفساد، ولم يقصده ويفعله من يقصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك وهو:

الوجه الثامن: أنه أتى بلفظة: (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة، ولو كان معناه معنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السموات والأرض، فإن العرش كان موجودًا قبل خلق السموات والأرض بأكثر من خمسين ألف عام، كما ثبت في الصحيحين[1] عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ

= **الثالث:** قال الحافظ المزي رحمه الله تعالى في التهذيب 352 ـ 353/ 16: عبد الأعلى بن عامر الثعلبي بالثاء المثلثة والعين المهملة الكوفي والد عبد الأعلى اه وهذا وهَم منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والصواب: والد علي، وكأن المزي قلد الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال عبد الغني في الكمال 358/ 6: روى عنه ابنه عبد الأعلى اه مع أن المزي لما ذكر الرواة عن عبد الأعلى في التهذيب 353/ 16 قال: روى عنه: ... وابنه علي بن عبد الأعلى اه.

(1) تفرد به مسلم: (2653)، ولفظه: «**كتب الله مقادير الخلائق ... قال: وعرشه على الماء**».

﴿عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: 7]، فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستول على العرش إلى أن خلق السموات والأرض؟

فإن قيل: نحمل «ثم» على معنى الواو ونجردها من معنى الترتيب.

قيل: هذا خلاف الأصل والحقيقة، فأخرجتم «ثم» عن حقيقتها والاستواء عن حقيقته ولفظ الرحمن عن حقيقته، وركبتم مجازات بعضها فوق بعض.

فإن قيل: فقد تأتي «ثم» لترتيب الخبر لا لترتيب المخبر، فيجوز أن يكون ما بعدها سابقا على ما قبلها في الوجود وإن تأخر عنه في الإخبار؟

قيل: هذا لا يثبت أولا ولا يصح به نقل، ولم يأت في كلام فصيح، ولو قدر وروده فهو نادر لا يكون قياسا مطردا تترك الحقيقة لأجله.

فإن قيل: فقد ورد في القرآن وهو أفصح الكلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [الأعراف: 11]، والأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصويرنا، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: 46]، وشهادته تعالى على أفعالهم سابقة على رجوعهم؟

قيل: لا يدل ذلك على تقدم ما بعد (ثم) على ما قبلها، أما قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ [الأعراف: 11]، فهو خلق أصل البشر وأبيهم، وجعله سبحانه خلقًا لهم وتصويرًا إذ هو أصلهم وهم فرعه، وبهذا فسرها السلف، قالوا: خلقنا أباكم، وخلْقُ أبي البشر خلْقٌ لهم.

وأما قوله: ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: 46]، فليس ترتيبًا لاطلاعه على أفعالهم، وإنما هو ترتيب لمجازاتهم عليها، وذكر الشهادة التي

هي علمه واطلاعه تقريرًا للجزاء على طريقة القرآن في وضع القدرة والعلم موضع الجزاء لأنه يكون بهما كما قال تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان: 23]، وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45]، وهو كثير في القرآن، وهو كما يقول السيد لعبده: اعمل ما شئت فإني أعلم ما تفعله، وأنا قادر عليك، وهذا أبلغ من ذكر العقاب وأعم فائدة.

فإن قيل: كيف تصنعون بقول الشاعر:

قــل لمــن ســاد ثــم ســاد أبــوه   ثــم قــد ســاد قبــل ذلــك جــده

قلنا: أي شاعر هذا حتى يحتج بقوله؟ وأين صحة الإسناد إليه لو كان ممن يحتج بشعره؟ وأنتم لا تقبلون الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فكيف تقبلون شعرا لا تعلمون قائله ولا تسندون إليه ألبتة.

الوجه التاسع: أن فاضلكم المتأخر[1] لما تفطن لهذا المحذور ادعى الإجماع أن العرش مخلوق بعد خلق السموات والأرض، فيكون المعنى أنه خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش، وهذا لم يقله أحد من أهل العلم أصلًا، وهو مناقض لما دل عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين أظهر مناقضة، فإنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وعرشه حينئذ على الماء، وهذه واو الحال، أي خلقها في هذه الحال، فدل على سبق العرش والماء للسموات والأرض.

---

(1) هو: الفخر الرازي.

وفي الصحيح عنه ﷺ: **«قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»**، وأصح القولين أن العرش مخلوق قبل القلم، لما في السنن من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»**.

وقد أخبر أنه قدر المقادير وعرشه على الماء، وأخبر في هذا الحديث أنه قدّرها في أول أوقات خلق القلم، فعلم أن العرش سابق على القلم، والقلم سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فادعى هذا الجهمي أن العرش مخلوق بعد خلق السموات والأرض، ولم يكفه هذا الكذب حتى ادعى الإجماع عليه، ليتأتى له إخراج الاستواء عن حقيقته.

الوجه العاشر: أن الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران، ومعنيان مختلفان فحمْل أحدهما على الآخر إن ادعي أنه بطريق الوضع فكذب ظاهر، فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء ألبتة، وإن كان بطريق الاستعمال في لغتهم فكذب أيضًا، فهذا نظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه، فتتبع لفظ استوى ومواردها في القرآن والسنة وكلام العرب هل تجدها في موضع واحد بمعنى الاستيلاء؟ اللّهم إلا أن يكون ذلك البيت المصنوع المختلق، وإن كان بطريق المجاز القياسي فهو إنشاء من المتكلم بهذا الاستعمال فلا يجوز أن يحمل عليه كلام غيره من الناس فضلا عن كلام الله وكلام رسوله ﷺ، يوضحه:

الوجه الحادي عشر: أن القائل بأن معنى استوى بمعنى استولى شاهد على الله أنه أراد بكلامه هذا المعنى، وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها، بل هي قول على الله بلا علم، فلو كان اللفظ محتملا لها في اللغة وهيهات، لم يجز أن يشهد

على الله أنه أراد هذا المعنى بخلاف من أخبر عن الله أنه أراد الحقيقة والظاهر، فإنه شاهد بما أجرى عليه سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها كما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: 4]، وإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوما كان هو المراد لكون الخطاب بلسانهم، وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم، فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه كان بمنزلة خطاب العربي بالعجمية.

الوجه الثاني عشر: أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازًا، قال الإمام أبو عمر الطلمنكي، أحد أئمة المالكية، وهو شيخ أبي عمر ابن عبد البر في كتابه الكبير الذي سماه: «الوصول إلى معرفة الأصول»: فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعهم، وأقوال مالك وأئمة أصحابه ما إذا وقف عليه الواقف علم حقيقة مذهب السلف، وقال في هذا الكتاب: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

الوجه الثالث عشر: قال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد) في شرح حديث النزول: وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وقرر ذلك، إلى أن قال: وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة مخصوصة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبهة، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود.

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره المشهور في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، هذه المسألة للفقهاء فيها كلام، ثم ذكر قول المتكلمين، ثم قال:

وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق به في كتابه، وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول[1].

الوجه الرابع عشر: أن الجهمية لما قالوا إن الاستواء مجاز صرح أهل السنة بأنه مستو بذاته على عرشه، وأكثر من صرح بذلك أئمة المالكية، فصرح به الإمام أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها: الرسالة، وفي كتاب: جامع النوادر، وفي: كتاب الآداب، فمن أراد الوقوف على ذلك فهذه كتبه.

وصرح بذلك القاضي عبد الوهاب وقال: إنه استواء الذات على العرش، وصرح به القاضي أبو بكر بن الباقلاني، وكان مالكيا، حكاه عنه القاضي عبد الوهاب أيضًا، وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب شرح أسماء الله الحسنى، فقال: ذكر أبو بكر الحضرمي من قول الطبري، يعني محمد بن جرير، وأبي محمد بن أبي زيد وجماعة من شيوخ الفقه والحديث، وهو ظاهر كتب القاضي عن القاضي أبي بكر وأبي الحسن الأشعري، وحكاه القاضي عبد الوهاب عن القاضي أبي بكر نصا، وهو أنه سبحانه مستو على العرش بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق خلقه، قال: وهذا قول القاضي أبي بكر في تمهيد الأوائل له، وهو قول أبي عمر بن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين، وقول الخطابي في شعار الدين.

وقال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرح رسالة ابن أبي زيد: قوله: إنه فوق عرشه المجيد بذاته، معنى «فوق» و: «على» عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تصديق ذلك، ثم ذكر النصوص من الكتاب

(1) الجامع لأحكام القرآن: 238 ـ 239/ 9.

والسنة، واحتج بحديث الجارية وقول النبي ﷺ لها: «**أين الله؟**» وقولها: «في السماء»، وحكمه بإيمانها، وذكر حديث الإسراء، ثم قال: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين فيما فهموه عن الصحابة فيما فهموه عن نبيهم ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: إنه بذاته فوق عرشه المجيد.

فبين أن علوه على عرشه وفوقه إنما هو بذاته إلا أنه باين من جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها إلى أن قال: وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، إنما معناه عند أهل السنة على غير معنى الاستيلاء والقهر والغلبة والملك، الذي ظنت المعتزلة ومن قال بقولهم أنه معنى الاستواء، وبعضهم يقول: إنه على المجاز لا على الحقيقة.

قال: ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل المعقول أنه لم يزل مستوليًا على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرش وغيره في ذلك سواء، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة، قال: وذلك يبين أنه أيضًا على الحقيقة بقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، فلما رأى المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على العرش بعد خلق سماواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء غير الاستيلاء فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11]. هذا لفظه في شرحه.

الوجه الخامس عشر: أن الأشعري حكى إجماع أهل السنة على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء، ونحن نذكر لفظه بعينه الذي حكاه عنه أبو القاسم بن

عساكر في كتاب: «تبيين كذب المفتري» وحكاه قبله أبو بكر بن فورك وهو موجود في كتبه.

قال في كتاب الإبانة[1]، وهي آخر كتبه، قال: (باب ذكر الاستواء) إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول له: إن الله تعالى مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، وساق الأدلة على ذلك، ثم قال: وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، أنه استولى وملك وقهر، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة السفلى، لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض والسموات وكل شيء في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء والقدرة لكان مستويا على الأرض والحشوش والأنتان والأقذار لأنه قادر على الأشياء كلها، ولم نجد أحدا من المسلمين يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، فلا يجوز أن يكون معنى الاستواء على العرش على معنى هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون سائر الأشياء، وهكذا قال في كتابه «الموجز» وغيره من كتبه.

الوجه السادس عشر: أن هذا البيت محرف وإنما هو هكذا:

بشر قد استوى على العراق

هكذا لو كان معروفًا من قائل معروف، فكيف وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها.

---

(1) الإبانة، ص: 83 ـ 84.

الوجه السابع عشر: أنه لو صح هذا البيت وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم، وهو على حقيقة الاستواء، فإن بشرًا هذا كان أخا عبد الملك بن مروان، وكان أميرًا على العراق، فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: 13]، وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: 44]، وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29]، وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا»[1]، وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أُتي رسول الله ﷺ بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال: **بسم الله،** فلما استوى على ظهرها قال: **الحمد لله**». فهل تجد في هذه المواضع موضعًا واحدًا أنه بمعنى الاستيلاء والقهر؟

الوجه الثامن عشر: أن استواء الشيء على غيره يتضمن استقراره وثباته وتمكنه عليه كما قال تعالى في السفينة: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: 44]، أي رست عليه واستقرت على ظهره، وقال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: 13]، وقال في الزرع: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29]، فإنه قبل ذلك يكون فيه ميل واعوجاج لأجل ضعف سوقه، فإذا استغلظ الساق واشتد استوت عليه السنبلة واستقرت، ومنه:

قد استوى بشر على العراق

فإنه يتضمن استقراره وثباته عليها ودخوله دخول مستقر ثابت غير مزلزل، وهذا يستلزم الاستيلاء أو يتضمنه، فالاستيلاء لازم معنى الاستواء لا في كل موضع، بل في الموضع الذي يقتضيه، ولا يصلح الاستيلاء في كل موضع يصلح

---

(1) أخرجه مسلم: (1342) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فيه الاستواء، بل هذا له موضع، وهذا له موضع، ولهذا لا يصلح أن يقال: استولت السنبلة على ساقها، ولا استولت السفينة على الجودي، ولا استولى الرجل على السطح إذا ارتفع فوقه.

الوجه التاسع عشر: أنه لو كان المراد بالبيت استيلاء الملك والقهر لكان المستوي على العراق عبد الملك بن مروان، لا أخوه بشر، فإن بشرًا لم يكن ينازع أخاه الملك ولم يكن ملكًا مثله، وإنما كان نائبًا له عليها وواليًا من جهته، فالمستولي عليها هو عبد الملك لا بشر، بخلاف الاستواء الحقيقي وهو الاستقرار فيها والجلوس على سريرها، فإن نواب الملك تفعله بإذن الملوك.

الوجه العشرون: أنه لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها بل بينه وبينها بُعد كثير: إنه قد استوى عليها، فلا يقال: استوى أبو بكر على الشام، ولا استوى عمر على مصر والعراق، ولا قال أحد: قد استوى رسول الله ﷺ على اليمن، مع أنه استولى عليها واستولى خلفاؤه على هذه البلاد، ولم يزل الشعراء يمدحون الملوك والخلفاء بالفتوحات، ويتوسعون في نظمهم واستعاراتهم، فلم يسمع عن قديم منهم جاهلي ولا إسلامي ولا محْدث أنه مدح أحدا قط بأنه استوى على البلد الفلاني الذي فتحه واستولى عليه، فهذه دواوينهم وأشعارهم موجودة.

الوجه الحادي والعشرون: أنه إذا دار الأمر بين تحريف لغة العرب وحمل لفظها على معنى لم يعهد استعماله فيه ألبتة، وبين حمل المضاف المألوف حذفه كثيرًا إيجازًا واختصارًا، فالحمل على حذف المضاف أولى، وهذا البيت كذلك، فإنا إن حملنا لفظ استوى فيه على استولى حملناها على معنى لم يعهد استعمالها فيه ألبتة، وإن حملناها على حذف المضاف وتقديره: قد استوى على سرير العراق حملنا على معهود مألوف، فيقولون: قعد فلان على سرير الملك، فيذكرون المضاف أيضاحا

وبيانًا، ويحذفونه تارةً إيجازًا واختصارًا، إذ قد علم المخاطب أن القعود والاستواء والجلوس الذي يضاف إلى الملك ويقصد به الملك يستلزم سرير الملك، فحذف المضاف أقرب إلى لغة القوم من تحريف كلامهم وحملِ لفظ على معنى لفظ آخر لم يعهد استعماله فيه.

الوجه الثاني والعشرون: أنه كيف يجوز أن ينزل الله آيات متعددات في كتابه الذي أنزله بلسان العرب، ويكون معنى ذلك الخطاب مشهورًا في لغتهم معروفًا في عادة نظامهم لمعنى، فلا يريد ذلك المعنى ويأتي بلفظ يدل على خلافه ويطرد استعماله في موارده كلها بذلك اللفظ الذي لم يرد معناه، ولا يذكر في موضع واحد باللفظ الذي يريد معناه، فمن تصور هذا جزم ببطلانه وإحالة نسبته إلى من قصْدُه البيان والهدى.

الوجه الثالث والعشرون: أنه لو أريد ذلك المعنى المجازي لذكر في اللفظ قرينة تدل عليه، فإن المجاز إن لم[1] يقترن به قرينة وإلا كانت دعواه باطلة لأنه خلاف الأصل ولا قرينة معه، ومعلوم أنه ليس في موارد الاستواء في القرآن والسنة موضع واحد قد اقترنت به قرينة تدل على المجاز، فكيف إذا كان السياق يقتضي بطلان ما ذكر من المجاز، وأن المراد هو الحقيقة.

الوجه الرابع والعشرون: أن تجريد الاستواء من اللام واقترانه بحرف: «على» وعطف فعله بـ: «ثم» على خلق السموات والأرض، وكونه بعد أيام التخليق وكونه سابقا في الخلق على السموات والأرض، وذكر تدبير أمر الخليقة معه الدال على كمال الملك، فإن العرش سرير المملكة، فأخبر أن له سريرا، كما قال أمية:

(1) هكذا في عدة نسخ: «إن لم يقترن» والصواب عندي حذف: «لم» والله أعلم.

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرًا
بالبناء الأعلى الذي سبق الخلـ ـق وسوّى فوق السماء سريرًا

وصدقه رسول الله ﷺ واستنشده الأسود بن سريع، فقد استوى على سرير ملكه يدبر أمر الممالك، وهذا حقيقة الملك، فمن أنكر عرشه أو أنكر استواءه عليه، أو أنكر تدبيره، فقد قدح في ملكه، فهذه القرائن تفيد القطع بأن الاستواء على حقيقته كما قال أئمة الهدى.

الوجه الخامس والعشرون: أنه لو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لجاز أن يقال: استوى على ابن آدم وعلى الجبل وعلى الشمس والقمر وعلى البحر والشجر والدواب، وهذا لا يطلقه مسلم.

فإن قيل: هذا جائز، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أجل المخلوقات وأرفعها وأوسعها، فتخصيصه بالذكر تنبيه على ما دونه، قيل: لو كان هذا صحيحًا لم يكن ذكر الخاص منافيا لذكر العام، ألا ترى أن ربوبيته لما كانت عامة للأشياء لم يكن تخصيص العرش بذكره منها كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 129 والنمل: 26]، مانعًا من تعميم إضافتها كقوله: ﴿رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 164]، فلو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لم يمنع إضافتُه إلى العرش إضافتَه إلى كل ما سواه، وهذا في غاية الظهور.

الوجه السادس والعشرون: أنه إذ فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلمَ عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه، أفلا يستحي مَن للهِ في قلبه وقار لكلامه أن ينسب ذلك إليه، وأنه أراده بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، أي: اعلموا

يا عبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه.

الوجه السابع والعشرون: أن أعلم الخلق به قد أطلق عليه أنه فوق عرشه كما في حديث العباس: «**والله فوق العرش**»، وفي حديث عبد الله بن رواحة الذي صححه ابن عبد البر[1] وغيره:

وأن العــرش فــوق المــاء طــاف — وفـــوق العـــرش رب العالمينـــا

وهذه الفوقية هي تفسير الاستواء المذكور في القرآن والسنة، والجهمية يجعلون كونه فوق العرش بمعنى أنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم، والمعنى عندهم: أنه أعلمَ الأمةَ بأن الله خير وأفضل من العرش.

فياللعقول: أين في لغة العرب حقيقة أو مجازا أو كناية أو استعارة بعيدة أن يقال: استوى على كذا إذا كان أعظم قدرا منه وأفضل؟ هذا من لغة الطماطم[2] لا من لغة القوم الذين بعث رسول الله ﷺ بلسانهم، وكتاب الله لا يحتمل هذا التأويل الباطل الذي تنفر عنه العقول، يوضحه:

الوجه الثامن والعشرون: أن تفضيل الرب تعالى على شيء من خلقه لا يذكر في القرآن إلا ردا على من اتخذ ذلك الشيء ندا لله فبين سبحانه أنه خير من ذلك الند، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59]، وقوله تعالى حاكيًا عن السحرة: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى

(1) الاستيعاب، ص: 397، لكن قال الذهبي في العلو للعلي العظيم، ص: 49: روي من وجوه مرسلة.

(2) قال في الصحاح 1976/ 5: ورجل طمطم بالكسر أي في لسانه عجمة لا يفصح.

فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [طه: 72-73]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 17]، فأما أن يفضل نفسه على شيء معين من خلقه ابتداء فهذا لم يقع في كلام الله سبحانه ولا هو مما يقصد بالإخبار، لأن قول القائل ابتداء: الله خير من ابن آدم وخير من السماء وخير من العرش، من جنس قوله: السماء فوق الأرض والثلج بارد والنار حارة، وليس في ذلك تمجيد لله ولا تعظيم ولا مدح، ولهذا لم يجئ هذا اللفظ في القرآن، ولا في كلام الرسول، ولا هو مما جرت عادة الناس بمدح الرب تعالى به، مع تفنن مدحهم ومحامدهم، بل هو أركُّ الكلام وأسمجه، وأهجنه، فكيف يليق بهذا الكلام الذي يأخذ بمجامع القلوب عظمة وجلالة، ومعانيه أشرف المعاني وأعظمها فائدة أن لا يكون معناه إلا أن الله أفضل من العرش والسماء؟ ومن المثل السائر نظما:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وهذا بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك احتجاجًا على مبطل وإبطالًا لقول مشرك، كما إذا رأيت رجلًا يعبد حجرًا فقلت له: الله خير أم الحجر؟ فيحسن هذا الكلام في هذا المقام ما لا يحسن في قول الخطيب ابتداء: الحمد لله الذي هو خير من الحجارة، ولهذا قال يوسف الصديق في احتجاجه على الكفار: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف: 39]، وقال تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل: 59]، يوضحه:

الوجه التاسع والعشرون: أن الرجل إذا تكلم بمثل هذا الكلام في حق المخلوق لكان مستهجنًا جدًا، فلو قال: الشمس أضوأ من السراج، والسماء أكبر من الرغيف وأعلى من سقف الدار، ونحو ذلك لكان مستقبحًا مع قرب النسبة

بين المخلوق والمخلوق، فكيف إذا قيل ذلك بين الخالق والمخلوق مع التفاوت الذي بين الله وخلقه؟

الوجه الثلاثون: أن الاستيلاء الذي فسروا به الاستواء، إما أن يراد به الخلق أو القهر، أو الغلبة، أو الملك، أو القدرة عليه، ولا يصح أن يكون شيء منها مرادا، أما الخلق فلأنه يتضمن أن يكون خلقه بعد خلق السموات والأرض، وهذا بخلاف إجماع الأمة وخلاف ما دل عليه القرآن والسنة، وإن ادعى بعض الجهمية المتأخرين أنه خلق بعد خلق السموات والأرض، وادعى الإجماع على ذلك، وليس العجب من جهله، بل من إقدامه على حكاية الإجماع على ما لم يقله مسلم، ولا يصح أن يراد بقية المعاني للوجوه التي ذكرناها وغيرها، فلا يجوز تفسير الآية به، ولهذا لم يقله عالم من علماء السلف بل صرحوا بخلافه، كما قال أبو العالية: علا وارتفع، وقال مجاهد: استقر، وقال مالك: الاستواء معلوم، وقال يزيد بن هارون: من زعم أن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي، وقد تقدم حكاية قول من قال: استوى بذاته واستوى حقيقة، فأوجِدونا عمن يقتدى بقوله في التفسير أو عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو عن إمام له في الأمة لسان صدق أنه فسر اللفظ باستولى، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا.

الوجه الحادي والثلاثون: إما أن يحيل العقل حمل الاستواء على حقيقته أو لا يحيله، فإن أحاله العقل ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام في تفسيره بخلاف ما يحيله العقل، بل تفاسيرهم كلها مما يحيلها العقل لزم القدح في أعلم الأمة ونسبتهم إلى أعظم الجهل لسكوتهم عن بيان الحق وتكلمهم بالباطل، وهذا شر من قول الرافضة، وإن لم يحله العقل وجب حمله على حقيقته لأنها الأصل والعقل لا يمنع منها.

الوجه الثاني والثلاثون: أن أئمة السنة متفقون على أن تفسير الاستواء بالاستيلاء إنما هو متلقى عن الجهمية والمعتزلة والخوارج، وممن حكى ذلك: أبو الحسن الأشعري في كتبه، وحكاه ابن عبد البر والطلمنكي عنهم خاصة، وهؤلاء ليسوا ممن يُحكَى أقوالهم في التفسير ولا يُعتمد عليها، كما قال الأشعري في تفسير الجبائي: كأن القرآن نزل بلغة أهل جباء، وقد عُلم أن هؤلاء يحرفون الكلم ويفسرون القرآن بآرائهم، فلا يجوز العدول عن تفسير الصحابة والتابعين إلى تفسيرهم.

الوجه الثالث والثلاثون: أن الاستيلاء يكون مع مزايلة المستولي للمستولى عليه ومفارقته له، كما يقال: استولى عثمان بن عفان على خراسان، واستولى عبد الملك على بلاد المغرب، واستولى الجواد على الأمد، قال الشاعر:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

فجعله مستوليًا عليه بعد مفارقته له وقطع مسافته، والاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشيء الذي يستوي عليه كـ[1] : ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: 44]، ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: 13]، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: 28]، وهكذا في جميع موارده في اللغة التي خوطبنا بها، ولا يصح أن يقال: استوى على الدابة والسطح إذا نزل عنها وفارقها، كما يقال: استولى عليها، هذا عكس اللغة وقلب الحقائق، وهذا قطعي بحمد الله تعالى.

الوجه الرابع والثلاثون: أن نقل معنى الاستواء وحقيقته كنقل لفظه بل أبلغ، فإن الأمة كلها تعلم بالضرورة أن الرسول أخبر عن ربه بأنه استوى على عرشه من يحفظ القرآن منهم ومن لا يحفظه، وهذا المعنى عندهم كما قال مالك وأئمة السنة: الاستواء معلوم غير مجهول، كما أن معنى السمع والبصر والقدرة والحياة

---

(1) في الأصل: «استوت» من غير واو.

والإرادة وسائر ما أخبر به عن نفسه معلوم، وإن كانت كيفيته غير معلومة للبشر، فإنهم لم يخاطبوا بالكيفية ولم يُرَد منهم العلمُ بها، فإخراج الاستواء عن حقيقته المعلومة كإنكار ورود لفظه بل أبلغ، وهذا مما يعلم أنه مناقض لما أخبر الله به ورسوله ﷺ، يوضحه:

الوجه الخامس والثلاثون: أن اللفظ إنما يراد لمعناه ومفهومه فهو المقصود بالذات واللفظ مقصود قصد الوسائل والتعريف بالمراد، فإذا انتفى المعنى وكانت إرادته محالا لم يبق في ذكر اللفظ فائدة، بل كان تركه أنفع من الإتيان به، فإن الإتيان به إنما حصل منه إيهام المحال والتشبيه وأوقع الأمة في اعتقاد الباطل، ولا ريب أن هذا إذا نسب إلى آحاد الناس كان ذمه به أقرب من مدحه فكيف يليق نسبته إلى من كلامه هدى وشفاء وبيان ورحمة؟ هذا من أمحل المحال.

الوجه السادس والثلاثون: أن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة وأهل التفسير المقبول، وقد صرح المنكرون للاستواء بأن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره، كما قاله صاحب المحصول وغيره، وهذا لفظه: «لا يجوز أن يتكلم الله بشيء ويعني به خلاف ظاهره» والخلاف فيه مع المرجئة، ثم احتج على ذلك بأنه عبث وهو على الله محال، والذي احتج به على المرجئة يَحتج به عليه أهلُ السنة بعينه، وهذا الذي قاله هو الحق وهو مما اتفق عليه العقلاء، فلا يجوز أن يتكلم الله بشيء ويريد به خلاف ظاهره إلا وفي السياق ما يدل على ذلك بخلاف المجمل، فإنه يجوز عندهم التكلم به لأنه لم يرد به خلاف ظاهره، والفرق بينهما إيقاع الأول في اللبس واعتقاد الخطأ بخلاف المجمل، فكيف إذا كان مع ظاهره من القرآن ما ينفي إرادة غيره، فدعوى إرادة غير الظاهر حينئذ ممتنع من الوجهين.

الوجه السابع والثلاثون: أن حقيقة هذا المجاز أنه ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إلا العدم المحض، وليس هناك من ترفع إليه الأيدي ويصعد إليه الكلم الطيب، وتعرج الملائكة والروح إليه، وينزل الوحي من عنده ويقف العباد بين يديه، ولا عرج برسوله إليه حقيقة، ولا رفع المسيح إليه حقيقة، ولا يجوز أن يشير إليه أحدنا بإصبعه إلى فوق كما فعل النبي ﷺ، ولا يجوز أن يقال: أين هو كما قاله النبي ﷺ، ولا يجوز أن يسمع من يقول: أين الله؟ ويقره عليه، كما سمع ذلك رسول الله ﷺ من السائل وأقره عليه، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا فوقهم، ولا له حجاب حقيقة يحتجب به عن خلقه، ولا يقرب منه شيء، ولا يبعد منه شيء، ونسبته من فوق السموات كلها إلى القرب منه كنسبة من في أسفل سافلين، كلاهما في القرب من ذاته سواء، فهذا حقيقة هذا المجاز وحاصله، ومعلوم أن هذا أشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول الصريح، فيكون من أبطل الباطل[1].

الوجه الثامن والثلاثون: أن الله سبحانه ذم المحرفين للكلم، والتحريف نوعان: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة وإما بنقصان وإما بتغيير حركة إعرابية، وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع، وقد سلكها الجهمية والرافضة، فإنهم حرفوا نصوص الحديث ولم يتمكنوا من ذلك في ألفاظ القرآن، وإن كان الرافضة حرفوا كثيرا من لفظه، وادعوا أن أهل السنة غيروه عن وجهه.

وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا فيه وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلًا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن

---

(1) وبهذا يظهر لك فساد قول الأشعري في الإبانة، (ص: 87): ... على عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قربًا من العرش اهـ.

وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر لقدرٍ مَّا مشترك بينهما، وأصحاب تحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه وهؤلاء شر منهم من وجه، فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعًا عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى، وهؤلاء أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه، ولكن أولئك لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظًا يصلح له لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فُهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمه على المعنى الذي قصدوا.

الوجه التاسع والثلاثون: أن استواء الرب المعدى بأداة «على» المعلق بعرشه المعرف باللام المعطوف بثم على خلق السموات والأرض المطرد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد، لا يحتمل إلا معنًى واحدًا لا يحتمل معنيين ألبتة، فضلا عن ثلاثة أو خمسة عشر كما قال صاحب «القواصم والعواصم»[1]: إذا قال لك المجسم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، فقل: استوى على العرش تستعمل على خمسة عشر وجها فأيها تريد؟

فيقال له: كلا والذي استوى على العرش لا يحتمل هذا اللفظ معنيين ألبتة، والمدعي للاحتمال عليه بيان الدليل، إذ الأصل عدم الاشتراك والمجاز، فلم يذكر على دعواه دليلًا ولا بيّن الوجوه المحتملة حتى يصلح قوله: «فأيها تريدون وأيها تعنون»؟ وكان ينبغي له أن يبين كل احتمال ويذكر الدليل على ثبوته، ثم يطالب حزب الله ورسوله ﷺ بتعيين أحد الاحتمالات، وإلا فهم يقولون: لا نسلم

(1) هو القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى.

احتماله لغير معنى واحد، فإن الأصل في الكلام الإفراد والحقيقة، دون الاشتراك والمجاز، فهم في منعهم أولى بالصواب منك في تعدد الاحتمالات، فدعواك أن هذا اللفظ يحتمل خمسة عشر معنى دعوى مجردة ليست معلومة بضرورة ولا نظر ولا نص ولا إجماع، يوضحه:

الوجه الأربعون: وهو أن يقال: الاحتمالات التي ادعيتها تتطرق إلى لفظ استوى وحده المجرد عن اتصاله بأداة أم إلى المقترن بواو المصاحبة أم إلى المقترن بإلى أم إلى المقترن بعلى، أم إلى كل واحد من ذلك، وكذلك العرش الذي ادعيت أنه يحتمل عدة معان هو العرش المنكر غير المعرف بأداة تعريف ولا إضافة أم المضاف إلى العبد كقول عمر: «كاد عرشي أن يثل»، أم إلى عرش الدار وهو سقفها في قوله: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259]، و[الكهف: 42]، و[الحج: 45]، أم إلى عرش الرب تبارك وتعالى الذي هو فوق سماواته أم إلى كل واحد من ذلك؟ فأين موارد الاحتمال حتى يُعلم هل هي صحيحة أم باطلة؟ فلا يمكنك أن تدعي ذلك في موضع معين من هذه المواضع، ودعواه بهت صريح، وغاية ما تقدر عليه أنك تدعي مجموع الاحتمالات في مجموع المواضع بحيث يكون كل موضع له معنى، فأي شيء ينفعك هذا في الموضع المعين، فسبحان الله! أين هذا من القول السديد الذي أوصانا الله تعالى به في كتابه حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70]، والسديد هو الذي يسد موضعه ويطابقه فلا يزيد عليه ولا ينقص منه، وسداد السهم هو مطابقته وإصابته الغرض من غير علو ولا انحطاط ولا تيامن ولا تياسر.

والمقصود: أن استواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة «على» نص في معناه لا يحتمل سواه.

الوجه الحادي والأربعون: أنا نمنع الاحتمال في نفس لفظ الاستواء مع قطع النظر عن صِلاته المقرون بها وأنه ليس له إلا معنى واحد وإن تنوع بتنوع صِلاته، كنظائره من الأفعال التي تتنوع معانيها بتنوع صِلاتها كمِلت عنه وملت إليه ورغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت عنه وعدلت إليه، وفررت منه وفررت إليه، فهذا لا يقال له مشترك ولا مجاز، بل حقيقة واحدة تنوعت دلالتها بتنوع صلاتها، وهكذا لفظ الاستواء هو بمعنى الاعتدال حيث استعمل مجردًا أو مقرونًا، تقول: سويته فاستوى، كما يقال: عدلته فاعتدل، فهو مطاوع الفعل المعدى، وهذا المعنى عام في جميع موارد استعماله في اللغة، ومنه استوى إلى السطح أي ارتفع في اعتدال، ومنه استوى على ظهر الدابة أي اعتدل عليها، قال تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف: 13]، وأهَل رسول الله ﷺ لما استوى على راحلته فهو يتضمن اعتدالًا واستقرارًا عند تجرده، ويتضمن المقرونُ مع ذلك معنى العلو والارتفاع، وهذه حقيقة واحدة تتنوع بتنوع قيودها كما تتنوع دلالة الفعل بحسب مفعولاته وصلاته، وما يصاحبه من أداة نفي، أو استفهام، أو نهي، أو إغراء، فيكون له عند كل أمر من هذه الأمور دلالة خاصة والحقيقة واحدة.

فهذا هو التحقيق لا الترويج والتزويق، وادعاء خمسة عشر معنى لما ليس له إلا معنى واحد، وهذا شأن جميع الألفاظ المطلقة إذا قيدت فإنها تتنوع دلالتها بحسب قيودها ولا يخرجها ذلك عن حقائقها (فضرب) مع المثل له معنى، وفي الأرض له معنى، والبحر له معنى، والدابة له معنى، إذ هو إمساس بإيلام، فإن صاحبته أداة النفي صار له معنى آخر، فإن كانت أداة استفهام أو نهي أو تمن أو تخصيص[1] اختلفت دلالته، وحقيقته واحدة، وفي كل موضع يقترن به ما يبين المراد.

---

(1) هكذا في عدة نسخ، وأظن أنها مصحفة من: «تحضيض» بالحاء المهملة وضادين معجمتين بينهما ياء آخر الحروف.

فإذا قال القائل في قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ [النساء: 34]، إن «اضرب» له عدة معان فأيها المراد كان كنظير قول هذا القائل: إن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] له خمسة عشر وجها، والفرق بين هذا الوجه والذي قبله أن في الوجه الأول يتبين أن مجموع اللفظ وصلته يدلان على غير ما دل عليه اللفظ مع الصلة الأخرى، وفي هذا الوجه يتبين أن مطلق اللفظ يدل على المعنى المشترك وأن اختصاصه في محاله هو من اقترانه بتلك الصلة ولا منافاة بينهما، فالتركيب يحدث للمركب حالة أخرى سواء كان المركب من المعاني أو من الألفاظ أو الأعيان أو الصفات مخلوقها ومصنوعها.

فعلى هذا إذا اقترن استوى بحرف الاستعلاء دل على الاعتدال بلفظ الفعل وعلى العلو بالحرف الذي وصل به، فإن اقترن بالواو دل على الاعتدال بنفسه وعلى معادلته بعد الواو بواسطتها، وإذا قرن بحرف الغاية دل على الاعتدال بلفظه وعلى الارتفاع قاصدًا لما بعد حرف الغاية بواسطتها، وزال بحمد الله الاشتراك والمجاز ووضح المعنى وأسفر صبحه، وليس الفاضل من يأتي إلى الواضح فيعقده ويعميه، بل من يأتي إلى المشكل فيوضحه ويبينه، ومن الله سبحانه البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم.

ونحن نشهد أن الله قد بين غاية البيان الذي لا بيان فوقه، وبلغ رسوله البلاغ المبين فبلغ المعاني كما بلغ الألفاظ، والصحابة بلغوا عنه الأمرين جميعا، وكان تبليغه للمعاني أهم من تبليغه للألفاظ، ولهذا اشترك الصحابة في فهمها، وأما حفظ القرآن فكان في بعضهم، قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل جميعًا».

وهذه الآثار المحفوظة عن الصحابة والتابعين كلها متفقة على أن الله نفسه فوق العرش، وقال أئمة السنة: إنه بذاته فوق عرشه وإن ذلك حقيقة لا مجاز، وأكثر من صرح بذلك أئمة المالكية كما تقدم حكاية ألفاظهم.

الوجه الثاني والأربعون: أنا لو فرضنا احتمال اللفظ في اللغة لمعنى الاستيلاء ولخمسة عشر معنى، فالله ورسوله ﷺ قد عين بكلامه منها معنى واحدًا ونوّع الدلالة عليه أعظم تنويع حتى يقارب ذلك ألف دليل، فالصحابة كلهم متفقون لا يختلفون في ذلك المعنى ولا التابعون ولا أئمة الإسلام، ولم يقل أحد منهم إنه بمعنى استولى وإنه مجاز، فلا يضر الاحتمال بعد ذلك في اللغة لو كان حقا، ولما سئل مالك وسفيان بن عيينة وقبلهما ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن الاستواء فقالوا: الاستواء معلوم، تلقى ذلك عنهم جميع أئمة الإسلام ولم يقل أحد منهم إنه يحتاج إلى صرفه عن حقيقته إلى مجازه ولا إنه مجمل له مع العرش خمسة عشر معنى، وقد حرف بعضهم كلام هؤلاء الأئمة على عادته فقال: معناه الاستواء معلوم لله، فنسبوا السائل إلى أنه كان يشك هل يعلم الله استواء نفسه أو لا يعلمه، ولما رأى بعضهم فساد هذا التأويل قال: إنما أراد به أن ورود لفظه في القرآن معلوم، فنسبوا السائل والمجيب إلى الغفلة فكأن السائل لم يكن يعلم أن هذا اللفظ في القرآن، وقد قال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، كيف استوى؟ فلم يقل: هل هذا اللفظ في القرآن أم لا؟ ونسبوا المجيب إلى أنه أجابه بما يعلمه الصبيان في المكاتب ولا يجهله أحد، ولا هو مما يُحتاج إلى السؤال عنه ولا استشكله السائل، ولا خطر بقلب المجيب أنه يسأل عنه، والله تعالى أعلم. انتهى كلامه[1].

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة: (888 ـ 946/ 3).

واعلم أن أدلة علو الله سبحانه وتعالى على خلقه كثيرة كتابًا وسنة وإجماعًا، **فأما القرآن** فقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: 16-17]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: 15]، ورفيع هنا بمعنى مرفوع، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وفعيلُ فيها ليس معنى فاعل ... وسياقها يأباه ذو التبيان

لكنها مرفوعة درجاته ... لكمال رفعته على الأكوان

هذا هو القول الصحيح فلا تحد ... عنه وخذ معناه في القرآن

فنظيرها المبدي لنا تفسيرها ... في ذي المعارج ليس يفترقان

والروح والأملاك تصعد في معا ... رجه إليه جل ذو السلطان

ذا رفعة الدرجات حقًا ما هما ... إلا سواء أو هما شبهان

فخذ الكتاب ببعضه بعضا كذا ... تفسير أهل العلم للقرآن

وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:55]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:158]، وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:10]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:18]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:61]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩﴾

(1) الكافية الشافية، ص: (110 ـ 111).

[النحل:50]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:206]، والتصريح باختصاص بعض بأنه عنده يقتضي علوه سبحانه وتعالى على خلقه، ولولا ذلك كان كل شيء عنده، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:2]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166]، وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:3]، وقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:29]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: 12]، إلى غير ذلك من الآيات، والتنزل والنزول والإنزال إنما تكون من أعلى إلى أسفل.

وأما السنة فمنها حديث الجارية وقد قال لها النبي ﷺ: **«أين الله؟»** قالت: في السماء، قال: **«من أنا؟»** قالت: أنت رسول الله، قال: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**[1].

---

(1) أخرجه الأئمة: مالك: (328 ـ 329/ 2)، وأحمد: (109 ـ 112/ 17)، ومسلم: (537)، واللفظ له، وأبو داود: (930)، و: (3282)، والنسائي: (1218)، من حديث معاوية بن الحكم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووقع عند مالك: «عمر بن الحكم» قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو وهم عند جميع أهل العلم بالحديث وليس في الصحابة رجل يقال له عمر بن الحكم وإنما هو معاوية بن الحكم كذلك قال فيه كل من روى هذا الحديث عن هلال وغيره ومعاوية بن الحكم معروف في الصحابة وحديثه هذا معروف له وقد ذكرناه في الصحابة ونسبناه فأغنانا عن ذكر ذلك هاهنا، وأما عمر بن الحكم فهو من التابعين وهو عمر =

وقال ﷺ: **«وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»**[1] وقال ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...»**، الحديث[2].

وقال ﷺ: **«لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي»**[3].

ويروى عنه ﷺ أنه قال: **«لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه»**[4].

= بن الحكم بن أبي الحكم وهو من بني عمرو بن عامر من الأوس وقيل بل هو حليف لهم وكان من ساكني المدينة توفي بها سنة سبع عشرة ومائة وهو عم والد عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، وعمرُ بن الحكم بن سنان لأبيه صحبة، وعمر بن الحكم بن ثوبان هؤلاء ثلاثة من التابعين كلهم يسمى عمر بن الحكم وهم مدنيون وليس فيهم من له صحبة ولا من يروي عنه عطاء بن يسار وليس في الصحابة أحد يسمى عمر بن الحكم وإنما هذا معاوية بن الحكم لا شك فيه. انظر التمهيد: (76/ 22).

قال محمد بن ادِّ: لكن أسنده أبو سعيد الدارمي في الرد على الجهمية، ص: 46 قال: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: قرأت على مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم مثل رواية الجماعة.

(1) صحيح مسلم: (2713)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(2) صحيح البخاري: (4350)، وصحيح مسلم: (1064)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(3) صحيح البخاري: (3194)، وصحيح مسلم: (2751)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظ البخاري: (لما قضى الله).

(4) أخرجه الخلال في كتاب السنة له ـ من حديث قتادة بن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ بإسناد صحيح على شرط البخاري كما قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: (57)، وقال الذهبي في العلو (524/ 1): رواته ثقات.

قال محمد بن ادِّ: أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (198 ـ 199/ 2) بلفظ: (إن الله عَزَّوَجَلَّ لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا)، وفيه قصة، قال البيهقي: «حديث منكر» ثم أطال الكلام في إعلاله: 198 ـ 200/ 2، وكذلك فعل الشيخ الألباني في الضعيفة: (755).

وقال ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل...»، الحديث[1].

وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة الصبح ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[2].

أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت ثم تلا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: 144] حتى ختم الآية[3].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه»[4].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين

---

(1) أخرجه مسلم: (179)، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) أخرجه البخاري: (555)، ومسلم: (632)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا لفظ مسلم.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: 553/ 14، وسنده حسن، وذكره البخاري في التاريخ الكبير: 201 ـ 202/ 1، تعليقًا.

(4) أخرجه الدارمي في النقض، ص: 198 ـ 199 بسند صحيح.

الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»[1].

قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: «الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[2].

قلت: إسناده جيد.

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فكان أول ما خلق الله القلم فأمره وكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[3].

وقالت أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[4].

وقال العباس بن مرداس السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يمدح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رأيتك يا خير البرية كلها	نشرت كتابًا جاء بالحق مُعْلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا	عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونوَّرت بالبرهان أمرا مدلسا	وأطفأت بالبرهان نارا تضرَّما
فمَن مبْلغ عني النبيَّ محمدا	وكل امرئ يُجزَى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه	وكان قديمًا ركنه قد تهدما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا	وكان مكان الله أعلى وأعظما[5]

---

(1) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص: 55، وابن خزيمة في التوحيد: 244/ 1، وسنده جيد.

(2) ذكره أبو عمر في التمهيد: 139/ 7.

(3) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص: 38، وإسناده صحيح.

(4) صحيح البخاري: (7420).

(5) إثبات صفة العلو لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص: (69).

أقوال التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

قال عبد الأعلى بن أبي المساور عن علي بن الأقمر قال: كان مسروق إذا حدث عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات فلم أكذبها(1).

وقال سليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو كما قال الحافظ الذهبي: من أئمة أهل البصرة علمًا وعملًا ـ: لو سئلت: أين الله تبارك وتعالى؟ قلت: في السماء، فإن

(1) إثبات صفة العلو، ص: (110)، وصححه الذهبي في العلو، ص: (128 ـ مختصره)، وابن القيم في اجتماع الجيوش، ص: (163)، وليس كذلك، فإن في إسناده أبا مسعود عبد الأعلى بن أبي المساور الجرار وهو منكر الحديث كما قال البخاري والساجي، وانظر بقية الأقوال فيه في تهذيب التهذيب: 466/ 2، فالعجب من الذهبي كيف يقول: وقال الثقة عن علي بن الأرقم!! والرجل ساقط متهم.

تنبيه: قال محقق «إثبات صفة العلو» بدر بن عبد الله البدر ـ بعد أن تعقب الحافظ الذهبي بنحوٍ مما تعقبته به ـ : ولكن الأثر صحيح فقد رواه أبو نعيم في الحلية (2: 44) من طريقين آخرين أحدهما صحيح والآخر فيه حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس وقد عنعن فيه اهـ كلامه.

وإليك الطريقين الذينِ في الحلية، قال أبو نعيم 44/ 2: حدثنا محمد بن معمر ثنا أبو بكر بن أبي عاصم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا جعفر بن عون ثنا مسعر بن كدام عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الضحى عن مسروق قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة في كتاب الله. حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن الصباح ثنا جرير عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله.

قال محمد بن ادِّ: هذان الطريقان لا يصحان أما الأول ففيه محمد بن معمر وهو ابن ناصح أبو مسلم الذهلي ترجمه تلميذه أبو نعيم في تاريخ أصبهان: 255/ 2 ووصفه بالأديب ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا.

وأما الثاني ففيه أيضًا: أبو حامد أحمد بن محمد بن جبلة شيخ أبي نعيم ولم أقف له على ترجمة، ثم إنه ليس في الطريقين المذكورين: «من فوق سبع سموات» وهي محل الشاهد هنا.

وقال عبد الله بن صالح البراك محقق كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي 868/ 2: لكن أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق مسلم بن صبيح عن مسروق به ولفظه: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله (2/ 44) وسنده صحيح اهـ كلامه والقول فيه كالقول في صنيع بدر بن عبد الله البدر سواء بسواء.

قال: فأين عرشه قبل أن يخلق السماء؟ قلت: على الماء، فإن قال لي: أين كان عرشه قبل أن يخلق الماء؟ قلت: لا أدري[1].

وقال **قتادة** رَحِمَهُ اللَّهُ: قالت بنو إسرائيل يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم[2].

قال الذهبي: هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار[3].

وكان **مالك بن دينار** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، خذوا فيقرأ ويقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه[4].

وقال **ثابت البناني** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان داود يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه ثم يقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء[5].

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 151/ 2.

(2) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص: 59.

(3) العلو، ص: (130 ـ مختصره).

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية: 358/ 2، وصححه الذهبي في العلو: (131 ـ مختصره)، وابن القيم: (168).

(5) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد، ص: (140)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: 255 ـ 256/ 3، واللفظ له، وقال الذهبي في العلو للعلي العظيم 552/ 1: إسناده صالح، وفي موضع آخر 896/ 2 قال: صح في السنة للالكائي ... فذكره، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش، ص: (168).

تنبيه: قال جاسم بن سليمان الدوسري في تحقيقه لكتاب: «الأربعين في صفات رب العالمين». ضمن: «ست رسائل للحافظ الذهبي». ص 93: وسيار (هو ابن حاتم أحد رواة هذا الأثر) لم يوثقه غير ابن حبان اهـ ونقل تضعيفه عن جماعة وفاته أن ابن معين قال عنه: «كان صدوقًا ثقة ليس به بأس ولم أكتب عنه شيئا قط» كما في معرفة الرجال عن يحيى بن معين: 96/ 1 رواية ابن محرز.

وقال عالم أهل الشام في زمانه أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذِكرُه فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا[1].

وقال حماد بن زيد: سمعت أيوب السختياني وذكر المعتزلة وقال: إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء.

قال الذهبي: هذا إسناد كالشمس وضوحًا وكالأسطوانة ثبوتًا عن سيد أهل البصرة وعالمهم[2].

أقوال الأئمة أتباع التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ:

تقدم قول **الأوزاعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنفًا، وقال سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية قال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء[3].

قال الذهبي: حماد بن زيد للعراقيين نظير مالك بن أنس للحجازيين في الجلالة والعلم[4].

وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء[5].

---

(1) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: 408/ 2، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (207/ 1، 392 ـ 393/ 3)، وانظر: مجموع الفتاوي: 39/ 5، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش، ص: (74).

(2) مختصر العلو، ص: (132 ـ 133).

(3) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: 118/ 1، بسند صحيح.

(4) مختصر العلو، ص: (147).

(5) السنة لعبد الله بن أحمد: 106 ـ 107/ 1، و: 280/ 1، والشريعة للآجري: 1076/ 3، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 255 ـ 256/ 3، والرسالة الوافية للداني، ص: (11)، والتمهيد لابن عبد البر: 345 ـ 346/ 3.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية[1]:

وروى ابن نافعٍ الصدوقُ سماعَه	منه على التحقيق والإتقان
الله حقًّا في السماء وعلمه	سبحانه حقا بكل مكان
فانظر إلى التفريق بين الذات والـ	ـمعلوم من ذا العالم الرباني
فالذات خصت بالسماء وإنما الـ	ـمعلوم عم جميع ذي الأكوان
ذا ثابت عن مالك من رده	فلسوف يلقى مالكًا بهوان

وقال جرير بن عبد الحميد محدث الري: كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله[2].

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ لما سئل: بم نعرف ربنا؟ ـ قال: بأنه فوق العرش فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه قال: قلت[3]: بحد؟ قال: فبأي شيء[4].

قال الذهبي: صح عن علي بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عَزَّوَجَلَّ؟ قال: في السماء السابعة على عرشه ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض، فقيل هذا لأحمد بن حنبل، فقال: هكذا هو عندنا[5].

وقال بشر بن عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، على العرش ارتفع[6].

---

(1) الكافية الشافية، ص: (120 ـ 121).

(2) مختصر العلو، ص: (151).

(3) القائل هو: علي بن الحسن بن شقيق الراوي عن ابن المبارك.

(4) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية، ص: 98.

(5) العلو، ص: (151 ـ مختصره).

(6) مختصر العلو، ص: (160).

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل: سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء(1).

وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: ناظرت جهما فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربا(2).

قال الذهبي: كان عاصم حافظًا من أوعية العلم صادقًا.

وقال القعنبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لا يوقن أن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي.

قال الذهبي: والمراد بالعامة عامة أهل العلم(3).

أُخبِر الإمام مالك بقدوم القعنبي من سفر فقال: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض نسلم عليه، فقام فسلم عليه(4).

وقال محمد بن مصعب العابد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة فهو كافر بوجهك لا يعرفك أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات ليس كما يقول أعداء الله الزنادقة(5).

قال أبو عمران الطرسوسي: قلت لسنيد بن داود: هو عَزَّوَجَلَّ على عرشه بائن من خلقه؟ قال: نعم(6).

---

(1) مختصر العلو، ص: (176).

(2) مختصر العلو، ص: (179).

(3) مختصر العلو، ص: (178).

(4) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض: 198 ـ 199/ 3، وسير أعلام النبلاء: 263/ 10.

(5) السنة لعبد الله بن أحمد: 173/ 1، بسند صحيح.

(6) مختصر العلو، ص: (183 ـ 184).

وقال **بشر الحافي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة التي رواها ابن بطة عنه: والإيمان بأن الله على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل مكان وأنه يقول ويخلق فقوله «كن» ليس بمخلوق(1).

وقال **أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علم الله معنا وهو على عرشه(2).

وقال **قتيبة بن سعيد** شيخ خراسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5].

وقال **قتيبة** أيضًا: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه.

قال الذهبي: فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار وعمر دهرًا وازدحم الحفاظ على بابه(3).

وقال **أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي الحافظ** شيخ البخاري ومسلم: آخر كلام الجهمية: أنه ليس في السماء إله(4).

قال المروذي: قلت لأبي عبد الله: إن رجلًا قال: أقول كما قال الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: 7]، أقول: هذا ولا أجاوزه إلى غيره، فقال: هذا كلام الجهمية، بل علمه معهم، فأول الآية تدل على أنه علمه(5).

---

(1) مختصر العلو، ص: (185).

(2) مختصر العلو، ص: (186 ـ 187).

(3) مختصر العلو، ص: (187).

(4) مختصر العلو، ص: (188).

(5) مختصر العلو، ص: (190).

وقال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: قيل لأبي عبد الله: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرتُه وعلمُه بكل مكان؟ قال: نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه(1).

وقال أبو طالب أحمد بن حميد: سالت أحمد بن حنبل عن رجل قال: الله معنا وتلا: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: 7]، فقال: قد تجهم هذا، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها، قرأت عليه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [المجادلة: 7]، فعلمه معهم، وقال في سورة ق: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: 16]، فعلمه معهم(2).

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهويه: قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: 7]، كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله: هو على عرشه بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]. رواها الخلال في السنة عن حرب(3).

وقال محمد بن أحمد بن النضر وهو ابن بنت معاوية بن عمرو: كان أبو عبد الله بن الأعرابي جارنا وكان ليله أحسن ليل وذكر لنا أن ابن أبي دؤاد سأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا أعرفه(4).

---

(1) مختصر العلو، ص: (189).

(2) مختصر العلو، ص: (190).

(3) مختصر العلو، ص: (191).

(4) تاريخ بغداد: 283/ 5، وانظر: مختصر العلو، ص: (194 ـ 195).

وقال الإمام أبو سليمان داود بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، قال الرجل: ليس كذاك هو يا أبا عبد الله، إنما معنى قوله: استوى استولى، فقال ابن الأعرابي: اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل: استولى عليه، والله لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر والاستيلاء بعد المغالبة قال النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه ... سَبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد[1]

وقال الإمام الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الجهمية: باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق وهو أيضًا مما أنكروه ـ ثم ساق الآيات الدالة على ذلك ثم قال ـ: قال أبو سعيد: أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها وادعوا الإيمان بها ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها فقالوا: الله في كل مكان لا يخلو منه مكان قلنا: قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه إذ ادعيتم أنه في كل مكان فقالوا: تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه قلنا: فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعْلُه حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه فأي معنى إذا لخصوص العرش إذ كان عندكم مستويا على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى؟

هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم إن شاء الله في بطوله واستحالته غير أنكم تغالطون به الناس، أرأيتم إذ قلتم: هو في كل مكان وفي كل

---

(1) تاريخ بغداد: 204/ 3، وانظر: العلو للعلي العظيم: 1132/ 2.

خلق أكان الله إلهًا واحدًا قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟ قالوا: نعم قلنا: فحين خلق الخلق والأمكنة أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكان فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها بزعمكم أو لم يجد بدا من أن يصير فيها أو لم يستغن عن ذلك؟ قالوا: بلى قلنا: فما الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه أن يصير في الأمكنة القذرة وأجواف الناس والطير والبهائم ويصير بزعمكم في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء؟

لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هذه صفته والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بيّن على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية أو إجماع من المسلمين ولن تأتوا بشيء منه أبدًا.

فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7].

قلنا: هذه الآية لنا عليكم لا لكم إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ولا يتوارون منه بشيء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم وكذلك فسرته العلماء.

فقال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء إنما احتججنا بكتاب الله فأتوا بكتاب الله.

قلنا: نعم هذا الذي احتججتم به هو حق كما قال الله عَزَّوَجَلَّ وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية وأغفلتم فاتحتها و خاتمتها لأن الله عَزَّوَجَلَّ افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]، ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم فهذه حجة بالغة لو عقلتم، وأخرى أنا لما سمعنا قول الله عز و جل في كتابه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54، ويونس: 3، والرعد: 2، والفرقان: 59، والسجدة: 4، والحديد: 4]، و: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 29، وفصلت: 11]، وقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 3-4]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: 5]، و: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: 10]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: 18 و61]، و: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: 55]، وما أشبهها من القرآن آمنا به وعلمنا يقينا بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سمواته كما وصف بائن من خلقه فحين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7]، قلنا: هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية وختمها لأنه قال في آي كثيرة ما حقق أنه فوق عرشه فوق سماواته فهو كذلك لا شك فيه فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى قلنا: علمه وبصره معهم وهو بنفسه على العرش بكماله كما وصف لأنه لا يتوارى منه شيء ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ولا تحت الأرض السابعة السفلى وهذا كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] من فوق العرش.

فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليك من كتاب الله تعالى، ثم الرواياتُ لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله وأصحابه والتابعين سنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله تعالى ثم إجماع من الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين أن كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى أو دعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء[1] يدعوه منها ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ولا من أمامهم ولا من خلفهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم سبحان ربي الأعلى لا ترى أحدًا يقول: ربي الأسفل حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله أن الله عَزَّوَجَلَّ فوق السماء فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: 36-37].

ففي هذه الآية بيان بيّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء فمِن أجْل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع إليه، وكذلك نمرود فرعونُ إبراهيم اتخذ التابوت والنسور ورام الاطلاع إلى الله لما كان يدعوه إبراهيم إلى أن معرفته في السماء، وكذلك كان محمد يدعو إليه الناس ويمتحن به إيمانهم بمعرفة الله عز و جل.

حدثنا مسلم بن إبراهيم الأزدي حدثنا أبان وهو ابن يزيد العطار عن يحيى ابن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي في قِبَل أحد والجوانية وإني

(1) صح النهي عن رفع البصر إلى السماء في الدعاء.

اطلعت يومًا اطلاعة فوجدت ذئبا ذهب منها بشاة وإني رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة فعظُم ذلك على النبيِّ ﷺ فقلت: أفلا أعتقها؟ فقال: «**ادعها**» فقال لها النبي ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء قال: «**فمن أنا؟**» قالت: أنت رسول الله قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وحدثناه يحيى بن يحيى حدثنا إسماعيل بن علية عن الحجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم عن النبي ﷺ.

وحدثنا **يحيى بن يحيى التميمي** قال: قرأت على مالك بن أنس عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنه قال: أتيت النبي فقلت: يا رسول الله إن جارية لي ترعى غنما فجئتها ففقدت شاة من الغنم فسألتها عنها فقالت: أكلها الذئب فأسفت عليها وكنت من بني آدم فلطمت وجهها وعلي رقبة أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها**».

قال أبو سعيد: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولو كان عبدا فأُعتق لم يُجْز في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء، وفي قول رسول الله ﷺ: «**أين الله**» تكذيب لقول من يقول: هو في كل مكان لا يوصف بأين لأن شيئًا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: أين هو ولا يقال: أين إلا لمن هو في مكان يخلو منه مكان ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها وعلمها ولكنها علمت به فصدقها رسول الله ﷺ وشهد لها بالإيمان بذلك ولو

كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء، فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد ولا يبعد عنه شيء: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: 3]، سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوًا كبيرًا[1].

وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل: باب ما ذكر أن الله تعالى في سمائه دون أرضه ثم ساق الأحاديث في ذلك[2].

وقال أيضًا: وأخبار النزول دالة على أنه في السماء دون الأرض[3].

وقال الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي رحمه الله تعالى: وأنه عَزَّوَجَلَّ استوى على العرش بلا كيفٍ، فإن الله تعالى أنهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه[4].

وقال الإمام أبو القاسم عبد الله بن خلف المقري الأندلسي رحمه الله تعالى في كتاب الاهتداء لأهل الحق والاقتداء: في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم ودليل قولهم أيضًا من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: 4]، وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ

---

(1) الرد على الجهمية: 40 ـ 47.

(2) السنة، ص: (199 ـ 201).

(3) السنة، ص: (205).

(4) اعتقاد أهل السنة، ص: 32.

﴿ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4]، وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: 55]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 2-4]، والعروج هو: الصعود.

وقال مالك بن أنس: الله عَزَّوَجَلَّ في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان، يريد والله أعلم بقوله: «في السماء» على السماء كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]، وكما قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: 16-17]، أي: من على السماء يعني على العرش، وكما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: 2]، أي: على الأرض، وقيل لمالك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] كيف استوى؟ قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقائله: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، أي: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة وفوق البيت.

وكل ما قدمت دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء وإن استوى بمعنى استولى لأن الاستيلاء في اللغة: المغالبة وأنه لا يغالبه أحد ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب[1] له التسليم ولو

(1) لعل الصواب: «يجب» كما وقع في التمهيد: (7/131 ـ المغربية)، و: (7/227 ـ موسوعة شروح الموطأ).

ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات[1] وجل الله تعالى أن يخاطِب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن، ومن الحجة أيضًا في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم وقوله للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها: أين الله فأشارت إلى السماء ثم قال لها: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة فاكتفى رسول الله منها برفع رأسها إلى السماء ودل على ما قدمناه أنه على العرش والعرش فوق السموات السبع ...إلخ كلامه رحمه الله تعالى[2].

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته، وأنا ذاكر في الجزء بعض ما بلغني من الأخبار في ذلك عن رسول الله ﷺ، وصحابته والأئمة المقتدين بسنته على وجه يحصل به القطع واليقين بصحة ذلك عنهم،

---

(1) في التمهيد: (131/ 7 ـ مغربية)، و: (227/ 7 ـ موسوعة شروح الموطأ) «العبارات» بالراء بدل الدال المهملة ولعلها أنسب.

(2) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: (92 ـ 96).

ويعلم من خفي عليه ذلك، حتى يصير كالمشاهد له عيانا، ويصير للمتمسك بالسنة حجة وبرهانا[1].

وقال **الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه ـ ثم ساق الآيات الدالة على ذلك ثم قال ـ: وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ لم يختلفوا في أن الله على عرشه وعرشُه فوق سماواته يثبتون من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله ويقولون: ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: 7]، كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم فأثنى عليهم به[2].

أقوال المالكية:

تقدم قول **الإمام مالك**: «الله في السماء» وتقدم قول القعنبي وقتيبة وهما من أجل أصحاب مالك.

وقال شيخ المالكية أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري في كتاب تسمية الرواة عن مالك: الحمد لله أحق ما بدئ وأولى من شكر الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثل بلا شبه ولا عدل على عرشه استوى فهو دان بعلمه أحاط علمه بالأمور ونفذ حكمه في سائر المقدور.

---

(1) إثبات صفة العلو، ص: 41.

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص: 44.

قال الذهبي: مات ابن شعبان بمصر سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وكان من كبار الأئمة[1].

قال يحيى بن عون: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، وكان من أصحابه، وأصابه في علته قلق فقال له: يا ابن القصار ما هذا القلق الذي أنت فيه؟ قال: الموت والقدوم على الله عَزَّوَجَلَّ. فقال له سحنون: ألست مصدقًا بالرسل أولهم وآخرهم والبعث والحساب والجنة والنار؟ وأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر ثم عمر؟ وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؟ وأن الله تعالى يُرى يوم القيامة؟ وأنه على العرش استوى؟ ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو؟ فضرب سحنون بيديه على ضبعيه وقال له: «مت إذا شئت، مت إذا شئت» ثم خرج عنه[2].

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى في الجامع: وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه[3].

وقال في الرسالة: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو بكل مكان بعلمه[4].

قال جامعه: حاول بعض شراح الرسالة تأويل كلام ابن أبي زيد ليوافق قوله الفاسد ورأيه الكاسد فبم يؤولون كلامه في الجامع؟

وقال الإمام العلامة أبو بكر محمد بن موهب المالكي[5] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد: أما قوله إنه فوق عرشه المجيد بذاته فمعنى

---

(1) العلو للعلي العظيم: 1282/ 2.

(2) رياض النفوس: 367 ـ 368/ 1.

(3) الجامع لابن أبي زيد، ص: (108).

(4) الرسالة: (111/ 1 ـ المناهل الزلالة).

(5) وهو تلميذ ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: 188/ 7.

«فوق» و«على» عند جميع العرب واحد، وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54، ويونس: 3، والرعد: 2، والفرقان: 59، والسجدة: 4، والحديد: 4]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]، وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى ـ إلى أن قال ـ: وقد تأتي لفظة «في» في لغة العرب بمعنى «فوق» كقوله: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: 15]، و: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]، و: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: 16 و 17]، قال أهل التأويل: يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة مما فهموه عن النبي أن الله في السماء يعني فوقها وعليها فلذلك قال الشيخ أبو محمد: إنه فوق عرشه ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته لا تحويه الأماكن وأنه أعظم منها وقد كان ولا مكان. ثم سرد كلاما طويلا إلى أن قال :: فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قيله ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء[1].

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بـ: «ابن أبي زمَنِين»: ومن قول أهل السنة أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 5-6]،

(1) مختصر العلو، ص: (282 ـ 283).

وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: 4]، فسبحان من بعُد فلا يُرى، وقرُب بعلمه وقدرته فسمع النجوى[1].

وقال أيضًا: ومن قول أهل السنة إن الله عَزَّوَجَلَّ بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب فتعالى الله عما يقول الظالمون ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: 5][2].

وقال أيضًا: وهذا الحديث[3] بين أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه في السماء دون الأرض وهو أيضًا بين في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: 5]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: 16]، وقال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: 17]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18 و61]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158]، ثم ساق بإسناده حديث الجارية من طريق الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

وقال الحافظ الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول وهو مجلدان: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، ونحو ذلك من القرآن أنه علمه وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء.

---

(1) أصول السنة، لابن أبي زمنين، ص: (88).

(2) أصول السنة، ص: (106).

(3) يعني حديث النزول، وقد أسنده قبل ذلك.

(4) أصول السنة، ص: (113 ـ 114).

وقال أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه، قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض والسواد بالسواد والطويل بالطويل والقصير بالقصير ولو كانت الأسماء توجب اشتباها لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبها للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجودُه الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم يعني ولا يلزم اشتباهُه بمن اتصف بهذه الصفات.

قال الإمام الذهبي: كان الطلمنكي من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس عاش بضعًا وثمانين سنة[1].

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قولهم[2] إنه سبحانه فوق سماواته مستو على عرشه ومستول على جميع خلقه وبائن منهم بذاته غير بائن بعلمه محيط بهم يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما يكسبون على ما ورد به خبره الصادق وكتابه الناطق فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]،

---

(1) مختصر العلو، ص: (264 ـ 265).

(2) يعني: «أهل السنة والجماعة من علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الحديث والفقهاء والمتكلمين»، انظر الرسالة الوافية، ص: (5).

واستواؤه جل جلاله علوه بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة ـ إلى أن قال ـ وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: 128]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 69]، و: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: 46]، يعني أنه يحفظهم وينصرهم ويؤيدهم لا أن ذاته معهم تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا[1].

وقال أيضًا: ومن قولهم: إن الله سبحانه خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء من غير أن يحدث تغييرًا في ذاته لا إله إلا هو الكبير[2].

وقال في مقدمة هذا الكتاب: أما بعد أحسن الله إرشادكم فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافية وأصولًا جامعة في الاعتقادات وأصول الديانات التي يلزم اعتقادها جميع المسلمين ولا يسع جهلها كل المكلفين من العلماء والمقلدين من الذكور والإناث والأحرار والعبيد ممن جرى عليه القلم وبلغ حد التكليف بالحلم فأجبتكم عن سؤالكم بما فيه البلوغ إلى مرادكم بما هو لازم لكم ومفترض عليكم وما إذا تدينتم واعتقدتموه صرتم إلى اعتقاد الحق وسلمتم من البدع والباطل وسلكتم طريق من مضى من السلف وسنن من تبعهم من الخلف... إلخ[3].

وقال أيضًا:

كلم موسى عبده تكليما	**ولم يزل مدبرًا حكيما**
كلامه وقوله قديم	**وهو فوق عرشه العظيم[4]**

---

(1) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، ص: (9 ـ 11).

(2) الرسالة الوافية، ص: (12).

(3) الرسالة الوافية، ص: (4).

(4) مختصر العلو، ص: (267).

وقال الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وقد ذكر حديث النزول ـ: هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته ـ إلى أن قال ـ: وفيه دليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان وليس على العرش والدليل على صحة ما قاله[1] أهل الحق في ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [السجدة: 4]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: 11]، وقوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]، وقوله تبارك اسمه: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: 10]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف: 143]، وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك: 16]، وقال جل ذكره: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 1]، وهذا من العلو، وكذلك قوله: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: 255، والشورى: 4]، و: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: 9]، و: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر: 15]، و: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: 50]، والجهمي يزعم أنه أسفل، وقال جل ذكره: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: 5]، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: 4]، وقال لعيسى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: 55]، وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: 158]، وقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [فصلت: 38]، وقال: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 19]، وقال: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ

---

(1) في الطبعة المغربية 129/ 7: (قالوه)، وهي لغة معروفة، وما أثبتناه من فتح البر 8/ 2، وموسوعة شروح الموطأ 226/ 7.

ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: 2-3]، والعروج هو الصعود، وأما قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ﴾ [الملك: 16]، فمعناه مَن على السماء يعني على العرش وقد يكون في بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة: 2]، أي: على الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]، وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: 4]، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب، وهذه الآياتُ كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد **ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك وإنما يوجه كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات وجل الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين**، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [البقرة: 29، والأعراف: 54، ويونس: 3، والرعد: 2، وطه: 5، والفرقان: 59، والسجدة: 4، وفصلت: 11، والحديد: 4]، قال: علا قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره: استوى أي انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله عَزَّوَجَلَّ، وقال: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: 13]، وقال :﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: 44]، وقال: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: 28]، وقال الشاعر:

فـــأوردتُّهم مـــاء بفَيْفـــاءَ قفـــرةٍ   وقد حلَّق النجمُ اليمـانيُّ فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى لأن النجم لا يستولي وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونًا جليلًا في علم الديانة واللغة قال: حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، قال: فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل: هو من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: 11]، فصعدنا إليه فقال: هل لكم في خبز فطير[1] ولبن هجير[2] وماء نمير[3]؟ فقلنا: الساعة فارقناه فقال: سلامًا، فلم ندر ما قال فقال الأعرابي: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر قال الخليل: هو من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: 63]، وأما نزْعُ من نزَعَ منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، على جميع بريته فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا أن هذا حديث منكر عن ابن عباس ونقلته مجهولون ضعفاء فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا أو أنصفوا؟

---

(1) أي: طري قريب حديث العمل كما في النهاية: 458/ 3 لابن الأثير رحمه الله تعالى.

(2) أي: فائق فاضل يقال: هذا أهجر من هذا أي أفضل منه ويقال في كل شيء قاله في النهاية: 246/ 5.

(3) أي: ناجع في الريّ عذبًا كان أو غير عذب، انظر: الصحاح: 838/ 2، والنهاية: 118/ 5.

أما سمعوا الله عَزَّوَجَلَّ حيث يقول: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: 36-37]، فدل على أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يقول: إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة:

فمِن حاملٍ إحدى قوائم عرشه ... ولولا إله الخلق كَلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحته ... فرائصهم من شدة الخوف ترعد

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: 84]، وبقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: 3]، وبقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض وكذلك قال أهل العلم بالتفسير فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش والاختلاف في ذلك بيننا فقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر، وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: 84]، **فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع إن شاء الله**[1].

(1) قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشريعة 1101 ـ 1104/ 3: ومما يحتج به الحلولية مما يلبسون به على من لا علم معه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3]. وقد فسر أهل العلم هذه الآية: هو الأول: قبل كل شيء من حياة وموت، والآخر: بعد كل شيء، بعد الخلق، وهو =

ومن الحجة أيضًا في أنه عَزَّوَجَلَّ على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء ثم قال لها: «**من أنا؟**» قالت: رسول الله قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**» فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه(2).

أخبرنا عبيد بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن مسرور قال: حدثنا عيسى بن مسكين قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا الأوزاعي

= الظاهر: فوق كل شيء يعني ما في السموات، وهو الباطن: دون كل شيء يعلم ما تحت الأرضين، ودل على هذا آخر الآية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]. كذا فسره مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ويثبت ذلك السنة: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: نا يوسف بن موسى القطان قال: نا جرير عن مطرف عن الشعبي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللّهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما يلبسون به على من لا علم معه احتجوا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3]. وبقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84]. وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة كما قال الله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7]. وعند أهل العلم من أهل الحق: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3]. فهو كما قال أهل العلم: مما جاءت به السنن: إن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77]. ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: 110]. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84]. فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السموات، وإله من في الأرض، إله يعبد في السموات، وإله يعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء اهـ.

(2) في صحيح مسلم أنها قالت: «في السماء»، وسيأتي بعد قليل من رواية الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم قال: أطلقت غنيمة لي ترعاها جارية لي في ناحية أحد فوجدت الذئب قد أصاب شاة منها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة ثم انصرفت إلى النبي ﷺ فأخبرته فعظُم علي قال: فقلت: يا رسول الله فهلا أعتقها؟ قال: «**فأتني بها**» قال: فجئت بها إلى النبي ﷺ فقال لها: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء، فقال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله قال: «**إنها مؤمنة فأعتقها**» مختصر أنا اختصرته من حديثه الطويل من رواية الأوزاعي، وهو من حديث مالك أيضًا وسيأتي في موضعه من كتابنا إن شاء الله.

وأما احتجاجهم: لو كان في مكان لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق فشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه عَزَّوَجَلَّ، ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته، لا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس، لا إله إلا هو، كان قبل كل شيء ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما وهو الباقي بعد كل شيء وخالق كل شيء لا شريك له وقد قال المسلمون وكل ذي عقل: إنه لا يعقل كائن لا في مكان منا وما ليس في مكان فهو عدم وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا الذي لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه ورسوله أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه.

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه كان لا في مكان ثم خلق الأماكن فصار في مكان وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال إذ زال عن صفته في الأزل وصار في مكان دون مكان، قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان وانتقل إلى

صفة هي الكون في كل مكان فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان وهذا لا ينفك منه لأنه إن زعم أنه في الأزل في كل مكان كما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه في أزله وهذا فاسد، فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟ قيل له: أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانا وكذلك نقله لا يوجب مكانًا وليس في ذلك كالخلق لأن كون ما كونه يوجب مكانا من الخلق ونقلته توجب مكانا ويصير منتقلًا من مكان إلى مكان والله عَزَّوَجَلَّ ليس كذلك لأنه في الأزل غير كائن في مكان وكذلك نقلته لا توجب مكانا وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه ولكنا نقول: استوى مِن لا مكان إلى مكان ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحدًا ألا ترى أنا نقول: له عرش ولا نقول: له سرير ومعناهما واحد؟ ونقول: هو الحكيم ولا نقول: هو العاقل ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول صديق إبراهيم وإن كان المعنى في ذلك كله واحدًا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له ولا **ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفْعٌ للقرآن** وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: 22]، وليس مجيئه حركة ولا زوالًا ولا انتقالًا[1] لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة ولو اعتبرت ذلك بقولهم جاءت فلانا قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشبه ذلك مما هو موجود نازل به ولا مجيء لَبَانَ لك وبالله العصمة والتوفيق.

---

(1) السكوت عن مثل هذا أحسن.

فإن قال: إنه لا يكون مستويًا على مكان إلا مقرونًا بالتكييف قيل: قد يكون الاستواء واجبًا والتكييف مرتفع وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل لأنه لا يكون كائن في لا مكان إلا مقرونًا بالتكييف وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحًا في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح وكذلك ليس جهلنا بكيفية[1] على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه.

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السماء والأرض؟ قال: «**كان ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء**».

قال أبو عمر: قال غيره في هذا الحديث: «**كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء**» والهاء في قوله: فوقه وتحته راجعة إلى العماء، وقال أبو عبيد: العماء هو الغمام وهو ممدود، وقال ثعلب: هو عما مقصور أي في عما عن خلقه والمقصود الظلَم ومن عمي عن شيء فقد أظلم عليه.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله عَزَّوَجَلَّ في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان، قال: وقيل لمالك:

---

(1) في فتح البر 14/ 2: (بكيفيته)، ولكلٍّ وجه.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] كيف استوى؟ فقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء.

وقد روينا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، مثل قول مالك هذا سواء.

وأما احتجاجهم بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: 7]، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية **لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِلت عنهم التآويلُ في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله**[1].

ذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية قال: هو على عرشه وعلمه معهم أين ما كانوا.

قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله، قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

قال سنيد: وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن مجاهد قال: إن بين العرش وبين الملائكة سبعين حجابًا حجاب من نور وحجاب من ظلمة.

---

(1) قال الطبري 28/ 10: وعني بقوله: (هو رابعهم)، بمعنى: أنه مشاهدهم بعلمه، وهو على عرشه. وقال البغوي 54 ـ 55/ 8: رابعهم، بالعلم وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضًا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا. وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه 137/ 5: وهو في كل مكانٍ، أي بالعلم.
وقال الثعلبي في الكشف والبيان 137/ 26: رابعهم بالعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الآية بالعلم ثم ختمها بالعلم.

وأخبرنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد بن خمير[1] وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبد الله بن صالح قال حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة والعرش على الماء والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم.

قال أبو عمر: لا أعلم في هذا الباب حديثًا مرفوعًا إلا حديث عبد الله بن عميرة وهو حديث مشهور بهذا الإسناد رواه عن سماك جماعة منهم: أبو خالد الدالاني، وعمرو بن أبي عمرو بن أبي قيس، وشعيب بن أبي خالد، وابن أبي المقدام، وإبراهيم بن طهمان، والوليد بن أبي ثور، وهو حديث كوفي أخبرنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا أبو داود وأنبأنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا محمد بن إسماعيل قالا: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي البزاز قال: حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة مرت فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب، قال: «**والمزن**» قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**»، قالوا: نعم، قال: «**كم ترون بينكم وبين السماء؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**بينكم وبينها إما واحدة أو ثنتان**[2] **أو ثلاث وسبعون سنة والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما**

---

(1) في الطبعة المغربية 139/ 7 : (سعيد بن جبير)، وكذا في طبعة دار إحياء التراث العربي 282/ 3، وطبعة فتح البر 16/ 2 وكل ذلك تصحيف وقد استفدت تصحيحه من موسوعة شروح الموطأ 237/ 7.

(2) وقع في التمهيد: «اثنتين» وما أثبته هو الذي في سنن أبي داود: (4723) وهو الصواب.

بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله فوق ذلك».

وفي رواية فروة بن أبي المغراء هذا الحديث عن الوليد بن أبي ثور قال في الأوعال: «**ما بين رؤوسهم إلى أظلافهم مثل ذلك يعني ما بين سماء إلى سماء ثم فوقهم العرش ما بين أعلاه وأسفله مثل ذلك ثم الله فوق ذلك**».

وفيه: حديث جبير بن مطعم مرفوعًا أيضًا وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن مطعم[1] عن أبيه عن جده قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك أتدري ما تقول؟**» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «**ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك وتدري ما الله إن الله على عرشه على سمواته وأرضه لهكذا**» وأشار بأصابعه الخمس مثل القبة وأشار يحيى بن معين بأصابعه كهيئة القبة «وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب».

أخبرني أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن واضح قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق قال:

---

(1) جبير هذا هو: جبير بن محمد بن جبير بن مطعم نسب إلى جد أبيه في هذه الرواية، انظر: موسوعة شروح الموطأ: 239/ 7.

حدثنا عبد الله بن موسى الضبي عن معدان[1] قال: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، قال: علمه.

قال علي بن الحسن: وسمعت ابن المبارك يقول: إن كان بخراسان أحد من الأبدال فهو معدان.

قال أبو داود: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا يحيى بن موسى وعلي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال: الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش قيل له: بحد ذلك؟ قال: نعم هو على العرش فوق سبع سموات.

قال: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: حدثني محمد بن عمرو الكلابي قال: سمعت وكيعا يقول: كفر بشر بن المريسي في صفته هذه قال: هو في كل شيء قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: نعم، قيل له: وفي جوف حمار؟ قال: نعم[2].

وقال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: «**ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا**» فقد أكثر الناس التنازع فيه والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يُكيِّفون، والقولُ في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة، وقد قال قوم من

---

(1) سقط من الإسناد «معدان» في الطبعة المغربية بين عبد الله بن موسى وسفيان، انظر: موسوعة شروح الموطأ: 240/ 7.

(2) هذا يدلك على أن السلف حكموا بكفر من قال: إن الله في كل مكان بذاته جل وعلا كما يردده ويقرره كثير من جهمية العصر.

أهل الأثر أيضًا إنه ينزل أمره وتنزل رحمته ورُوي ذلك عن حبيب كاتب مالك[1] وغيره، وأنكره منهم آخرون وقالوا: هذا ليس بشيء لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدًا في الليل والنهار وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرًا قال: له كن فيكون في أي وقت شاء ويختص برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن علي البجلي[2] وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال: حدثنا جامع بن سوادة[3] بمصر قال: حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث: «**إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا**» فقال مالك: يتنزل أمره.

وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره أي أكثر ما يكون ذلك في ذلك الوقت والله أعلم ولذلك ما جاء فيه الترغيب في الدعاء[5] وقد روي من حديث أبي ذر أنه قال: يا رسول الله أي الليل أسمع قال: «**جوف الليل الغابر**» يعني

---

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه رواية عن مالك رويت من طريق كاتبه حبيب بن أبي حبيب لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك، ورويت من طريق أخرى ذكرها ابن عبد البر وفي إسنادها من لا نعرفه. مجموع الفتاوى: 402/ 5.

قلت: ذكر ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد (177/ 24 ـ مغربية)، و: (125/ 16 ـ موسوعة شروح الموطأ) أن «حبيبًا هذا ضعيف له عن مالك خطأ كثير ومناكير».

(2) في الطبعة المغربية 143/ 7، وفتح البر 19/ 2 : (الجبلي) وفي موسوعة شروح الموطأ 241/ 7: (البجلي)، وهو الصواب.

(3) جامع بن سوادة هذا ساقط قال الدارقطني: ضعيف، وذكر الذهبي في الميزان 387/ 1 أنه أتى بخبر باطل قال الذهبي: كأنه آفته، وراجع: لسان الميزان: 93/ 2.

(4) الإمام مالك رحمه الله تعالى لم يقل هذا الباطل، والمشهورُ عنه وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ راجع: مختصر الصواعق: 1237/ 3.

(5) هكذا وردت هذه الجملة: (ولذلك ما جاء فيه الترغيب في الدعاء) في: الطبعة المغربية، وموسوعة شروح الموطأ، وفتح البر، وعندي أن الصواب: (وذلك لما جاء من الترغيب في الدعاء فيه)، والله أعلم.

الآخر وهذا على معنى ما ذكرنا ويكون ذلك الوقت مندوبًا فيه إلى الدعاء كما ندب إلى الدعاء عند الزوال وعند النداء وعند نزول غيث السماء وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء والله أعلم.

وقال آخرون: ينزل بذاته أخبرنا أحمد بن عبد الله أن أباه أخبره قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح بمصر قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: حديث النزول يرد على الجهمية قولهم، قال: وقال نعيم: ينزل بذاته وهو على كرسيه.

قال أبو عمر: ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة لأن هذا كيفية[1] وهم يفزعون منها لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانا وقد جل الله وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله[2].

---

(1) ليس في كلام نعيم تكييف، وقد وافقه على التصريح بـ: (ذاته) جماعة من أهل الحديث وإنما قال أئمة أهل السنة: (بذاته) إبطالا لقول المعطلة، راجع مختصر الصواعق: 1109 ـ 1112/ 3.

(2) التمهيد: 337 ـ 351/ 3.

وقال القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد: وانبنى نزول الوحي من السماء على أن الله في السماء[1].

وقال أيضًا: وأما هذه الصفة[2] فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17]، ومثل قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]، ومثل قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4]، ومثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16]، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولًا وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية ونحن نقول إن هذا كله غير لازم فإن الجهة غير المكان وذلك أن الجهة هي إما سطوح الجسم نفسه المحيطة به وهي ستة وبهذا نقول إن للحيوان فوق وأسفل ويمينًا وشمالًا وأمام وخلف، وإما سطوح جسم آخر محيط بالجسم من

---

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، ص: (62).

(2) يعني: الجهة.

الجهات الست، فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه أصلًا، وأما سطوح الأجسام المحيطة به فهي له مكان، مثل سطوح الهوى المحيط بالإنسان، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهوى هي أيضًا مكان للهوى وهذه الأفلاك بعضها محيط ببعض ومكان له، وأما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم لأنه لو كان ذلك كذلك لوجب أن يكون خارج فلك الجسم أيضًا جسم آخر ويمر الأمر إلى غير نهاية، فإذن سطح آخر أجسام العالم ليس مكانا أصلًا إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم فإذن إن قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب أن يكون غير جسم، فالذي يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه القوم وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم، وليس لهم أن يقولوا إن خارج العالم خلاء، وذلك أن الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء أكثر من الأبعاد ليس فيها جسم أعني طولًا وعرضًا وعمقًا لأنه إن رفعت الأبعاد عنه عاد عدما وإن أنزل الخلاء موجود لزم أن تكون أعراض موجودة في غير جسم وذلك أن الأبعاد هي أعراض من باب الكمية ولا بد، ولكنه قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين ويريدون الله والملائكة وذلك أن ذلك الموضع ليس بمكان، ولا يجوز أن يحويه زمان وذلك أن كل ما يحويه الزمان والمكان فاسد، فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن، وقد تبين هذا المعنى مما أقوله، وذلك أنه لما لم يكن هاهنا شيء إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم وكان من المعروف بنفسه أن الموجود إنما ينسب إلى الوجود أعني أنه يقال إنه موجود أي في الوجود إذ لا يمكن أن يقال إنه موجود في العدم فإن كان هاهنا موجود هو

أشرف الموجودات فواجب أن ينسب من الموجود المحسوس إلى الجزء الأشرف وهو السموات ولشرف هذا الجزء قال تبارك وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: 57]، فهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم، فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأنه الذي جاء به الشرع وانبنى عليه، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع اهـ كلامه[1].

وقال القاضي عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للرسالة: والذي يدل على صحة ما ذكره[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنه على عرشه دون كل مكان: ورود النص بذلك في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، وهذا يمنع أن يوصف بأنه على غيره، وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: 10]، وقوله: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: 54، ويونس: 3، والرعد: 2، والفرقان: 59، والسجدة: 4، والحديد: 4]، وقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك: 16]، وفي الحديث المشهور في الرجل الذي أراد أن يعتق عن كفارته أمة، فجاء بها إلى النبي ﷺ وقال: «**من أنا؟**» فقالت: رسول الله، فقال: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء، فلم ينكر عليها وحكم بإيمانها، ولإجماع الأمة أنا متعبدون في الدعاء برفع أيدينا إلى جهة العلو دون السفل، ودون اليمين والشمال وسائر الجهات، وهذا ينفي أن يكون في كل مكان، ولا يعترض على هذا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: 84]، لأنه إله مَن في الموضعين، وذلك لا يوجب كونه في كل موضع كان فيه إلها، وذلك كما يقال: فلان سيد بالعراق وبالشام،

(1) الكشف عن مناهج الأدلة، ص: (67 ـ 68).

(2) يقصد: ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفلان ملك بالعراق وخراسان، يريدون كونه ملكًا عند أهلها ومطاعًا عندهم وليس يريدون: ذاته في كل موضع يكون فيه ملكًا مطاعًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: 128]، معناه: بالرعاية والحفظ والحياطة، لا أن ذاته معهم، ونحو ذلك قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: 7]، معناه: أنه لا يخفى عليه شيء يكون في ملكه بل يعلم جميعه وهذا يدل على ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه جل وعز يوصف بأنه في كل مكان بعلمه على معنى العلم[1].

قال محمد بن ادّ: لا بيان بعد بيان الله ورسوله ﷺ، وإنما ذكرنا هذه الأقوال عن أصحابها لنبين لمن قلدهم في الفروع أنه متناقض في أخذه ببعض أقوالهم وترك سائرها بلا حجة، وليعلم فساد قول السبكي: لم ير مالكي إلا وهو أشعري.

(**بخلف المحتوى**) للفعلين لاختلاف الحرف المعدي وباختلافه يختلف المعنى كرغب عن الشيء ورغب فيه، قاله المصنف (**وليس كاستوائنا نحن على الفلك والانعام**) فنحن حين نستوي على الفلك نكون محتاجين إليه لئلا نغرق، وعلى الأنعام نكون محتاجين إليها لبلوغ ما بعُد من المسافات (**بل العرشَ حمل وحامليه**) فالله سبحانه استوى على العرش لا لحاجة منه إليه، فهو الغني عن سواه، كل شيء محتاج إليه.

(**وإلى دنيا السما**) من باب إضافة الصفة إلى الموصوف فالأصل: السماء الدنيا (**ينزل**) الله تبارك وتعالى (**كل ليلة**) كما في الصحيحين من حديث مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[2].

---

(1) شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ص: 26 ـ 27.

(2) أخرجه البخاري: (1145)، ومسلم: (1758).

وهو حديث متواتر عن رسول الله ﷺ، جاء من حديث أبي بكر الصديق، وأبي سعيد، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وغيرهم، وقد جمع أحاديث الباب الإمام الحافظ المقدم أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصنف مستقل.

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ(1).

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفة نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول(2).

وأسند الحافظ أبو بكر البيهقي عن الإمام إسحاق بن راهويه قال: جمعني وهذا المبتدع ـ يعني إبراهيم بن أبي صالح ـ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من

---

(1) التمهيد: (128/ 7 ـ المغربية).

(2) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، ص: (106).

سماء إلى سماء، فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء، قال: فرضي عبد الله كلامي وأنكر على إبراهيم. هذا معنى الحكاية(1).

وقال الحافظ هبة الله اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى رواه عن النبي ﷺ عشرون نفسًا اهـ(2).

(لا مثل ما ينزل مخلوق بإخلا) بالقصر **(حيز منه)** وهو الحيز الذي ينتقل منه **(وشغل حيز)** ينتقل إليه **(فميز)** بين نزول الخالق سبحانه وتعالى اللائق به ونزول المخلوق اللائق به، فبين النزول والنزول ما بين الموصوف بذاك والموصوف بهذا، وهل إذا نزل الله سبحانه وتعالى يخلو منه العرش أم لا؟ قولان لأهل السنة، واختار شيخ الإسلام أنه لا يخلو منه العرش لأن أدلة استوائه على العرش محكمة والحديث هذا محكم فالله عَزَّوَجَلَّ لا تقاس صفاته بصفات الخلق فيجب علينا أن نبقي نصوص الاستواء على إحكامها ونص النزول على إحكامه ونقول: هو مستو على عرشه نازل إلى السماء الدنيا والله أعلم بكيفية ذلك وعقولنا أقصر وأدنى وأحقر من أن تحيط بالله عَزَّوَجَلَّ(3).

(وهْو العلي) ذاتًا وقهرًا وشأنا **(لا تحده)** أي: لا تحصره ولا تحيط به **(جهة)** لفظ الجهة، قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله

---

(1) الأسماء والصفات: 375/ 2.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص: 196.

(3) بواسطة شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين: 17/ 2.

عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل:«إنه في جهة»بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه، ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، أو أنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها. وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمي جهة أو لم يسم، وهذا حق. ولكن الجهة ليست أمرًا وجوديًا، بل أمر اعتباري، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيما لا نهاية له فليس بموجود(1).

(ضل المعطلة) لصفات الله تعالى عن سواء السبيل (والمشبهة) لصفات الله بصفات خلقه، قال الإمام نعيم بن حماد شيخ البخاري رحمهما الله تعالى: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها(2).

قال المصنف:

قد اصطفى من ملك ومن بشر	رسْلا فأدوا عنه ما به أمر
والكتب التي على رسْل البشر	أنزل من كلامه جل فذر
قولهم القرآن قد دل على الـ	ـكلام أو على الذي الكلام دل
بل بالحروف والمعاني وردا	والله بالصوت يكلم غدا

(1) شرح العقيدة الطحاوية: 266 ـ 267/ 1.

(2) مختصر العلو، ص: (184).

الشرح: (**قد اصطفى**) أي: اختار (**من ملك ومن بشر رسلا**) بسكون السين كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: 75]، (**فأدوا عنه ما به أمر**) أي: بلَّغوا من أُرسِلوا إليهم ما أرسلهم الله به، والرسالة اصطفاء من الله كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: 124]، وكما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: 75]، والرسول هو من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغه، وكل رسول نبي ولا عكس(1)، ويجب الإيمان بمن سمي منهم ـ في الكتاب والسنة الثابتة ـ تفصيلًا، ومن لم يسم منهم يؤمن به على الإجمال، ولا أعلم في عدد الأنبياء حديثًا ثابتًا(2).

---

(1) راجع: فتح الباري: 112/ 11.

(2) جاء في حديث أبي ذر الطويل: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**»، قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًا غفيرًا...**»، الحديث.

ولهذا الحديث طرق منها: ما أخرجه ابن حبان: (361) ـ واللفظ له ـ والآجري في الأربعين: (40)، وأبو نعيم في الحلية: 166 ـ 168/ 1 من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال: حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر به مطولًا.

وإسناده ساقط فإن إبراهيم بن هشام كذبه أبو حاتم (الجرح والتعديل: 143/ 2) وأبو زرعة (الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي: 59/ 1).

تنبيه: قال أبو نعيم في الحلية 166 ـ 168/ 1: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا جعفر الفريابي وحدثنا سليمان بن أحمد ثنا أحمد بن أنس بن مالك قالا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني ... فذكر الحديث ثم قال: السياق للحسن بن سفيان.

قلت: لا ذكر للحسن بن سفيان في هذا الإسناد اللّهم إلا إذا كان ساقه من طريقه فسقط إسناد الحسن وهو مستبعد أو يكون «الحسن بن سفيان» تصحيفًا. ولم ينتبه محقق الأربعين للآجري بدر بن عبد الله البدر حيث ذكر في الحاشية (ص: 200) ما في الحلية ولم يتعقبه.

ومنها: ما أخرجه أبو داود الطيالسي 384 ـ 385/ 1، وأحمد 431 ـ 432/ 35 عن وكيع، وفي: 437 ـ 438/ 35 عن يزيد بن هارون، وهناد في الزهد 516 ـ 517/ 2 عن محمد بن عبيد، والبزار 426/ 9 =

....

= عن محمد بن معمر عن يعلى بن عبيد وأبي داود الطيالسي، والبيهقي في الشعب 276 ـ 277/ 1 من طريق أحمد بن عبد الجبار عن وكيع، وفي 197/ 5 من طريق أبي داود الطيالسي، خمستهم: (أبو داود، ووكيع، ويزيد بن هارون، ومحمد بن عبيد، ويعلى بن عبيد) عن المسعودي عن أبي عَمْرو ـ وقيل: أبي عُمَر ـ الشامي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر به.

وهذا إسناد هالك مسلسل بالعلل:

الأولى: أبو عَمْرو أو أبو عمر قال عنه الدارقطني: دمشقي متروك (سؤالات البرقاني: 609).

الثانية: عبيد بن الخشخاش أو: الحشحاش قال الدارقطني: متروك (سؤالات البرقاني: 326).

الثالثة: أن عبيد بن الخشخاش ـ كما قال البخاري ـ لم يذكر سماعًا من أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (التاريخ الكبير: 447/ 5).

ومنها: ما رواه ابن عدي في الكامل 633/ 10، والحاكم 90 ـ 91/ 5 ـ وعنه البيهقي في الشعب 278/ 1، والسنن 190/ 13 ـ من طريق يحيى بن سعيد السعدي عن عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر به.

قال البيهقي في السنن الكبرى 190/ 13: (تفرد به يحيى بن سعيد السعيدي). وكذا قال أبو نعيم في الحلية 168/ 1.

قال الذهبي في المهذب 3533/ 7 : (أنا أتهمه به وقد تكلم فيه ابن حبان وغيره).

وقال ابن حبان في المجروحين 482/ 2: (شيخ يروي عن ابن جريج المقلوبات وعن غيره من الثقات الملزقات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد روى عن ابن جريج عن عطاء ... وليس هذا من حديث ابن جريج ولا عطاء ولا عبيد بن عمير وأشبه ما فيه رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر ...).

وقال ابن عدي 634/ 10: (وهذا الحديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر والثالث حديث ابن جريج هذا وهذا أنكر الروايات ويحيى بن سعْد هذا يعرف بهذا الحديث).

والعجب من أبي نعيم حيث جزم 168/ 1 بأن ابن جريج رواه مع تصريحه بأنه تفرد به عنه يحيى بن سعيد!

ومنها ما أخرجه الطبراني في مسند الشاميين 154 ـ 155/ 3 قال: حدثنا بكر بن سهل، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن أبي عبد الملك محمد بن أيوب، عن ابن عائذ (عبد الرحمن)، عن أبي ذر ... فذكره.

إسناده ضعيف، فيه علل:

الأولى: بكر بن سهل قال عنه النسائي: ضعيف (ميزان الاعتدال: 346/ 1). =

= **الثانية**: أن عبد الله بن صالح ـ وهو كاتب الليث ـ مختلف في الاحتجاج به قال زياد بن أيوب: نهاني أحمد بن حنبل أن أروي حديث عبد الله بن صالح (المجروحين 534/ 1). وقال عبد الله بن أحمد: سألتُ (يعني أباه الإمامَ أحمدَ) عن عبد الله بن صالح كاتب الليث، فقال: كان أول أمره متماسكًا ثم فسد بأخرة وليس هو بشيء. (العلل ومعرفة الرجال: 212 ـ 213/ 3). وقال عبد الله أيضًا: سمعت أبي ذكر كاتب الليث بن سعد عبد الله بن صالح فذمه وكرهه وقال إنه روى عن ليث عن ابن أبي ذئب كتابًا أو أحاديث وأنكر أن يكون الليث روى عن ابن أبي ذئب. (العلل: 242/ 3). ينظر: تهذيب الكمال: 98 ـ 109/ 15.

الثالثة: أبو عبد الملك محمد بن أيوب ترجمه البخاري في التاريخ الكبير 29 ـ 30/ 1 ومسلم في الكنى 599/ 1، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 196 ـ 197/ 7، ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات 389/ 7.

الرابعة: عبد الرحمن بن عائذ قال العلائي في جامع التحصيل ص: 223: (وروى أيضًا عن عمر وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والظاهر أنه مرسل).

ومنها: ما رواه الحارث بن أبي أسامة ـ كما في بغية الباحث: 195/ 1 ـ عن يونس بن محمد عن حماد عن معبد بن هلال العنزي عن رجل عن عوف بن مالك عن أبي ذر به، وقال: (قلت: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا).

ورواه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ـ كما في المطالب العالية: 89/ 8 ـ عن النضر بن شميل عن حماد بن سلمة به بلفظ: (قلت: يارسول الله فكم الأنبياء؟ قال ﷺ: **«ثلاثمائة وخمس عشرة جمًا غفيرًا»**).

وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن عوف بن مالك واضطراب لفظه ولعل ذلك من حماد.

ورواه أبو الشيخ ـ كما في جزء فيه أحاديث أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان انتقاء أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه (20) ـ عن عبد الله بن محمد بن زكريا عن سعيد بن يحيى الأصبهاني عن مسلم بن خالد الزنجي عن مطرف البصري عن حميد بن هلال عن بدر بن مالك الأشجعي عن أبي ذر به.

وإسناده ضعيف لضعف الزنجي، قال البخاري: منكر الحديث قال علي: ليس بشيء (التاريخ الكبير: 260/ 7). وقال ابن المديني أيضًا: منكر الحديث ما كتبت عنه وما كتبت عن رجل عنه (الكامل: 462/ 9). وسأل عبد الله بن أحمد أباه أحمد عن مسلم بن خالد الزنجي فقال: هو كذا وكذا، قال عبد الله: الذي يقول أبي كذا وكذا كان يحرك يده (العلل ومعرفة الرجال: 478/ 2).

وقال المروذي: وقال ـ يعني الإمام أحمد ـ: في مسلم بن خالد الزنجي فحرك يده ولينه (العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد بن حنبل رواية المروذي وغيره، ص: 46). =

....

= وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكون: 569) وقال ابن سعد: كان كثير الحديث كثير الغلط والخطأ في حديثه (الطبقات الكبرى: 42/ 6). انظر: تهذيب الكمال: 508 ـ 514/ 27. ومطرف البصري ـ في هذا الإسناد ـ عندي أنه: مطرف بن معقل أبو بكر النهدي الشقري البصري العابد المقرئ، قال أحمد بن حنبل ـ كما في العلل برواية ابنه عبد الله (1945) ـ: ثقة وزيادة.

وقال يحيى بن معين ـ كما في رواية الدوري (3590) ـ: بصري ثقة يروي عنه وكيع.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام 218/ 4: وثقه أحمد بن حنبل وغيره وهو من المقلين وجاء من طريقه خبر موضوع عن ثابت البناني والآفة من غيره.

وإنما اخترت كون مطرف البصري ـ شيخ مسلم بن خالد هنا ـ هو ابن معقل لأمرين:

الأول: أن ابن معقل بصري.

والثاني: أنه في طبقة شيوخ مسلم بن خالد.

وأما قول محقق جزء أبي الشيخ بدر بن عبد الله البدر (ص: 72): إن مطرفا ـ هنا ـ هو: «ابن عبد الله البصري» ففيه نظر، لأن مطرف بن عبد الله بن الشخير مات سنة خمس وتسعين كما قال عمرو بن علي الفلاس (رجال صحيح مسلم لابن منجويه: 248/ 2) وأبو عيسى الترمذي (رجال صحيح البخاري للكلاباذي: 718/ 2).

وقال البخاري في التاريخ الكبير 396/ 7: (قال يحيى القطان: مات مطرف بعد الطاعون الجارف وكان طاعون الجارف سنة سبع وثمانين). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 106/ 7، وتاريخ الإسلام: 1174/ 2.

وذكر خليفة بن خياط في تاريخه (ص: 185) أنه توفي سنة ست وثمانين.

وولد مسلم بن خالد سنة مائة أو قبلها بيسير (سير أعلام النبلاء: 177/ 8)، وفي تاريخ الإسلام 742/ 4: مولده سنة مائة.

ومنها: ما رواه أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ـ كما في المطالب العالية 85 ـ 89/ 8 ـ عن هشام بن سليمان عن أبي رافع عن يزيد بن رومان عمن أخبره عن أبي ذر به.

وهذا إسناد واه لأمور:

الأول: هشام بن سليمان قال أبو حاتم الرازي: مضطرب الحديث ومحله الصدق ما أرى به بأسًا. (الجرح والتعديل 62/ 9).

وقال العقيلي: في حديثه عن غير ابن جريج وهم. (الضعفاء: 165/ 4). =

....

= **الثاني**: أن أبا رافع ـ واسمه: إسماعيل بن رافع ـ قال عنه أحمد: ضعيف منكر الحديث (تهذيب الكمال 3/ 87)، وفي رواية: ضعيف الحديث. (الجرح والتعديل 2/ 169). وقال ابن معين: ليس بشيء. (رواية الدوري عنه 3/ 63، والجرح والتعديل 2/ 169)، وفي رواية عنه: ضعيف. (الجرح والتعديل 2/ 169). وقال عمرو بن علي: منكر الحديث. (الكامل 2/ 58). وقال ابن سعد: كان كثير الحديث ضعيفا. (الطبقات الكبرى 5/ 432). وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن إسماعيل بن رافع الذي يحدث عنه سليمان بن بلال من هو؟ قال: هو أبو رافع الضعيف القاص، قال: وسمعته مرة أخرى يقول: هو منكر الحديث. (الجرح والتعديل 2/ 169). وقال النسائي: متروك. (الضعفاء والمتروكون: 32)، وفي رواية: ليس بثقة. (تاريخ دمشق 8/ 401). وقال ابن عدي: ولإسماعيل بن رافع أحاديث غير ما ذكرته وأحاديثه كلها مما فيه نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. (الكامل 2/ 60). وقال ابن حبان: كان رجلًا صالحًا إلا أنه يقلب الأخبار حتى صار الغالب على حديثه المناكير التي يسبق إلى القلب أنه كالمتعمد لها. (المجروحون 1/ 131).

وقال الدارقطني: متروك. (سؤالات البرقاني: 9).

الثالث: إبهام شيخ يزيد بن رومان.

تنبيه: نقل الحافظ أبو الحجاج المِزي رحمه الله تعالى ـ في ترجمة إسماعيل بن رافع من التهذيب 3/ 88 ـ عن النسائي أربع عبارات في إسماعيل:

الأولى: متروك الحديث.

الثانية: ضعيف.

الثالثة: ليس بثقة.

الرابعة: ليس بشيء.

فعزا الدكتور بشار عواد معروف جميع العبارات إلى تاريخ ابن عساكر وعزا الأولى لضعفاء النسائي وكامل ابن عدي وتاريخ ابن عساكر.

قال أبو ميمونة: إنما ذكر ابن عساكر عن النسائي 8/ 401: «ليس بثقة» و8/ 402: «متروك الحديث». ولم يذكر عنه عبارة: «ضعيف»، وأما عبارة: «ليس بشيء» فلعل مستند من عزاها له ما يلي:

قال ابن عساكر: قرأت على أبي الفضل بن الحكاك أنا أبو نصر الوائلي أنا الخصيب بن عبد الله أنا عبد الكريم بن أبي عبد الرحمن أنا أبي أبو عبد الرحمن أنا معاوية بن صالح عن يحيى بن معين قال: إسماعيل بن رافع ضعيف مدني وفي موضع آخر من كتابه: ليس بشيء. قال النسائي: أبو رافع إسماعيل بن رافع مدني ليس بثقة اهـ. =

= قال أبو ميمونة: كأن الدكتور بشارًا ظن الضمير في قوله: «كتابه» عائدًا على النسائي وكان هذا ممكنًا لولا أنه قال بعده مباشرة: «قال النسائي» فهذا دليل أن ما قبله ليس من قول النسائي لاسيما وأن هذه العبارة: «ليس بشيء» قالها يحيى بن معين كما في رواية عباس الدوري عنه، وأيضًا لم يذكر النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين إسماعيل إلا في موضع واحد وقال: متروك الحديث.

ومنها: ما رواه إسحاق بن راهويه ـ كما في المطالب العالية 90/ 8 ـ قال: أخبرنا أبو حيوة الحمصي شريح ثنا معان بن رفاعة السلامي عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن وهو مولى يزيد بن معاوية الشامي عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ: كم الأنبياء؟ قال ﷺ: **«مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا»**، فَقَالَ: كَمِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قال ﷺ: **«ثلاثمائة وخمس عشرة جَمًّا غَفِيرًا»**.

قلت: وهذا إسناد واه فيه: علي بن يزيد الألهاني قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد بن حنبل: علي بن يزيد؟ قال: هو دمشقي كأنه ضعفه. (الجرح والتعديل 209/ 6). وقال يحيى بن معين: ضعيف. (تاريخ مدينة دمشق 282/ 43)، وقال أيضًا: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة هي ضعاف كلها. (تاريخ مدينة دمشق 282/ 43).

وقال البخاري: منكر الحديث. (التاريخ الكبير 301/ 6)، وقال أيضًا: ضعيف. (الجامع الكبير 449/ 4، وتاريخ مدينة دمشق 281/ 43)، وقال أيضًا: يضعف. (الجامع الكبير 256/ 5). وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث حديثه منكر فإن كان ما روى علي بن يزيد عن القاسم على الصحة فيحتاج أن ننظر في أمر علي بن يزيد. (الجرح والتعديل 209/ 6)، وقال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكتاني الأصبهاني: قلت لأبي حاتم: ما تقول في أحاديث عبد الله بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة؟ قال: ليست بالقوية هي ضعاف. (تاريخ مدينة دمشق 285/ 43).

وقال أبو زرعة الرازي: ليس بقوي. (الجرح والتعديل 209/ 6). وقال الترمذي: يضعف في الحديث. (الجامع الكبير 169/ 4، 256/ 5).

وقال النسائي: متروك الحديث. (الضعفاء والمتروكون: 432)، وقال أيضا: ليس بثقة. (تاريخ دمشق 281/ 43). وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. (تاريخ مدينة دمشق 281/ 43). وقال ابن يونس: فيه نظر. (تاريخه 156/ 2). وقال يعقوب بن شيبة: واهي الحديث كثير المنكرات. (تاريخ مدينة دمشق 283/ 43). =

....

= وفي الإسناد أيضًا: معان بن رفاعة قال أحمد: لم يكن به بأس. (الجرح والتعديل 422/ 8). وقال ابن معين: ضعيف. (رواية الدوري 5134).

وقال أبو حاتم: حمصي شيخ يروي عن أبي الزبير وعلي بن يزيد يكتب حديثه ولا يحتج به. (الجرح والتعديل 422/ 8).

قال ابن عساكر 11/ 59: قول ابن أبي حاتم: حمصي وهَم وإنما هو دمشقي سكن حمص اه كذا قال: وإنما هذا قول أبي حاتم، وقد سبق ابنَ عساكر لهذا التعقب الحافظ ابنُ السكن كما نقله عنه مغلطاي في الإكمال 11/257.

وقال إبراهيم بن يعقوب السعدي: ليس بحجة. (الكامل 503/ 9).

وقال أبو داود: ليس به بأس. (سؤالات أبي عبيد الآجري: 1692). وقال يعقوب بن سفيان: لين الحديث. (المعرفة والتاريخ 451/ 2).

وقال ابن عدي في الكامل 505/ 9: عامة ما يرويه لا يتابع عليه اه.

وقال ابن حبان في المجروحين 376/ 2: منكر الحديث يروي مراسيل كثيرة ويحدث عن أقوام مجاهيل لا يشبه حديثه حديث الأثبات فلما صار الغالب في روايته ما ينكره القلب استحق ترك الاحتجاج به اه.

تنبيه: وقع في تاريخ ابن معين رواية الدوري (5134): «معاذ بن رفاعة» وكذا وقع في تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين لابن شاهين (614). وقد علق الدكتور أحمد محمد نور سيف ـ محقق تاريخ ابن معين ـ على كلمة «معاذ» بقوله: كتب أعلاها معان والمثبت في الأصل هو الصواب اه.

قلت: بل الصواب: «معان» بالنون لا «معاذ» بالذال فهي تصحيف، وقد قال الدارقطني في المؤتلف والمختلف 2175/ 4: باب معاذ ومعان أما معاذ فجماعة وأما معان فهو معان بن رفاعة السلامي ... اه.

وقال ابن ماكولا في الإكمال 272/ 7: وأما معان آخره نون فهو معان بن رفاعة السلامي دمشقي ... اه.

وقال الخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم 784 - 785/ 2: معاذ بن رفاعة ومعان بن رفاعة أما الأول بالذال المعجمة ... وأما الثاني بالنون فهو: معان بن رفاعة السلامي ... اه.

ومما يدل على أن ما في مطبوعة رواية الدوري تصحيف أن ابن عدي أسنده 503/ 9 من طريق الدوري عن ابن معين فذكر: «معانا» بالنون.

وكذا وقع على الصواب في تاريخ مدينة دمشق 11/ 59 وقد أسنده ابن عساكر من طريق أبي العباس الأصم عن عباس الدوري عن ابن معين.

(والكتب التي على رسل) بسكون السين (البشر أنزل) الله سبحانه وتعالى هي (من كلامه جل) وليست هي جميع كلامه وهذا من أعظم الأدلة على أن كلام الله يتبعض ويتجزأ، فيجب الإيمان بهذه الكتب، ما سمي منها كالزبور وصحف إبراهيم وموسى[1] والتوراة والإنجيل والقرآن على التفصيل، وما لم يسم على الإجمال، وفي حديث أبي ذر ـ ولا يثبت ـ: قلت: يا رسول الله كم كتابًا أنزله الله؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن).

(فذر) أي: اترك عنك وجانب (قولهم) أي: المبتدعة (القرآن) ليس كلام الله على الحقيقة لأن كلامه معنى قائم بالنفس منزه عن الحروف والأصوات كما يقوله الأشاعرة، ولكنه أي: القرآن (قد دل على الكلام) فهو عبارة عنه وليس هو (أو على الذي الكلام دل) عليه أي: واترك قولهم: القرآن دل على الذي دل الكلام عليه وهو صفة الكلام، وقد تولى بيان فساد هذا المذهب وكشف عواره وهتك أستاره شيخ الإسلام ابن قدامة في: «المناظرة» وفي: «البرهان» وغيرهما، والإمام أبو نصر السجزي في كتابه العظيم: «الإبانة»، ورسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت في كلام الله، والإمام أبو العباس أحمد ابن تيمية في كتابه: «التسعينية» رحم الله الجميع.

(بل بالحروف والمعاني وردا) الألف للإطلاق، أي: أن القرآن ورد بالحروف والمعاني من عند الله فليست الحروف دون المعاني كلامه ولا المعاني دون الحروف كلامه.

---

(1) قال الطبري في تفسيره 30/ 101: وأما الصحف فإنها جمع صحيفة وإنما عنى بها كتب إبراهيم وموسى اهـ.

وكان الإمام أحمد يقول: إن القرآن كيف تصرف غير مخلوق وإن الله تعالى تكلم بالصوت والحرف وكان يبطل الحكاية ويضلل القائل بذلك وعلى مذهبه أن من قال إن القرآن عبارة عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ فقد جهل وغلط وأن الناسخ والمنسوخ في كتاب الله دون العبارة عنه ودون الحكاية له، ويبطل الحكاية عنده بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164]، وتكليمًا مصدر تكلم يكلم فهو مكلم وذلك يفسد الحكاية ولم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين من المتقدمين من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين عليهم السلام القول بالحكاية والعبارة فدل على أن ذلك من البدع المحدثة[1].

قال الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي رحمه الله تعالى: اعلموا ـ أرشدنا الله وإياكم ـ أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب، والقلانسي، والصالحي، والأشعري، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالا منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات[2].

وقال السجزي أيضًا: فإن أقر الأشعري ومن وافقه بأن القرآن هو الذي يعرفه الخلق انتقض عليه قوله: إن الحرف والصوت لا مدخل لهما في كلام الله عَزَّوَجَلَّ وقد أقر بأنه غير مخلوق، وإذا لم يكن مخلوقًا وكان حروفًا لا محالة كان إنكارهم للحروف بعد ذلك سخفًا، وإن زعموا أن القرآن غير الذي عرفه الخلق كفروا، ولم يجدوا حجة على قولهم من عقل ولا سمع، وإن قالوا: إن القرآن اسم

---

(1) اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ص: (33 ـ 36).

(2) رسالة السجزي إلى أهل زبيد، ص: (80 ـ 81).

لكلام الله جملة، وجب أن تسمى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى أجمعُ قرآنًا ووجب أن يكون المؤمن بالتوراة من اليهود مؤمنًا بالقرآن وبما فيه وغير جائز أن تؤخذ منه الجزية بعد وجوب الحكم بإيمانه[1].

وقال أيضًا: وقول الأشعري: «إن كلام الله شيء واحد، لا يدخله التبعيض» فإذا قال: إن الله أفهم موسى كلامه، لم يخل أمر من أن يكون قد أفهمه كلامه مطلقًا، فصار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عالمًا بكلام الله حتى لم يبق له كلام من الأزل إلى الأبد إلا وقد فهمه، وفي ذلك اشتراك مع الله في علم الغيب وذلك كفر بالاتفاق[2].

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم قِوَام السنة إسماعيل بن محمد التيمي رحمه الله تعالى: ومن الدليل على ما قلناه: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت، لا المعنى؛ لأن العرب تقول: سمعت الكلام وفهمت المعنى، ولا تقول: سمعت المعنى فلما قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ﴾، دل على أنه الحرف والصوت ولأن الاستجارة إنما حصلت للمشركين بشرط استماع كلام الله، فلو كان ما سمعوه من النبي ﷺ ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم، ولأنه قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: 15] فلا يجوز أن يكون كلامًا لم يصل إليهم؛ لأن ما لم يصل إليهم لا يتأتى لهم تبديله، فلم يبق إلا أن يكون الحرف والصوت، ولأنه قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [القصص: 30]، والنداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت، ولأنه قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: 88]، وعند أهل اللغة: هذا إشارة إلى شيء حاضر، فلو كان قائمًا في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولأن الله

---

(1) رسالة السجزي، ص: (108 ـ 109).

(2) رسالة السجزي، ص: (114).

تعالى امتحن العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن، فلو كان معنى قائمًا في النفس لم يجز أن يمتحنهم بذلك لأن فيه تكليف ما لا يطاق، ولا يجوز ذلك على الله تعالى لم يبق إلا أن يكون امتحنهم بما سمعوه من الحرف والصوت وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة[1].

قال الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله تعالى: ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لا حكاية ولا عبارة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 1-2].

وقال: ﴿الٓمٓصٓ ① كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: 1-2]. وقال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [يوسف: 1-2]. وقال: ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: 1]. وقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: 1]. ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: 1-2].

فمن لم يقل إن هذه الأحرف عين كلام الله عَزَّوَجَلَّ فقد مرق من الدين، وخرج عن جملة المسلمين، ومن أنكر أن يكون حروفًا فقد كابر العيان وأتى بالبهتان[2].

وقال أيضًا: وقول القائل: بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج باطل ومحال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: 30].

وكذلك قال عَزَّوَجَلَّ إخبارًا عن السماء والأرض أنهما: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11]. فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات.

وروي عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه كلمه الذراع المسمومة.

وصح أنه سلم عليه الحجر وسلمت عليه الشجرة[3].

---

(1) الحجة في بيان المحجة: 398 ـ 399/ 1.

(2) الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 140 ـ 141.

(3) الاقتصاد، ص: 149 ـ 151.

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى في لمعة الاعتقاد: فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر[1].

وقال أيضًا: ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن من جحد آية أو كلمة متفقًا عليها أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، والأشعري يجحده كله ويقول: ليس شيء منه قرآنًا وإنما هو كلام جبريل، ولا خلاف بين المسلمين كلهم في أنهم يقولون قال الله كذا إذا أرادوا أن يخبروا عن آية أو يستشهدوا بكلمة من القرآن ويقرون كلهم بأن هذا قول الله، وعند الأشعري ليس هذا قول الله وإنما هو قول جبريل فكان ينبغي لهم أنهم يقولون قال جبريل أو قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حكوا آية، ثم إنهم قد أقروا أن القرآن كلام الله غير مخلوق فإذا لم يكن القرآن هذا الكتاب العربي الذي سماه الله قرآنا فما القرآن عندهم؟ وبأي شيء علموا أن غير هذا يسمى قرآنا فإن تسمية القرآن إنما تعلم من الشرع أو النص فأما العقل فلا يقتضي تسمية صفة الله قرآنًا وما ورد النص بتسميته القرآن إلا لهذا الكتاب ولا عرفت الأمة قرآنًا غيره وتسميتهم غيره قرآنا تحكم بغير دليل شرعي ولا عقلي مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومدار القوم على القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة ولكن أحبوا أن لا يعلم بهم فارتكبوا مكابرة العيان وجحد الحقائق ومخالفة الإجماع ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلم ولا كافر، ومن العجب أنهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم ولا التصريح به إلا في الخلوات ولو أنهم ولاة الأمر

(1) لمعة الاعتقاد، ص: (79 ـ شرح ابن عثيمين).

وأرباب الدولة، وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كرهوا ذلك وأنكروه وكابروا عليه ولا يتظاهرون إلا بتعظيم القرآن وتبجيل المصاحف والقيام لها عند رؤيتها، وفي الخلوات يقولون: ما فيها إلا الورق والمداد، وأي شيء فيها؟ وهذا فعل الزنادقة[1].

وقال **أيضًا**: ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم ولا يتجاسرون على إظهارها إلا الزنادقة والأشعرية[2] وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإظهار الدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه فقال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: 67]، فإن كانت مقالتهم ـ كما يزعمون ـ هي الحق فهلا أظهروها ودعوا الناس إليها؟ وكيف حل لهم كتمانها وإخفاؤها والتظاهر بخلافها وإيهام العام اعتقاد ما سواها؟ بل لو كانت مقالتهم هي الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة الذين بعدهم كيف لم يظهرها أحد منهم؟ وكيف تواطأوا على كتمانها؟ أم كيف حل للنبي ﷺ كتمانها عن أمته وقد أمر بتبليغ ما أنزل إليه وتوعد على إخفاء شيء منه بقوله: ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾؟ أم كيف وسعه أن يوهم الخلق خلاف الحق؟ ثم هو ﷺ أشفق على أمته من أن يعلمه الله حقًا ويأمره بتبليغه إلى أمته فيكتمه عنهم حتى يضلوا عنه ثم إذا كتمه فمن الذي بلغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا به؟ وكيف تصور منهم أن يدينوا به ويتواطأوا على كتمانه حتى لا ينقل عن أحد منهم مع كثرتهم وتفرقهم في البلدان؟ فإن تصور ذلك منهم فمن الذي نقله إلى التابعين حتى اعتقدوه؟ فكل هذا من المستحيل الذي يقطع كل ذي

---

(1) حكاية المناظرة في القرآن مع أهل البدعة، ص: 33 ـ 34.

(2) أما اليوم فيتظاهرون بذلك، والله المستعان.

لب بفساده ويعلم يقينا أن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقادا سوى اعتقاد المسلمين وأنه هذا القرآن العربي الذي هو سور وآيات وهذا أمر لا يخفى على غير من أضله الله، وإن تصور في عقولهم أن الحق خفي على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه والتابعين بعدهم وعلى الأئمة الذين مهدوا الدين واقتدوا بسلفهم واقتدى بهم من بعدهم وغطي عنهم الصواب ولم يتبين لهم الصحيح إلى أن جاء الأشعري فبينه وأوضح ما خفي على النبي ﷺ وأمته وكشفه فهذه عقول سخيفة وآراء ضعيفة إذ يتصور فيها أن يضيع الحق عن النبي ﷺ ويجده الأشعري ويغفل عنه كل الأمة وينتبه له دونهم، وإن ساغ لهم هذا ساغ لسائر الكفار نسبتهم لنبينا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمته إلى أنهم ضاعوا عن الصواب وأضلوا عن الطريق وينبغي أن تكون شريعتهم غير شريعة محمد ﷺ ودينهم غير دين الإسلام لأن دين الإسلام هو الذي جاء به محمد ﷺ وهذا إنما جاء به الأشعري، وإن رضوا هذا واعترفوا به خرجوا عن الإسلام بالكلية، فإن قالوا: فكيف قلتم إن القرآن حروف ولم يرد في كتاب ولا سنة ولا عن أحد من الأئمة؟ قلنا: قد ثبت أن القرآن هو هذه السور والآيات ولا خلاف بين العقلاء كلهم مسلمهم وكافرهم في أنها حروف ولا يختلف عاقلان في أن الحمد خمسة أحرف، واتفق المسلمون كلهم في أن سورة الفاتحة سبع آيات، واختلفوا في أن بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية منها أم لا، واتفقوا كلهم على أنها كلمات وحروف، وقد افتتح الله تعالى كثيرًا من سور القرآن بالحروف المقطعة مثل: ﴿الٓمٓ﴾، و: ﴿الٓر﴾، ولا يجحد عاقل كونها حروفًا إلا على سبيل المكابرة؟ وهذا أمر غير خاف على أحد فلا حاجة إلى الدليل عليه، فإن قالوا: لا يسوغ لكم أن تقولوا لفظة لم ترد في كتاب ولا سنة وإن كان معناها صحيحًا ثابتًا، قلنا: هذا خطأ فإنه لا خلاف في أنه يجوز

أن يقال إن القرآن مائة وأربع عشرة سورة وإن سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية وفي عد آي سور القرآن وأحزابه وأسباعه وأعشاره ولم يرد لفظ في ذلك في كتاب ولا سنة، على أن لفظ الحرف قد جاءت به السنة وأقوال الصحابة وإجماع الأمة فقال النبي ﷺ: **«من قرأ القرآن وأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف منه حسنة»** وهذا حديث صحيح[1]، وقال

---

(1) هكذا جزم شيخ الإسلام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بصحته وتابعه على ذلك التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: 226/ 8، ولم أقف عليه بهذا اللفظ مسندا، وقد قال الحافظ أبو القاسم قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة: 327/ 1: (وروي: من قرأ القرآن وأعربه فله بكل حرف منه خمسون حسنة ومن قرأه فلم يعربه فله بكل حرف عشر حسنات لا أقول: ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف).

وقد أخرج تمام في الفوائد 130 ـ 132/ 1 قال: أخبرنا أبو الحسين إبراهيم بن أحمد بن الحسن ثنا أحمد بن بشر ثنا محمد بن يحيى ثنا أبو داود ثنا شعبة ثنا طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**زينوا القرآن بأصواتكم** ـ وذكر الحديث إلى أن قال ـ : **ومن قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف أربعون حسنة ومن قرأ القرآن بلحن وتطريب فله بكل حرف عشرون حسنة ...**».

قلت: أبو الحسين إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن حسنون الأردني الشاهد ترجمه ابن عساكر 262/ 6 ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وذكر جماعة من الرواة عنه منهم: ابن منده وتمام وعبد الله بن بكر الطبراني ورواية هؤلاء مما يقوي أمره.

وأحمد بن بشر بن حبيب بن زيد أبو عبد الله الصوري التميمي المؤدب ترجمه ابن عساكر 42/ 71 ـ ولم يذكر فيه تعديلًا ولا تجريحًا ـ : قدم دمشق وحدث بها عن جماعة وحدث عنه جماعة.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام 876/ 6: وعنه: الطبراني وأبو عمر بن فضالة وجمح بن القاسم وآخرون.

وانظر ما كتبه أبو عبد الله محمد بن حَمَد الحمود في تحقيقه للمناظرة لابن قدامة، ص: 63 ـ 64، فقد ذكر بعض الروايات وبيَّن ضعفها.

وراجع: حاشية محمد عبد اللطيف محمد الجمل على الحجة: 327/ 1.

وقد تعقب الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الضعيفة» (6584) تصحيح الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: وهذا غريب جدا فإنه لا أصل له بهذا اللفظ مطلقا في شيء من طرقه التي وقفنا عليها وقد تقدم تخريجها وبيان عللها فكيف مع ذلك يصححه؟! فأخشى أن يكون مدسوسًا عليه.

النبي ﷺ: «**اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم**»[1]، وقال ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله، وقال أيضًا: تعلموا البقرة فإن بكل حرف منها حسنة والحسنة عشر أمثالها، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من حلف بالقرآن فعليه بكل حرف كفارة، وقال ابن عمر: إذا خرج أحدكم لحاجته ثم رجع إلى أهله فليأت المصحف فيفتحه فيقرأ سورة فإن الله يكتب له بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ألم ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر، وقال الحسن البصري: قراء القرآن ثلاثة فقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، وقال حذيفة وفضالة بن عبيد: خذ علي المصحف ولا تردن علي ألفا ولا واوا، وذكر أبو عبيد وغيره من الأئمة في تصانيفهم باب اختلافهم في حروف القرآن، واتفق أهل الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام على عدد حروف القرآن فعدها كل أهل مصر وقالوا: عددها كذا وكذا، وقال المسيب بن واضح: قلت ليوسف بن أسباط: حدثني أبو عمر الصنعاني حفص بن ميسرة قال: القرآن ألَفا ألفٍ حرف وأربعة وعشرون ألف حرف فمن قرأ القرآن أعطي بكل حرف زوجة من الحور العين فقال لي يوسف بن أسباط: وما يعجبك من ذلك؟ حدثني محمد بن أبان العجلي عن عبد الأعلى عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: (من قرأ القرآن أعطي بكل حرف زوجتين من الحور العين).

---

(1) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (762) عن موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن عبيدة عن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه، وإسناده ساقط فيه: موسى بن عبيدة الربذي وأخوه عبد الله وهما ضعيفان ولم يسمع عبد الله من سهل أيضًا.

ولم تزل هذه الأخبار وهذه اللفظة متداولة منقولة بين الناس لا ينكرها منكر ولا يختلف فيها أحد إلى أن جاء الأشعري فأنكرها وخالف الخلق كلهم مسلمهم وكافرهم، ولا تأثير لقوله عند أهل الحق ولا تترك الحقائق وقول رسول الله ﷺ وإجماع الأمة لقول الأشعري إلا من سلبه الله التوفيق وأعمى بصيرته وأضله عن سواء السبيل.

وقالوا أيضًا: قد قلتم: إن الله يتكلم بصوت ولم يأت به كتاب ولا سنة، قلنا: بل قد ورد به الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: 164]، وقوله تعالى: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ﴾ [البقرة: 253]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: 10]، ولا خلاف بيننا أن موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة ولا يسمع إلا الصوت فإن الصوت هو ما يتأتى سماعه وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يجمع الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمع من قرُب أنا الملك أنا الديان**»[1].

---

(1) أخرجه أحمد: 431 ـ 432/ 25، والبخاري في خلق أفعال العباد، ص: 92، والأدب المفرد: (970)، وابن أبي عاصم في السنة: (514)، والطبراني: 132/ 13، والحاكم: 369 ـ 370/ 4 و: 400 ـ 401/ 8، والبيهقي في الأسماء والصفات: 29/ 2، والحارث بن أبي أسامة ـ كما في بغية الباحث: 188/ 1 ـ، ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 389 ـ 392/ 1، وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي في فوائده: (2)، والخطيب في الرحلة: (31)، والضياء في المختارة: 25 ـ 26/ 9، كلهم من طريق همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، وفيه عندهم ـ ما عدا البخاري في خلق أفعال العباد ـ قصة وعندهم أن جابرًا رحل إلى عبد الله بن أنيس في الشام ليسمع منه هذا الحديث.

تنبيه: وقع عند الحاكم في الموضع الأول: «حتى قدمت مصر» وفي الموضع الثاني: «قدمت مصر أو قال: الشام». =

....

= قلت: أما رواية الشك فأسندها الحاكم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد الأصبهاني الصفار عن محمد بن مسلمة الواسطي عن يزيد بن هارون عن همام به، ومحمد بن مسلمة بن الوليد بن عبد الملك أبو جعفر الطيالسي قال الخطيب في التاريخ 490/ 4: في حديثه مناكير بأسانيد واضحة إلا أن الحاكم أبا عبد الله ابن البيع ذكر أنه سمع الدارقطني يقول: «محمد بن مسلمة الواسطي لا بأس به» قال الخطيب: رأيت هبة الله بن الحسن الطبري يضعف محمد بن مسلمة وسمعت الحسن بن محمد الخلال يقول: «محمد بن مسلمة ضعيف جدًا» اهـ.

وأما رواية: «حتى قدمت مصر» فأسندها الحاكم عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي عن سعيد بن مسعود عن يزيد بن هارون به، وهي رواية شاذة، فقد روى الحديثَ: الإمامُ أحمد بن حنبل 431/ 25 والحارث بن أبي أسامة ـ كما في جامع بيان العلم: 389 ـ 392/ 1، والرحلة للخطيب: (31)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم: (3999) ـ وقالا: «حتى قدمت عليه الشام».

وأخرجه أبو بكر محمد بن هارون الروياني: (1491) عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عن محمد بن مسلم الطائفي عن القاسم به، وفيه: «فلما قدمت عليه مصر» وهذا خطأ من أحمد بن عبد الرحمن فليس بذاك القوي، أو من الطائفي فقد ضعفه أحمد ووثقه ابن معين.

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين 104/ 1، وتمام في الفوائد: (928)، وابن عساكر: 286/ 72 كلهم من طريق الحسن بن جرير الصوري (في تاريخ ابن عساكر: الحسن بن حزم الطيوري وهو تصحيف) عن عثمان بن سعيد الصيداوي عن سَلِيم (عند الطبراني: سليمان وهو خطأ) بن صالح عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: «بلغني عن النبي ﷺ حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر ...».

قال الذهبي في الميزان 232/ 2: سليم بن صالح عن ابن ثوبان لا يعرف اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح 306/ 1: «وإسناده صالح». قلت: بل هو غير صالح فسليم بن صالح لا يعرف كما قال الذهبي.

وأخرجه الخطيب في الرحلة: (33) عن عبد العزيز بن علي الأزجي عن علي بن عمر بن محمد الحربي عن حامد بن بلال البخاري عن محمد بن عبد الله المقرئ البخاري عن بحير بن النضر عن عيسى بن موسى «غنجار» عن عمر بن الصبح عن مقاتل بن حيان عن أبي جارود العنسي (في الأصل: العبسي وهو تصحيف) أن جابر بن عبد الله قال: «بلغني حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر ...».

قلت: عيسى بن موسى غنجار قال الدارقطني. كما في ديوان الضعفاء والمتروكين: (3303) ـ: «لا شيء» وقال الخليلي ـ كما في منتخب الإرشاد، ص: 48 ـ: زاهد ثقة لكنه ربما يروي عن الضعفاء أحاديث اهـ =

= وقال، ص: (376): صالح زاهد مشهور ... ويقع في كثير من أحاديثه الضعفاء والحمل على شيوخه لا عليه روى عنه أهل بخارى وروى عنه محمد بن أمية الساوي أحاديث ذوات عدد فقصده أبو زرعة وأبو حاتم لسماع ذلك والبخاري قد احتج به في أحاديث ولا يضعفه وإنما يقع الاضطراب من تلامذته وضعفاء شيوخه لا منه اهـ.

وقال ابن حبان في الثقات 492 ـ 493/ 8: ربما خالف اعتبرت حديثه بحديث الثقات وروايته عن الأثبات مع رواية الثقات فلم أر فيما يروي عن المتقنين شيئًا يوجب تركه إذا بين السماع في خبره لأنه كان يدلس عن الثقات ما سمع من الضعفاء عنهم وتركَ الاحتجاج بما يروي عن الثقات إذا بين السماع عنهم وأما ما روى عن المجاهيل والضعفاء والمتروكين فإن تلك الأخبار كلها تلزق بأولئك دونه لا يجوز الاحتجاج بشيء منها اهـ. وانظر: تهذيب التهذيب: 368 ـ 369/ 3.

وفي الإسناد: عمر بن صبح الخراساني، قال إسحاق بن راهويه ـ كما أسنده الخطيب عنه: 212/ 15 ـ: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير يعني في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، وعمر بن صبح، ومقاتل بن سليمان.

وقال أبو حاتم الرازي ـ كما في الجرح والتعديل: 117/ 6 ـ: «منكر الحديث»، وقال ابن حبان في المجروحين 59 ـ 60/ 2: كان ممن يضع الحديث على الثقات لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب لأهل الصناعة فقط اهـ.

وقال ابن عدي في الكامل 394 ـ 398/ 7: منكر الحديث عن مقاتل بن حيان وغيره ... ثم قال ـ بعد أن ساق جملة من رواياته ـ: وعامة ما يرويه غير محفوظ لا متنًا ولا إسنادًا.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في الضعفاء، ص: 113: عن قتادة ومقاتل الموضوعات اهـ.

وأخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو، ص: 72 ـ 73: من طريق أبي علي الحسن بن الحسين بن دوما أنبأ مخلد بن جعفر أنبأ أبو محمد الحسن بن علي القطان أنبأ إسماعيل بن عيسى العطار أنبأ إسحاق بن بشر أخبرني عثمان بن الساج عن مقاتل بن حيان عن أبي الجارود العنسي (في الأصل: العبدي وهو تصحيف) عن جابر بن عبد الله، قال: «بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر ...».

قلت: وهذا إسناد ساقط جدا، فيه: ابن دوما قال الخطيب: «كتبنا عنه وكان كثير السماع إلا أنه أفسد أمره بأن ألحق لنفسه السماع في أشياء لم تكن سماعه» (التاريخ: 255/ 8 وانظر: الميزان: 485/ 1)، ومخلد بن جعفر بن مخلد بن سهل بن حمران أبو علي الدقاق الفارسي المعروف بالباقَرْحِي كان يدَّعي سماع كتاب المبتدأ عن ابن علويه. (تاريخ بغداد: 230 ـ 231/ 15). وأبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاري، قال العقيلي: إسحاق بن بشر القرشي مجهول حدث بمناكير. (الضعفاء: 263/ 1). =

....

= وقال ابن حبان في المجروحين 146/ 1: إسحاق بن بشر الكاهلي كنيته أبو حذيفة القرشي أصله من بلخ ومنشؤه من بخارى سكن بغداد مرة وحدثهم بها كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بها لا أصل له عن الأثبات مثل مالك وغيره روى عنه البغداديون وأهل خراسان لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب فقط اهـ.
قال الدارقطني: إسحاق بن بشر رجلان: أحدهما: يكنى أبا حذيفة البخاري هو الذي يحدث عن الثوري وغيره بالمناكير، وهو صاحب المبتدأ، والفتوح، والردة.
والآخر: إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي، كوفي، وهو ضعيف أيضا، وهو الذي روى عن أبي معشر عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قصة الهام بن الهام، ويحدث عن الكوفيين، وعن مالك بن أنس مناكير.
وقد هم أبو حاتم رحمه الله، فأدخل حديث أحدهما في الآخر. (تعليقات الدارقطني على المجروحين، ص:53 ـ 54).
وقال ابن عدي ـ بعد أن ساق أحاديث له ـ: وهذه الأحاديث مع غيرها مما يرويه إسحاق بن بشر هذا غير محفوظة كلها وأحاديثه منكرة إما إسنادا أو متنا لا يتابعه أحد عليه. (الكامل: 176/ 2).
وقال الدارقطني: «بخاري كذاب متروك» (الضعفاء والمتروكون: 92). وقال الخليلي: ضعيف جدًا يتهم بوضع الحديث روى عن الثوري ومحمد بن إسحاق وغيرهما ويروي عن ابن إسحاق كتاب «المبتدأ» من جمعِهِ يخالف روايات غيره فيه مناكير يكتب حديثه للاعتبار. (الإرشاد، ص: 375 ـ 376).
وعثمان بن ساج قال أبو حاتم الرازي ـ كما في الجرح والتعديل 162/ 6 ـ: عثمان والوليد ابني عمرو بن ساج يكتب حديثهما ولا يحتج به.
وقال العقيلي في الضعفاء 96/ 3: عثمان بن ساج عن خصيف ولا يتابع عليه.
قال الطبراني في الأوسط 265/ 8: حدثنا منتصر بن محمد بن المنتصر ثنا محمد بن بكار ثنا زافر بن سليمان عن داود بن الوازع عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: «ركبت إلى عبد الله بن أنيس، إلى مصر، أسأله عن حديث القصاص ...».
قلت: إسناد ضعيف: شيخ الطبراني منتصر بن محمد ترجمه الخطيب 362/ 15 ولم يذكر فيه تعديلًا ولا تجريحًا، وداود بن الوازع قال أبو حاتم الرازي ـ كما في الجرح والتعديل 427/ 3 ـ: «مجهول».
أخرج الخطيب في الرحلة (32) عن علي بن أحمد بن عمر المقرئ أنبا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا عبد الوارث عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله، قال: «بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرا فشددت عليه رحلا ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت مصر ...». =

وذكر عبد الله بن أحمد أنه قال: سألت أبي فقلت: يا أَبَهْ إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت؟ فقال: كذبوا إنما يدورون على التعطيل، ثم قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال: حدثنا سليمان بن مهران الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء».

= قلت: وهذا إسناد صحيح إلى عبد الوارث بن سعيد التَّنُّوري وقد اختلف هو وهمام بن يحيى العَوْذي ففي رواية همام أن الرحلة كانت إلى الشام وفي رواية عبد الوارث أنها كانت إلى مصر فالظاهر أن هذا الاختلاف من شيخهما: القاسم بن عبد الواحد وقد قال أبو حاتم الرازي. كما في الجرح والتعديل 7/ 114 ـ: «يكتب حديثه قال عبد الرحمن: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان وشعبة». وذكره ابن حبان في الثقات: 7/ 337. وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار، ص: 178: «من خيار أهل مكة وكان يهم في الشيء بعد الشيء». وربما كان هذا الاختلاف من عبد الله بن محمد بن عقيل فقد قال أبو زرعة الرازي: «يختلف عنه في الأسانيد». وقال أبو حاتم ـ كما في العلل 4/ 499 ـ: ابن عقيل «لا يضبط حديثه». والجمهور على تضعيفه وهذا الحديث نص البيهقي في الأسماء والصفات على أنه تفرد به القاسم عن ابن عقيل. وخلاصة القول أن الحديث ضعيف من جميع طرقه.

تنبيهات:

الأول: تصحف «عمر بن صبح» في كلام إسحاق بن راهويه إلى «عمر بن صبيح» في سير أعلام النبلاء: 11/ 369.

الثاني: نقل ابن حجر في التهذيب 3/ 234 في ترجمة عمر بن الصبح أن العقيلي قال عنه: «ليس حديثه بالقائم وليس بمعروف بالنقل» اهـ والعقيلي لم يترجم في كتابه لعمر بن صبح وإنما ترجم فيه 3/ 36 لعمر بن صبيح الكندي، وقال: عمر بن صبيح الكندي عن الأحنف بن قيس حديثه ليس بالقائم وليس بمعروف بالنقل ولا يبين سماعه منه اهـ.

الثالث: وبما تقدم يُعلم تساهل الحافظ ابن الملقن حيث قال في التوضيح 3/ 403: «وهي (يعني رواية أبي الجارود عن جابر) ضعيفة» اهـ وكذلك قول تلميذه الحافظ ابن حجر في الفتح 1/ 306: «وفي إسناده ضعف».

الرابع: قال الحافظ الذهبي في كتاب «العرش» 2/ 94 ـ 95: هذا حديث محفوظ عن جابر بن عبد الله رواه عنه: عبد الله بن محمد بن عقيل ومحمد بن المنكدر وأبو الجارود العبدي وله طرق يصدق بعضها بعضا انتهى وقد تبين بتخريجنا لطرق الحديث أن في قوله ـ رحمه الله تعالى ـ نظرًا.

قال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الخبر ليس في رواته إلا إمام مقبول وقد روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وفي بعض الآثار أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ناداه ربه يا موسى أجاب سريعًا استئناسًا بالصوت فقال: لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك وأمامك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله عَزَّوَجَلَّ قال: فكذلك أنت يا رب أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي.

وفي أثر آخر أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ناجاه ربه ثم سمع كلام الآدميين مقتهم لما وقر في مسامعه من كلام الله تعالى.

ومثله في الآثار كثير تناولته الأمة ولم ينكره إلا مبتدع لا يلتفت إليه، فإن قالوا: فالصوت لا يكون إلا من هواء بين جرمين.

قلنا: هذا من الهذيان الذي أجبنا عن مثله في الحرف وقلنا إن هذا قياس منهم لربنا تبارك وتعالى على خلقه وتشبيه له بعباده وحكم عليه بأنه لا تكون صفته إلا كصفات مخلوقاته وهذا ضلال بعيد[1].

وقال **أيضًا**: واتفق أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يكن القرآن الذي دُعُوا إلى القول بخلقه سوى هذه السور التي سماها الله قرآنا عربيا وأنزلها على رسوله عليه السلام ولم يقع الخلاف في غيرها ألبتة وعند الأشعري أنها مخلوقة فقوله قول المعتزلة لا محالة إلا أنه يريد التلبيس فيقول في الظاهر قولا يوافق أهل الحق ثم يفسره بقول المعتزلة فمن ذلك أنه يقول: القرآن مقروء، متلو، محفوظ، مكتوب، مسموع، ثم يقول: القرآن في نفس الباري قائم به ليس هو

(1) حكاية المناظرة، ص: 35 ـ 43.

سورا ولا آيات ولا حروفًا ولا كلمات فكيف يتصور إذا قراءته وسماعه وكتابته؟ ويقولون: إن موسى سمع كلام الله من الله ثم يقولون: ليس بصوت[1].

وقال أيضًا: ويقولون في أذانهم وصلواتهم: أشهد أن محمدًا رسول الله ويعتقدون أنه انقطعت رسالته ونبوته بموته وأنه لم يبق رسول الله وإنما كان رسول الله في حياته[2]، وحقيقة مذهبهم أنه ليس في السماء إله ولا في الأرض قرآن ولا أن محمدًا رسول الله، وليس في أهل البدع كلهم من يتظاهر بخلاف ما يعتقده غيرهم وغير من أشبههم من الزنادقة، ومن العجب أن إمامهم الذي أنشأ هذه البدعة رجل لم يعرف بدين ولا ورع ولا شيء من علوم الشريعة ألبتة ولا ينسب إليه من العلم إلا علم الكلام المذموم وهم يعترفون بأنه أقام على الاعتزال أربعين عاما ثم أظهر الرجوع عنه فلم يظهر منه بعد التوبة سوى هذه البدعة فكيف تصور في عقولهم أن الله لا يوفق لمعرفة الحق إلا عدوه ولا يجعل الهدى إلا مع من ليس له في علم الإسلام نصيب ولا في الدين حظ، ثم إن هذه البدعة مع ظهور فسادها وزيادة قبحها قد انتشرت انتشارًا كثيرًا وظهرت ظهورًا عظيمًا وأظنها آخر البدع وأخبثها وعليها تقوم الساعة وأنها لا تزداد إلا كثرة وانتشارا[3].

---

(1) حكاية المناظرة، ص: 47.

(2) قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في الفصل 106/ 1: حدثت فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن رسول الله ﷺ ولكنه كان رسول الله ﷺ وهذا قول ذهب إليه الأشعرية وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسم محمود بن سبكتكين صاحب ما دون وراء النهر من خراسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ... ثم أخذ يرد عليهم رحمه الله فانظره إن شئت: 106 ـ 109/ 1.

(3) حكاية المناظرة، ص: (51 ـ 52).

وقال أيضًا: وأجمعنا على أن موسى سمع كلام الله من الله لا من شجرة ولا من حجر ولا غيره لأنه لو سمع من غير الله كان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى فلِمَ سُمِّيَ إذا كليمَ الرحمن؟ فإذا ثبت هذا لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه موسى إلا صوتًا وحرفًا فإنه لو كان معنى في النفس وفكرة وروية لم يكن ذلك تكليمًا لموسى ولا موسى يسمع ولا يتعدى الفكر ولا يسمى مناداة اهـ[1].

وقال أيضًا: ومن زعم أن هذا الكتاب غير القرآن، وأنه كلام المخلوقين، وأن القرآن معنى في النفس لا يُنزَل ولا يُقرَأ، ولا يُسمَع ولا يتلى، ولا ينفع، ولا له أول ولا آخر، ولا جزء ولا بعض، ولا هو سور، ولا آيات وحروف، ولا كلمات، فهذا زنديق راد على رب العالمين، وعلى رسوله الصادق الأمين، مخالف لجميع المسلمين، ناكب عن الصراط المستقيم.

أما رده على الله سبحانه فإن الله تعالى قال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: 4]، وقال: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: 106]، وقال: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 166]، والذي يرتل وينزل ويقرأ، إنما هو هذا الكتاب.

وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:9]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ ﴾ [النمل: 76]، وهذا إشارة إلى حاضر، والذي يقص ويهدي إنما هو هذا الكتاب العربي.

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء: 41]، [الكهف: 54]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ ﴾ [الروم: 58]، [الزمر: 27]، والذي صرفت فيه الأمثال وضربت إنما هو هذا الحاضر.

---

(1) الصراط المستقيم، ص: 59.

وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:88]، ولا يتحداهم بالإتيان بما لا يعرفونه ولا يدرون ما هو.

وسماه الله عربيًا، وأخبر أنه هو الكتاب، فقال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 1-3]، وقال: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: 1-3].

فمن أنكر كون القرآن هو الكتاب العربي، فهو من الذين لا يعقلون.

ومن أوضح الدلائل على ذلك: أن الكفار قالوا: هذا شعر، فرد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: 69]، وما ليس بحروف لا يجوز أن يكون شعرًا عند أحد، فلما سموه شعرًا علم يقينًا أنهم إنما أرادوا بذلك هذا النظم العربي، فلما نفى الله عنه كونه شعرًا، وأثبته قرآنًا، لم تبق شبهة لذي عقل أن القرآن هو هذه السور والآيات.

كذلك قالوا: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: 5] فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: 6]، وقالوا: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: 31]، وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 25]، فقال سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: 26]، وما كانوا يشيرون بهذا القول إلا إلى هذا الكتاب العزيز.

وأيضًا فإنهم طلبوا الإتيان ببدله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ﴾ [يونس: 15].

أفتراهم طلبوا تبديل ما في نفس الباري مما لا يعلمونه ولا يدرون ما هو؟! ثم كيف علموا أن ما في نفس الله تعالى قرآنًا؟! وبأي طريق وصل إليهم؟! هذا وما كان قائل هذه المقولة خلق بعد.

والآيات الدالة على أن القرآن هو هذا الكتاب العربي كثيرة، ومن لم ينتفع بما قد ذكرنا منها لم ينتفع بزيادة عليها، لكنا نتحداهم بما تحدى الله تعالى به نظراءهم من الملحدين، فنقول: إن زعمتم أن هذا من كلام المخلوقين فأتوا بسورة مثله إن كنتم صادقين.

وإن زعمتم أنه مفترى من دون الله: ﴿ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: 13].

وأما بيان مخالفتهم لرسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ ما كان يعتقد قرآنًا سوى هذا القرآن، ولو اعتقد أن هذا ليس بقرآن، وأن القرآن سواه لبينه لأمته، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقته، ثم كيف يكتم مثل هذا الأمر العظيم وقد أمره الله تعالى بتبليغ رسالته، فقال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة: 67].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على أمته شفيقًا عليهم رؤوفًا بالمؤمنين رحيمًا عزيزًا عليه ما عنتهم، فكيف يكتم عنهم ما فيه رشدهم، ويتركهم على ضلالتهم، ويستر عنهم الحق والصواب، لا يرشدهم إليه(1)، ولا يدلهم عليه، ولا يذكر لهم قولًا في ذلك قليلًا ولا كثيرًا؟!.

هذا ما لا يعتقده مسلم، ثم وإن ساغ له كتمان ذلك، فكيف ساغ له أن يظهر أن القرآن هذا بتلاوته الآيات الدالة على ذلك، وبقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان: 30]، وغير هذا من الآيات؟! وقوله: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل

(1) في الأصل: «إليهم» وهو خطأ.

حرف عشر حسنات»، وقوله: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقرأونه ويقيمون حروفه إقامة السهم، لا يجاوز تراقيهم» وغير هذا من الأخبار مما يطول مما يدل على أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو السور والآيات والحروف والكلمات، أفتراه ﷺ أخبرهم أن القرآن هو هذا وهو يعلم أنه غير هذا، ليصدهم عن الصواب، ويعميهم عن الهدي، ويضلهم عن سبيل الله؟! كلا، بل قائل هذه المقالة، وسالك هذه الضلالة أعمى القلب، ضال عن القصد، وليس لمن ادعى هذا على رسول الله ﷺ في الإسلام نصيب، فإن الله سبحانه شهد لرسوله، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 67]، وقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: 1-4]. ومقتضى قول هذه الطائفة: أن رسول الله ﷺ أضل أمته بإخباره إياهم أن هذا القرآن هذا الكتاب العربي الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

وأما مخالفتهم للمسلمين، فإن المسلمين أجمعوا على أن القرآن أنزل على محمد ﷺ، وأجمعوا على أنه معجزه الدال على صدقه ونبوته، وأجمعوا على أن في القرآن ناسخًا ومنسوخًا، ومحكمًا ومتشابهًا، وقصصًا وأمثالًا، وهذه إنما هو هذا الكتاب.

ولما اختلف أهل السنة والمعتزلة في القرآن: هل هو قديم أو مخلوق؟ إنما اختلفوا في هذه السور والآيات لا غير.

وقد صرحوا بذكر سور القرآن وآياته وحروفه، فقال أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه» وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بحرف من القرآن، فقد كفر به كله».

وسمع ابن مسعود رجلًا يحلف بالقرآن، فقال: «أتراه مكفرًا؟ إن له بكل آية كفارة».

وقال: «من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف». وروي نحو ذلك عن ابن عمر.

وروي عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: «كنا نتعلم من ابن مسعود التشهد كما نتعلم حروف القرآن». وقال الحسن: «قرأ القرآن قوم فحفظوا حروفه، وضيعوا حدوده».

وذكر الأئمة من السلف عدد آيات القرآن وحروفه وكلماته، ولم يزل ذلك مستفيضًا مشهورًا بينهم، واتفقوا على أن من جحد آية من القرآن أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه فهو كافر وفي هذا الإجماع تسويد وجه كل مخالف.

وما علمنا مخالفًا في العصر الأول في أن هذا الكتاب قرآن حتى إن كفرة العرب سموه قرآنا فقالوا: ﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ ﴾ [يونس: 15]، وقالوا: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [سبأ: 31]، ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: 31]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ ﴾ [فصلت: 26]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان: 32].

والجن لما استمعوا القرآن، أنصتوا له، وآمنوا به، وسموه كتابًا وقرآنًا ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ﴾ [الجن: 1-2].

ومن العجب أن المخالف في هذه المسألة اجترأ على مخالفة رب العالمين ورسوله الصادق الأمين والجنة والناس أجمعين بغير حجة ولا شبهة، ولا استنباط آية، ولا

خبر، ولا قول صحابي ولا إمام مرضي، مع زعمه أنه مسلم يعتقد أن كلام الله حجة وكذلك سنة رسوله وإجماع أمته، ثم ترك ذلك كله، كأنه لم يسمع منه شيئًا، ولم يفقهه ولم يمر به، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 22-23].

والكفار الذين لا يؤمنون بالقرآن أقرب إلى العذر في جحدهم للقرآن من هؤلاء الذين يزعمون أنهم يؤمنون به ثم يتركونه بغير حجة. نسأل الله العافية.

فإن قال قائل: لا نسلم أننا خالفنا الإجماع، بل قولنا هو مقالة السلف.

قلنا: هاتوا أخبرونا من قال قبلكم: إن هذا القرآن عبارة وحكاية، وأن حقيقة القرآن معنى قائم في النفس، ليس فيه سورة ولا آية؟! ومن قال قبلكم: إنه ليس في المصحف إلا العفص[1] والزاج، لا فرق بينه وبين ديوان ابن الحجاج؟

من رد قبلكم على الله تعالى قسمه الذي وصفه بالعصمة، فقال في كتابه الذي أحكمه: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 75-80] ؟

من قال: إن القرآن العظيم غير الكتاب المبين والذكر الحكيم؟

أخبرونا: هل وجدتم هذه الضلالة وقبيح المقالة عند أحد من المتقدمين سوى قائدكم إلى الجحيم، الناكب بكم عن الصراط المستقيم، الذي لم يعرف له فضيلة في علم شرعي ولا دين مرضي، سوى علم الكلام المذموم المشؤوم الذي الخير فيه معدوم. نشأ في الاعتزال إلى أربعين عامًا يناظر عليه ويدعو الناس إليه، ثم أثمر ذلك مقالته هذه التي يرد بها على الله سبحانه وعلى نبيه ﷺ وخالف به

(1) في الصحاح 1045/ 3: والعفص: الذي يتخذ منه الحبر مولد وليس من كلام أهل البادية.

المسلمين والجنة والناس أجمعين، فكيف رضيتم به إمامًا عوضًا عن رسول الله ﷺ؟! وكيف قدمتم قوله على قول الله سبحانه؟!.

وكيف خالفتم إجماع المسلمين بمجرد قوله بلا حجة سوى مجرد تقليده والمصير إلى قوله؟!

وما عوض لنا منهاج جهم بمنهاج ابن آمنة الأمين

فلسان حالكم يقول: إن الحق ضاع عن رب العالمين ورسوله الصادق الأمين والصحابة والتابعين والجنة والناس أجمعين، حتى وجده قائدكم إلى الجحيم، فدعاكم إليه ونبهكم، فأجبتم مقاله، ورضيتم حاله، وقبلتم محاله، ونسبتم من لم يوافقكم على هذه الضلالة إلى الضلالة، ورميتموه بالجهالة.

وأهل السنة قبلوا قول ربهم ووصيته، واتبعوا رسول ربهم وسنته، وسلكوا سبيل سلفهم وطريقته ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 81-82] والله أعلم[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد كفَّر الله من جعل القرآن العربي قول البشر وقد جعله تارة قول رسول من البشر وتارة قول رسول من الملائكة فقال في موضع: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: 40-42]. فهذا الرسول محمد ﷺ، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 19-21]. فهذا جبريل فأضافه تارة إلى الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري. والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس.

(1) رسالة في القرآن وكلام الله، ص: 34 ـ 58.

وكان بعض هؤلاء ادعى أن القرآن العربي أحدثه جبريل أو محمد فقيل لهم: لو أحدثه أحدهما لم يجز إضافته إلى الآخر وهو سبحانه أضافه إلى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي فدل ذلك على أنه قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه بل قد كفَّر من قال إنه قول البشر اهـ[1].

قال الإمام هبة الله اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة، متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلما، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة اهـ[2].

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك من قال: إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس، وهو في المصاحف حكاية لما في اللوح المحفوظ، فهذا قول منكر، ينكره العلماء، يقال لقائل هذه المقالة: القرآن يكذبك، ويرد قولك، والسنة تكذبك وترد قولك، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6] فأخبر الله تعالى أنه إنما يسمع الناس كلام الله، ولم يقل: حكاية كلام الله، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:204] فأخبر أن السامع إنما يسمع القرآن، ولم

(1) مجموع الفتاوي: 50/ 12.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ص: 151.

يقل: حكاية القرآن. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: 29-30]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ ﴾ [الجن: 1-2]، ولم يقل يستمعون حكاية القرآن ولا قالت الجن: إنا سمعنا حكاية القرآن، كما قال من ابتدع بدعة ضلالة، وأتى بخلاف الكتاب والسنة وبخلاف قول المؤمنين[1].

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وإن الله عَزَّوَجَلَّ ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله عَزَّوَجَلَّ ذكره قال أبو عبد الله: «وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:22]. فليس لصفة الله ند، ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين» اهـ[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمقصود أنكم لم يمكنكم أن تقولوا ما قاله المسلمون، لأن حروف القرآن ونظمه ليس هو عندكم كلام الله، بل ذلك عندكم مخلوق، إما في الهواء، وإما في نفس جبرئيل، وإما في غير ذلك، فاتفقتم أنتم والمعتزلة على أن حروف القرآن ونظمه مخلوق، لكن هم قالوا ذلك كلام الله

---

(1) الشريعة 535 ـ 536/ 1.

(2) خلق أفعال العباد، ص: 91 ـ 92.

وقلتم أنتم: ليس كلام الله ومن قال منكم: إنه كلام الله انقطعت حجته على المعتزلة، فصارت المعتزلة خيرا منكم في هذا الموضع، وهذه الحروف والنظم الذي يقرؤه الناس هو حكاية تلك الحروف والنظم المخلوق عندكم، كما يقوله المعتزلة، وهي عبارة عن المعنى القائم بالذات، ولهذا كان ابن كلاب يقول: إن هذا القرآن حكاية عن المعنى القديم فخالفه الأشعري، لأن الحكاية تشبه المحكي وهذا حروف وذلك معنى، وقال الأشعري: بل هذا عبارة عن ذلك لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه، وكلا القولين خطأ.

فإن القرآن الذي نقرؤه فيه حروف مؤلفة وفيه معان، فنحن نتكلم بالحروف بألسنتنا ونعقل المعاني بقلوبنا، ونسبة المعاني القائمة بقلوبنا إلى المعنى القائم بذات الله كنسبة الحروف التي ننطق بها إلى الحروف المخلوقة عندكم.

فإن قلتم: إن هذا حكاية عن كلام الله لم يصح، لأن كلام الله معنى مجرد عندكم وهذا فيه حروف ومعان، وإن قلتم: إنه عبارة لم يصح، لأن العبارة هي اللفظ الذي يعبر به عن المعنى، وهنا حروف ومعان يعبر بها عن المعنى القديم عندكم.

وإن قلتم: هذه الحروف وحدها عبارة عن المعنى، بقيت المعاني القائمة بقلوبنا، وبقيت الحروف التي عبر بها أولا عن المعنى القائم بالذات التي هذه الحروف المنظومة نظيرها عندكم لم تدخلوها في كلام الله، فالمعتزلة في قولهم بالحكاية أسعد منكم في قولكم بالحكاية وبالعبارة.

وأصل هذا الخطأ أن المعتزلة قالوا: إن القرآن بل كل كلام هو مجرد الحروف والأصوات، وقلتم أنتم: بل هو مجرد المعاني، ومن المعلوم عند الأمم أن الكلام اسم للحروف والمعاني، للفظ والمعنى جميعًا كما أن اسم الإنسان اسم للروح والجسد، وإن سمي المعنى وحده حديثًا أو كلامًا أو الحروف وحدها حروفًا أو

كلامًا فعند التقييد والقرينة، وهذا مما استطالت المعتزلة عليكم به، حيث أخرجتم الحروف المؤلفة عن أن تكون من الكلام، فإن هذا مما أنكره عليكم الخاص والعام، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به**»(1).

قال له معاذ: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم؟**»(2) وشواهد هذا كثيرة.

---

(1) صحيح البخاري: (2528، 5269، 6664)، وصحيح مسلم: (127)، بنحوه.

(2) أخرجه أحمد: 344 ـ 345/ 36 عن عبد الرزاق عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ به، وعبدُ بن حميد: (112)، عن عبد الرزاق به. ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة 219/ 1 عن محمد بن يحيى عن عبد الرزاق به مختصرًا. والطبراني 130 ـ 131/ 20 عن الدبري عن عبد الرزاق به مطولًا.

وأخرجه الترمذي: (2616) عن ابن أبي عمر عن عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر به مطولًا. وابن ماجه: (3973) عن ابن أبي عمر به. والنسائي في الكبرى 214/ 10 عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر به مطولًا.

وأخرجه أحمد: 351 ـ 352/ 36 عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن عاصم عن شهر بن حوشب عن معاذ به مختصرًا.

وابن جرير في «التفسير» 182/ 20 عن أبي كريب عن يزيد بن حيان عن حماد به مختصرًا.

والطبراني 103/ 20 عن محمد بن محمد الجذوعي القاضي عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به مطولًا.

قال الدارقطني في العلل 79/ 6: وقول حماد بن سلمة أشبه بالصواب لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عنه فيه وأحسنها إسنادًا حديث عبد الحميد بن بهرام ومن تابعه عن شهر عن ابن غنم عن معاذ اهـ.

وأخرجه أحمد: 433 ـ 435/ 36 عن أبي النضر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن غنم عن معاذ به مطولًا.

والبزار: 11/ 7 عن يعقوب بن نصر الخزاز عن عبد الحميد به. والطبراني 63/ 20: عن محمد بن الفضل بن جابر السقطي عن سعيد بن سليمان ح وعن أبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي عن أبي الوليد الطيالسي عن عبد الحميد به مختصرًا. =

....

= وأخرجه أحمد 373/ 36: عن أبي المغيرة عن أبي بكر عن عطية بن قيس عن معاذ به بلفظ: (الجهاد عمود الإسلام وذروة سنامه).

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 287/ 10 عن: عبيدة بن حميد عن الحكم عن الأعمش عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به، قال: فذكره نحوه (رواية غندر عن شعبة).

قلت: كذا في المصنف، والصواب: عبيدة عن الأعمش عن الحكم عن ميمون كذا رواه الدارقطني في العلل: 76/ 6.

قال الدارقطني 74 ـ 75/ 6: واختُلف عن الأعمش فرواه عبيدة بن حميد عن الأعمش عن الحكم وحده عن ميمون عن معاذ وخالفه عبد الله بن إدريس وأبو إسحاق الفزاري فروياه عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب. ورواه جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن الحكم وحبيب عن ميمون عن معاذ فصح القولان عن الأعمش. وكذلك رواه فطر بن خليفة عن الحكم وحبيب أيضًا.

وأخرجه النسائي (2224) عن محمد بن إسماعيل بن سمرة عن المحاربي عن فطر عن حبيب بن أبي ثابت عن الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به مختصرا بلفظ: (الصوم جنة).

وأخرجه ـ أيضًا ـ (2225) عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سليمان عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون به مختصرًا بلفظ: (الصوم جنة).

وأخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» 220/ 1 عن: إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش عن الحكم بن عتيبة وحبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به مختصرًا.

وأخرجه الطبراني 143/ 20 عن: محمد بن إسحاق بن راهويه عن أبيه عن جرير ح وعن الحسين بن إسحاق التستري عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن الأعمش عن الحكم وحبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب به مطولًا.

وأخرجه الحاكم 412 ـ 413/ 2 عن أبي بكر محمد بن أحمد بن بالويه عن محمد بن أحمد بن النضر الأزدي عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش ح وعن أبي زكريا العنبري ـ واللفظ له ـ عن محمد بن عبد السلام عن إسحاق عن جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبي شبيب به مطولا، قال الحاكم: هذا لفظ حديث جرير، ولم يذكر أبو إسحاق الفزاري في حديثه: «الحكم بن عتيبة» هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه أحمد 361/ 36 عن روح عن شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة عن معاذ به، قال: مثل حديث معمر عن عاصم، قال الحكم: وسمعته من ميمون بن أبي شبيب.

والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (472) عن عبد الله بن أيوب المخرمي عن روح به، قال شعبة: فقال الحكم: فقلت له: أسمعته عن معاذ؟ قال: لم أسمعه منه وقد أدركته. =

....

= وأخرجه الطبراني 20/ 147 عن عثمان بن عمر الضبي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة عن معاذ به مطولًا.

والبيهقي في الشعب 6/ 93 عن أبي الحسن بن محمد المقرئ عن الحسن بن محمد بن إسحاق عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق به مطولًا.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة ـ كما في بغية الباحث 1/ 157 ـ عن أبي النضر عن شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة التميمي عن معاذ به.

وأخرجه البيهقي في الشعب 4/ 299 عن ابن فورك عن عبد الله بن جعفر الأصبهاني عن يونس بن حبيب عن أبي داود عن شعبة عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة عن معاذ به مطولًا.

وأخرجه ـ أيضًا ـ في الشعب 5/ 50 عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق عن أبي بكر أحمد بن سلمان (النجاد) عن عبد الملك بن محمد (أبي قلابة الرقاشي) عن أبي زيد (سعيد بن الربيع) عن شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة به مطولًا.

وأخرجه أحمد 36/ 387 ـ 388 عن محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال عن معاذ به.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 10/ 287 عن غندر به مختصرًا.

وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام (1681) عن بندار عن غندر به مطولًا.

وأخرجه النسائي (2226) عن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار عن محمد بن جعفر به مختصرًا بلفظ: (الصوم جنة)، ثم أخرجه (2227) عن إبراهيم بن الحسن عن حجاج عن شعبة قال لي الحكم: سمعته منذ أربعين سنة ثم قال الحكم: وحدثني به ميمون بن أبي شبيب.

وأخرجه النسائي ـ أيضًا ـ في الإغراب (93) عن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار عن غندر به مطولًا، وقال: عروة بن النزال لا نعلمه سمع من معاذ اهـ.

وأخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» ـ كما في مختصره للمقريزي ص: 30 ـ عن بندار به مختصرًا.

وقال الطبراني 20/ 127 ـ 128: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا طاهر بن أحمد الموسري ثنا أبي ثنا أبو معاوية عمرو بن عبد الله النخعي ثنا أبو عمرو الشيباني عن معاذ به مقتصرا على موضع الشاهد منه.

قلت: كذا وقع في المطبوعة: «طاهر بن أحمد الموسري»، وقد صوبه الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع في تعليقه على الرسالة المغنية، ص 27: «طاهر بن أبي أحمد الزبيري» ووصف ما في مطبوعة المعجم الكبير بأنه: «خطأ وتحريف».

قلت: وهو كما قال، فإن محمد بن عثمان بن أبي شيبة يروي عن طاهر بن أبي أحمد الزبيري عن أبيه كما نص عليه الذهبي في تاريخ الإسلام 5/ 843. =

ثم إنكم جعلتم معاني القرآن معنى واحدًا مفردًا، هو الأمر بكل ما أمر الله به، والخبر عن كل ما أخبر الله به، وهذا مما اشتد إنكار العقلاء عليكم فيه، وقالوا: إن هذا من السفسطة المخالفة لصرائح المعقول، وأنتم تنكرون على من يقول: إن الله يتكلم بحروف وأصوات قديمة أزلية، ومعلوم أن ما قلتموه أبعد عن العقل والشرع من هذا، وإن كان العقلاء قد أنكروا هذا أيضًا لكن قولكم أشد نكرة، بل قولكم أبعد من قول النصارى الذين يقولون باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ثم أعجب من هذا أنكم تقولون: إن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وبالعبرية كان هو التوراة، وبالسريانية كان هو الإنجيل، ومن

= وقال البزار 89 ـ 90/ 7: حدثنا أحمد بن منصور بن سيار قال: أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا عمرو بن عبد الله به.

وقال ابن البناء في الرسالة المغنية (5): أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن رزقويه البزاز أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي به.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة ـ وقد ذكر هذا الحديث (3284) من جهة الطبراني وابن البناء ـ: إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمرو بن عبد الله النخعي وهو ثقة اتفاقًا ... اهـ.

وقال الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع في تعليقه على الرسالة المغنية: إسناد صحيح متصل رجاله جميعًا ثقات وأبو عمرو الشيباني اسمه: سعد بن إياس قديم أدرك زمن النبي ﷺ وروى عن الكبار من الصحابة اهـ.

قلت: ينظر: هل ثبت سماع أبي عمرو الشيباني من معاذ فقد كان معاذ باليمن والشيباني بالكوفة.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم 792/ 2: لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ، وإن كان قد أدركه بالسن وكان معاذ بالشام، وأبو وائل بالكوفة، وما زال الأئمة ـ كأحمد وغيره ـ يستدلون على انتفاء السماع بمثل هذا، وقد قال أبو حاتم الرازي في سماع أبي وائل من أبي الدرداء: قد أدركه، وكان بالكوفة وأبو الدرداء بالشام، يعني: أنه لم يصح له سماع منه. وقد حكى أبو زرعة الدمشقي عن قوم أنهم توقفوا في سماع أبي وائل من عمر، أو نفوه، فسماعه من معاذ أبعد ـ إلى أن قال ـ: رواية شهر عن معاذ مرسلة يقينا، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، وقد خرجه الإمام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وخرجه الإمام أحمد أيضًا من رواية عروة بن النزال أو النزال بن عروة، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة.

المعلوم بالاضطرار لكل عاقل أن التوراة إذا عربت لم تكن معانيها معاني القرآن، وإن القرآن إذا ترجم بالعبرية لم تكن معانيه معاني التوراة، ثم إن منكم من جعل ذلك المعنى يسمع ومنكم من قال: لا يسمع، وجعلتم تكليم الله لموسى من جنس الإلهام الذي يلهمه غيره، حيث قلتم: خلق في نفسه لطيفة أدرك بها الكلام القائم بالذات، وقد قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 163-164]، ففرق سبحانه بين إيحائه إلى غير موسى، وبين تكليمه لموسى.

وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: 51]، ففرق بين إيحائه، وبين تكليمه من وراء حجاب.

والأحاديث متواترة عن النبي ﷺ بتخصيص موسى بتكليم الله إياه دون إبراهيم وعيسى ونحوهما، وعلى قولكم لا فرق، بل قد زعم مَن زعم من أئمتكم أن الواحد من غير الأنبياء يسمع كلام الله كما سمعه موسى بنُ عمران، فمن حصل له إلهام في قلبه جعلتموه قد كلمه الله كما كلم موسى بنَ عمران، ومعلوم أن المعتزلة لم يصلوا في الإلحاد إلى هذا الحد، بل من قال: إن الله خص موسى بأن خلق كلاما في الهواء سمعه كان أقل بدعة ممن زعم أنه لم يكلمه إلّا بأن أفهمه معنى أراده، بل هذا قريب إلى قول المتفلسفة الذين يقولون: ليس لله كلام إلّا ما في النفوس، وإنه كلم موسى من سماء عقله، لكن يفارقونها بإثبات المعنى القديم القائم بذات الله.

وأيضًا فجعلتم ثبوت القرآن في المصاحف مثل ثبوت الله فيها وقلتم: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 77-78] بمنزلة قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]، ومعلوم أن المذكور في التوراة هو اسمه، وأن الله إنما يُكتَب في المصحف اسمُه، فأسماؤه بمنزلة كلامه، لا أن ذاته بمنزلة كلامه، والشيء لوجوده أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، فالأعيان لها المرتبة الأولى، ثم يعلم بالقلوب، ثم يعبر عنها باللفظ، ثم يكتب اللفظ، وأما الكلام فله المرتبة الثالثة وهو الذي يكتب في المصحف، فأين قول القائل: إن الكلام في الكتاب من قوله: إن المتكلم في الكتاب، وبينهما من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق[1]، ثم إن منكم من احتج بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40]، [التكوير: 19]، وجعل المراد بذلك العبارة، وهذا مع أنه متناقض فهو أفسد من قول المعتزلة، فإنه إن كان أضيف إلى رسول الله ﷺ لأنه أحدث حروفه، فقد أضافه في موضع إلى رسول هو جبرئيل، وفي موضع إلى رسول هو محمد، قال في موضع: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 19-20]، وقال في موضع: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 40-41].

ومعلوم أن عبارتها إن أحدثها جبريل لم يكن محمد أحدثها وإن أحدثها محمد لم يكن جبريل أحدثها، فبطل قولكم، وعلم أنه إنما أضافه إلى الرسول لكونه بلغه وأداه، لا أنه أحدثه وابتدأه، ولهذا قال: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ ولم يقل: لقول ملك ولا نبي، فذكَر اسمَ الرسول المشعر بأنه بلغ عن غيره، كما قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 67].

---

(1) الفرق موضع المفرق من الرأس وفرق الرأس ما بين الجبين إلى الدائرة كما في لسان العرب: 301/ 10.

وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم ويقول: **«ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي»**[1].

ومعلوم أن المعتزلة لا تقول: إن شيئًا من القرآن أحدثه لا جبرئيل ولا محمد، ولكن يقولون: إن تلاوتهما له كتلاوتنا له.

وإن قلتم: أضافه إلى أحدهما لكونه تلاه بحركاته وأصواته، فيجب أن يكون القرآن قولا لكل من تكلم به من مسلم وكافر وطاهر وجنب حتى إذا قرأه الكافر يكون القرآن قولا له على قولكم، فقوله بعد هذا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ كلام لا فائدة فيه، إذ هو على أصلكم قول رسول كريم، وقول فاجر لئيم، وكذلك المعتزلة احتجت بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: 2]، وقالوا: إن الله أحدثه في الهواء، فاحتج من احتج منكم على أن القرآن المنزل محدث، ولكن زاد على الفلاسفة بأن المحدث له إما جبرئيل أو محمد.

وإن قلتم: إنه محدث في الهواء صرتم كالمعتزلة، ونقضتم استدلالكم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وقد استدل من استدل من أئمتكم على قولكم بهاتين الآيتين بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، فإن أراد بذلك أن الله أحدثه بطل استدلاله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، فإن أراد بذلك أن

(1) أخرجه: أحمد 370 ـ 371/ 23، وأبو داود: (4734)، والترمذي: (2925) ـ واللفظ له ـ والنسائي في الكبرى: 152/ 7، وابن ماجه: (201)، والحاكم: 114 ـ 115/ 5 من طريق إسرائيل قال: أخبرنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فقال: **«ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»**. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

تنبيه: لم أقف على اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الرسول أحدثه بطل بإضافته إلى الرسول الآخر، وكنتم شرًا من المعتزلة الذين قالوا: أحدثه الله.

وإن قلتم: أراد بذلك أن من تلاه فقد أحدثه، فقد جعلتموه قولا لكل من تكلم به من الناس، برهم وفاجرهم، وكان ما يقرؤه المسلمون ويسمعونه كلام الناس عندكم لا كلام الله، ثم إن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: 101-102] فأخبر أن جبرئيل نزله من الله، لا من هواء ولا من لوح.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:114]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: 1]، [الجاثية: 2]، [الأحقاف: 2]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: 1-2].

وأنتم وافقتم المعتزلة بحيث يمتنع أن يكون عندكم منزلًا من الله، لأن الله ليس فوق العالم، ولو كان فوق العالم لم يكن القرآن منزلًا منه، بل من الهواء. انتهى[1].

(والله بالصوت يكلم غدا) كما في حديث: «**فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...**»، الحديث[2].

قوله: (فينادِي) أي: الله، فالفاعل هو الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله: (بصوت) هذا من باب التأكيد لأن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع. قاله ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

---

(1) التسعينية: 966 ـ 974/ 3.

(2) صحيح البخاري: (4741)، وصحيح مسلم: (222)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

(3) شرح العقيدة الواسطية: 34 ـ 35/ 2.

وقال الإمام قِوَام السنة إسماعيل بن محمد التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت[1].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

أيصح في عقل وفي نقل ندا ... ء ليس مسموعًا لنا بأذان

أم أجمع العلماء والعقلاء من ... أهل اللسان وأهل كل لسان

أن الندا الصوتُ الرفيع وضده ... فهو النجاء كلاهما صوتان

والله موصوف بذاك حقيقة ... هذا الحديث ومحكم القرآن

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلا تَقُلْ ذَا الصَّوْتُ عَنْ تَمَوُّجِ ... هَوَاءٍ او تَخَلْخُلٍ فِيهِ يَجِي

أو حَرْفُهُ كَيفِيَّةٌ تحدُثُ لَهْ ... بِالضَّغطِ جَلَّ اللهُ أنْ نُمَثِّلَهْ

بِقَارِئٍ فِي صَوْتِهِ أوْ حَرفِهِ ... كُلٌّ، وَمَا لاقَ بِهِ مِنْ وَصْفِهِ

فَنَحنُ حِينَ نُنْشِدُ الآنَ: قِفَا ... نَبْكِ وَقَدْ أَوْدَى بِمُنْشِيهَا العَفَا

لَسْنا بِمُجْتَرِّيْ هَواءٍ نَفَثَهْ ... أو مُحْدِثِينَ عَينَ مَا قَدْ أحْدَثَهْ

بِالضَّغْطِ مِنْ كَيفيَّةٍ إذْ صَرَّفَهْ ... مَا بَيْنَ حَلْقٍ وَلَهَاةٍ وَشَفَهْ

الشرح: (**ولا تقل**) أيها السني (**ذا الصوت**) الذي كنا نتحدث عن إثباته في كلام الباري سبحانه وتعالى ناتج وحاصل (**عن تَمَوُّج**) أي: اضطراب (**هواء أو**) بنقل حركة الهمز (**تخلخل**) خلخل الشيء جعله غير متضام (**فيه**) يعني في الله (**يجي**) تعالى الله عن ذلك (**أو**) أي: ولا تقل (**حرفه**) أي: الحرف في كلام الباري

(1) الحجة في بيان المحجة: 1/431.

(2) الكافية الشافية، ص: (75 ـ 76).

جل وعلا إنما هو: (**كيفية تحدث له**) سبحانه وتعالى (**بالضغط**) على الهواء كما هو الحال في المخلوق (**جل الله**) وتقدس وتعالى (**أن نمثله بقارئ في صوته أوحرفه**) كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

(**كل**) من الخالق والمخلوق (**وما لاقَ به من وصفه**) فلله سبحانه وتعالى صفاته اللائقة بكماله وجلاله وللمخلوق صفاته اللائقة به، ولا يخطر التمثيل بقلب مسلم أصلًا.

ثم أراد المصنف أن يستدل على أن الكلام إنما يضاف إلى من قاله ابتداء لا إلى من قرأه أو حكاه، فقال: (**فنحن حين ننشد الآن**) قول امرئ القيس في معلقته: (**قفا نبك**) من ذكرى حبيب ومنزل ... (**وقد أودى**) أي: ذهب (**بمنشيها**) أي: الذي أنشأها أوَّلا، وقوله: (**منشيها**) بالتخفيف بالإبدال وإن كان القياس هنا التسهيل، قاله المصنف.

(**العفا**) بالمد وقُصر للوزن، المراد به هنا: الهلاك (**لسنا بمجتري هواء ...**) أي: أننا لا نجترُّ الهواء الذي نفثه امرؤ القيس لما أنشأ هذه القصيدة ولسنا محدثين بالضغط للهواء عين ما أحدثه هو بل إذا قلنا: قفا نبك... فإنما نحن حاكون كلامه فقط، لأن الكلام إنما يضاف لقائله ابتداء.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا تَــضرِبُوا للهِ الامثَــالَ، وَلا	تُـصْغُوا لِمَـنْ مَثَّـلَ أوْ مَـنْ عَطَّـلا
كَلَّـمَ مُوسَـى بِكَلامِـهِ، اتَّـخَذْ	خَلِـيلًا إبـرَاهِيمَ، مَـنْ أوَّلَ شَـذْ
فـاللهُ لَمْ يَـسْكُتْ عَـلَى مَـا أَوْهَمَـا	حُـدُوثًا أو نَقْـصًا لَـهُ بَـلْ أفهمَـا
مُـرَادَهُ بِقَولِـهِ: مَرِضْـتُ	فَلَـمْ تَعُـدْنِيْ وَكَـذَا فِي (جُعْـتُ)

الشرح: (لا تضربوا لله الامثال) بنقل حركة الهمز كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 74]، أي: لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالًا[1].

(ولا تصغوا لمن مثل) صفات ربه بصفات المخلوقين **(أومن عطلا)** الألف للإطلاق، فينبغي لطالب الحق أن يصون سمعه عن وساوس المعطلة والممثلة.

(كلم موسى بكلامه) على الحقيقة لا على المجاز قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: 164]، جاء بالمصدر: «تكليمًا» ـ والله أعلم ـ للتوكيد ودفع ما قد يتوهم من المجاز، قال النحاس: أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازًا فإذا قال: تكليمًا وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة التي تعقل[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: 143]، وقال تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: 144].

(اتخذ خليلا إبراهيم) بنقل حركة الهمز، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125]، وكذلك اتخذ نبيَّنا وحبيبَنا ﷺ خليلًا كما ثبت في صحيح مسلم من طريق زكرياء بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث النجراني قال: حدثني جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت**

(1) عمدة التفسير: 390/ 2.

(2) فتح الباري: 479/ 13.

متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[1].

(مَن أولَ) شيئًا من الصفات بلا دليل من كتاب أوسنة (**شذَّ**) عن المنهج الصحيح والطريق المستقيم، قال بعض العلماء: لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: 3] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله: «**ليبلغ الشاهد الغائب**» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها[2] ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: 11] فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم. اهـ كلامه[3].

وقد ألف العلامة شيخ الإسلام أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب: «ذم التأويل» وهو مصنَّف حسن.

(**فالله لم يسكت على ما أوهما حدوثا أو**) بنقل حركة الهمز (**نقصا له**) سبحانه وتعالى (**بل أفهما**) الألف للإطلاق (**مراده**) بذلك كقوله في الحديث القدسي: «يا

---

(1) صحيح مسلم: (532).

(2) القول بتفويض المعنى باطل جدا، والمعروفُ المحفوظ عن السلف تفويض الكيفية لا تفويض المعنى.

(3) فتح الباري: 390/ 13.

ابن آدم مرضت فلم تعدني» فإنه بيَّن ذلك فقال: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»[1].

(وكذا في جعت) لم أقف على هذا اللفظ في الحديث[2]، وإنما فيه: «يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟» فقد بيَّن مراده باستطعامه.

قال المصنف:

أسمَاؤُهُ الحُسنَى عَلَى الصِّفَاتِ ... دَلَّتْ، فَذَلَّتْ أوجُهُ النُّفَاةِ

الشرح: (أسماؤه الحسنى) تأنيث الأحسن، كالرحمن والرحيم والعدل واللطيف والخبير والبصير (على) إثبات (الصفات) له سبحانه (دلت) فالأسماء المذكورة دالة على: الرحمة والعدل واللطف والبصر والعلم (فذلت أوجه النُّفاة) لحقائق الأسماء والصفات، كما يقوله بعض طوائف الضلال: بصير بلا بصر عليم بلا علم جل الله عن إفكهم وتقدس عن هذيانهم وتعالى عن سخفهم.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصل

فهذه دلالة على توحيد الأسماء والصفات.

وأما دلالة الأسماء الخمسة عليها، وهي «الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك» فمبني على أصلين:

---

(1) أخرجه مسلم: (2569).

(2) قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لوائح الأنوار السنية 1/ 316: (في الصحيح مفسرًا يقول الله: عبدي جعت فلم تطعمني ...). قلت: لم أقف على ذلك لا في الصحيح ولا في غيره والله أعلم.

أحدهما: أن أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللَّهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللَّهم أعطني، فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك.

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180]. ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: 58]. فعلم أن القوي من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة، وكذلك قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: 10]. فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويًا ولا عزيزًا، وكذلك قوله: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾ [النساء: 166]، ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: 14]، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: 255].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» فأثبت المصدر الذي اشتق منه اسمه البصير.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات**».

وفي الصحيح حديث الاستخارة: «**اللّٰهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**» فهو قادر بقدرة.

وقال تعالى لموسى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: 144]، فهو متكلم بكلام.

وهو العظيم الذي له العظمة كما في الصحيح عنه ﷺ: «**يقول الله تعالى: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي**».

وهو الحكيم الذي له الحكم: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12].

وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله، أو سمعه، أو بصره، أو قوته، أو عزته أو عظمته انعقدت يمينه، وكانت مكفرة(1)، لأن هذه صفاتُ كماله التي اشتقت منها أسماؤه.

وأيضًا لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويرى، ويعلم ويقدر ويريد، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها.

وأيضًا فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها، وهذا مكابرة صريحة، وبهت بيّن، فإن من جعل معنى اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير، ومعنى اسم التواب هو معنى اسم المنتقم، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع فقد كابر العقل واللغة

---

(1) قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المحلى 8/45: وأما اليمين بعظمة الله وإرادته وكرمه وحلمه وحكمته وسائر ما لم يأت به نص فليس شيء من ذلك يمينًا لأنه لم يأت بها نص فلا يجوز القول بها.

والفطرة، فنفيُ معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها، والإلحاد فيها أنواع: هذا أحدها.

الثاني: تسمية الأوثان بها، كما يسمونها آلهة، وقال ابن عباس ومجاهد: عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وروي عن ابن عباس: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: 180] «يكذبون عليه». وهذا تفسير بالمعنى.

وحقيقة الإلحاد فيها: العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها، هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب، أو هو غاية الملحد في أسمائه تعالى، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها، وخرج بها عن حقائقها، أو بعضها، فقد عدل بها عن الصواب والحق، وهو حقيقة الإلحاد.

فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة، وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات المصنوعات، كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون، محمودها ومذمومها، حتى قال زعيمهم: وهو المسمى بكل اسم ممدوح عقلًا، وشرعًا وعرفًا، وبكل اسم مذموم عقلا وشرعا وعرفا، تعالى الله عما يقول الملحدون علوًا كبيرًا.

فصل

الأصل الثاني: أن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة،

وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته، ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه، ومن هاهنا يقع اختلافهم في كثير من الأسماء والصفات والأحكام، فإن من علم أن الفعل الاختياري لازم للحياة، وأن السمع والبصر لازم للحياة الكاملة، وأن سائر الكمال من لوازم الحياة الكاملة أثبت من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ما ينكره من لم يعرف لزوم ذلك، ولا عرف حقيقة الحياة ولوازمها، وكذلك سائر صفاته.

فإن اسم العظيم له لوازم ينكرها من لم يعرف عظمة الله ولوازمها، وكذلك اسم العلي، واسم الحكيم وسائر أسمائه، فإن من لوازم اسم العلي العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي.

وكذلك اسمه الظاهر من لوازمه: أن لا يكون فوقه شيء، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**» بل هو سبحانه فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو مَن له فوقية القدر فقط، كما يقال: الذهب فوق الفضة، والجوهر فوق الزجاج؛ لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور، بل قد يكون المفوق أظهر من الفائق فيها، ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط، وإن كان سبحانه ظاهرًا بالقهر والغلبة، لمقابلة الاسم بـ: «الباطن» وهو الذي ليس دونه شيء، كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء، بـ: «الآخر» الذي ليس بعده شيء.

وكذلك اسم «الحكيم» من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضعه الأشياء في موضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه، فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى.

فصل

إذا تقرر هذان الأصلان، فاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180].

ويقال: الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعلم أن اسمه «الله» مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيتُه وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال: أخص باسم الله.

وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب.

وصفات الإحسان، والجود والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف أخص باسم الرحمن، وكرر إيذانا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته.

فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم الراحم لعباده، ولهذا يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: 43]، ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 117].

ولم يجئ: رحمن بعباده، ولا رحمن بالمؤمنين، مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به.

ألا ترى أنهم يقولون: غضبان، للممتلئ غضبًا، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: 59]. فاستوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأعراف: 156]. فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي لفظ: «**فهو عنده على العرش**».

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 5]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: 59]. ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم.

وصفات العدل، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها أخص باسم الملك وخصه بيوم

الدين، وهو الجزاء بالعدل، لتفرده بالحكم فيه وحده، ولأنه اليوم الحق، وما قبله كساعة، ولأنه الغاية، وأيام الدنيا مراحل إليه[1].

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[2].

وقال مسلم: حدثنا عمرو الناقد، وزهير بن حرب، وابن أبي عمر، جميعًا عن سفيان ـ واللفظ لعمرو ـ حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**لله تسعة وتسعون اسمًا، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر، يحب الوتر**» وفي رواية ابن أبي عمر: «**من أحصاها**»[3].

قال الترمذي: حدثنا إبراهيم بن يعقوب قال: حدثني صفوان بن صالح، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما، مائة غير واحدة، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد،**

(1) مدارج السالكين: 30 ـ 35/ 1.

(2) صحيح البخاري: (2736).

(3) صحيح مسلم: (2677).

الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور».

هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح[1]، وهو ثقة عند أهل الحديث.

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح[2].

وقال الحاكم: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العبدي، ثنا موسى بن أيوب النصيبي، وحدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أنبأنا محمد بن أحمد بن الوليد الكرابيسي، ثنا صفوان بن صالح الدمشقي، قالا: حدثنا الوليد بن مسلم به وقال: هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره، وليس هذا

---

(1) تابعه: موسى بن أيوب النصيبي عند الحاكم: 1/16، وأبو عامر موسى بن عامر بن عمارة المري الخريمي الدمشقي عند أبي نعيم في جزئه: (18).

(2) الجامع الكبير: 486 ـ 487/ 5.

بعلة فإني لا أعلم اختلافًا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب، ثم نظرنا فوجدنا الحديث قد رواه عبد العزيز بن الحصين عن أيوب السختياني وهشام بن حسان جميعا، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بطوله حدثناه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، بهمدان، ثنا الأمير أبو الهيثم خالد بن أحمد الذهلي، بهمدان، ثنا أبو أسد عبد الله بن محمد البلخي، ثنا خالد بن مخلد القطواني، حدثناه محمد بن صالح بن هانئ، وأبو بكر بن عبد الله، قالا: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أحمد بن سفيان النسائي، ثنا خالد بن مخلد، ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان، ثنا أيوب السختياني، وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة: الله، الرحمن، الرحيم، الإله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنان، المنان، البديع، الودود، الغفور، الشكور، المجيد، المبدئ، المعيد، النور، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الغفار، الوهاب، القادر، الأحد، الصمد، الكافي، الباقي، الوكيل، المجيد، المغيث، الدائم، المتعال، ذو الجلال والإكرام، المولى، النصير، الحق، المبين، الباعث، المجيب، المحيي، المميت، الجميل، الصادق، الحفيظ، الكبير، القريب، الرقيب، الفتاح، التواب، القديم، الوتر، الفاطر، الرزاق، العلام، العلي، العظيم، الغني، المليك، المقتدر، الأكرم، الرءوف، المدبر، المالك، القدير، الهادي، الشاكر، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذو الطول، ذو المعارج، ذو الفضل، الخلاق، الكفيل، الجليل، الكريم**».

هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مختصرًا دون ذكر الأسامي الزائدة فيها، كلها في القرآن، وعبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة[1]، وإن لم يخرجاه، وإنما جعلته شاهدًا للحديث الأول[2].

قلت: قال أبو بكر الإسماعيلي: وأخبرنيه ابن زيدان حدثنا الحسن بن سفيان ولم يذكر الأسامي[3].

قال أبو جعفر العقيلي: حدثنا أحمد بن داود، قال: حدثنا محمد بن العلاء، أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، عن عبد العزيز بن الحصين، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»، وسمى الأحرف في الحديث. ولا يتابع عليهما[4] جميعًا، وكلا الحديثين فيهما رواية من غير هذا الوجه، فيها لين واضطراب، فأما الرواية في تسعة وتسعين اسمًا مجملة فأسانيد جياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[5].

قال أبو بكر البزار: حدثناه محمد بن عمارة وحميد بن الربيع قالا حدثنا خالد بن مخلد حدثنا عبد العزيز بن الحصين عن أيوب وهشام عن محمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[6].

---

(1) قال الذهبي في التلخيص 17/ 1: بل ضعفوه.

(2) المستدرك: 237 ـ 240/ 1.

(3) معجم شيوخ الإسماعيلي، ص: 120.

(4) يعني: هذا الحديث وحديثه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قرأ: «**مالك يوم الدين**».

(5) الضعفاء: 502 ـ 503/ 2.

(6) البحر الزخار: 203/ 17.

قال ابن ماجه: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الملك بن محمد الصنعاني، حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئةً إلا واحدًا؛ إنه وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعالي، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المانع، المحيي، المميت، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد**»[1].

قلت: وهذا إسناد ضعيف له ثلاث علل:

1- تغير هشام بن عمار.

2- ضعف عبد الملك.

3- ضعف رواية الشاميين عن زهير وهذه منها.

---

(1) سنن ابن ماجه: (3861).

قال ابن عساكر: أخبرنا أبو محمد الأكفاني حدثنا عبد العزيز الكتاني أنبأنا تمام بن محمد وعبد الوهاب الميداني وأبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين الدوري قالوا: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مروان[1] حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم حدثني جدي محمد بن عبد الله بن بكار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا لأنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة**»[2].

قلت: إسناد ضعيف رواية الشاميين عن زهير ضعيفة.

قال ابن القيم: الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» صحيح على الراجح[3]،

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان القرشي كما في تهذيب الكمال: 1/254.

(2) تاريخ دمشق: 330/ 53.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: 53/ 10، وأحمد: 246 ـ 247/ 6، وأبو يعلى: 198 ـ 199/ 9، وابن حبان: (972)، والطبراني: 209 ـ 210/ 10، والحاكم: 509 ـ 510/ 1، كلهم من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ... فذكره.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه اهـ. قلت: إسناده ضعيف، قال الذهبي في التلخيص: أبو سلمة الجهني لا يدرى من هو ولا رواية له في الكتب الستة.
وقال الدارقطني في العلل 201/ 5: وإسناده ليس بالقوي.
وأخرجه البزار 363/ 5 من طريق محمد بن صالح الثقفي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود به. =

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به

= قلت: محمد بن صالح هو البطيخي الواسطي أبو إسماعيل مولى ثقيف ترجمه ابن أبي حاتم 288/ 7 ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وترجمه ابن حبان في الثقات 55/ 9 وذكر أنه يروي عن عبد الرحمن بن إسحاق.
وأخرجه أبو يعلى الموصلي ـ كما في إتحاف الخيرة المهرة: (6235) ـ عن محمد بن منهال أخي حجاج عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق به.
وقال ابن السني: (340): حدثنا أبو خليفة ثنا الحجبي ثنا عبد الواحد بن زياد ح وأنا أبو يعلى وسليمان بن الحسن قالا: ثنا محمد بن المنهال ثنا عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود به.
قال صاحب عجالة الراغب المتمني ص: 391: عبد الرحمن بن إسحاق وهو أبو شيبة ... وقد اضطرب فيه فأحيانًا يقول: عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود وهذا منقطع كما عند المصنف وأبي يعلى .. اهـ.
قلت: رواه أبو يعلى بإثبات: «عن أبيه» فالظاهر أنه سقط من كتاب ابن السني سهوا والله أعلم.
وأخرجه محمد بن فضيل بن غزوان الضبي في «كتاب الدعاء»: (6) عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود به بإسقاط «عن أبيه»، ومن طريق ابن فضيل أسنده الرافعي في التدوين: 337 ـ 338/ 2. فالظاهر أن عبد الرحمن بن إسحاق ـ وهو متروك ـ لم يضبطه.
ورواه هشام بن عمار في حديثه: (18) عن سعيد بن يحيى اللخمي عن عبيد الله بن أبي حميد عن أبي مليح عن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي عن القاسم عن ابن مسعود قال: من خشي أن ينسى القرآن فليقل: اللّٰهم نور بالكتاب بصري وأطلق به لساني واشرح به صدري واستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك وقال رسول الله ﷺ: «**من أصابه هم ...** » به.
قلت: ابن أبي حميد ترك الناس حديثه كما قال الإمام أحمد (الجرح والتعديل: 313/ 5).
وللحديث شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه ابن السني: (339) : أخبرنا أبو عروبة ثنا عمرو بن هشام ثنا مخلد بن يزيد عن جعفر بن برقان عن فياض عن عبد الله بن زبيد عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : ... فذكره.
وقال الطبراني ـ كما في نتائج الأفكار 97 ـ 98/ 4 ـ : حدثنا أحمد بن علي الجارودي قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا علي بن ثابت الجزري عن جعفر بن برقان عن فياض الكوفي عن عبيد الله بن زبيد عن أبي موسى به.
قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في نتائج الأفكار 98/ 4: حديث غريب أخرجه ابن السني من رواية مخلد بن يزيد الحراني عن جعفر بن برقان وهو بضم الموحدة وسكون الراء بعدها قاف وشيخه مجهول وكذا شيخ شيخه ووقع في روايتنا عبيد الله بالتصغير وأبوه زبيد بالزاي والموحدة وآخره دال وفي النسخة التي وقفت عليها من كتاب ابن السني عبد الله مكبر وزبير آخره راء اهـ.

في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: «**استأثرت به**» أي: انفردت بعلمه وليس المراد انفراده بالتسمي به لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه، ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن**» (رواه البخاري ومسلم).

وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته، ومنه قوله: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» (رواه مسلم وأبو داود وغيرهما).

وأما قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» (رواه البخاري ومسلم) فالكلام جملة واحدة وقوله: «**ومن أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبر مستقبل والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك وقد أعدهم للجهاد فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد وهذا لا خلاف بين العلماء فيه[1].

قلت: قوله: «وهذا لا خلاف بين العلماء فيه» غير صحيح بل الخلاف ثابت في ذلك وابن القيم نفسه نقل ذلك في شفاء العليل فقال: وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد[2].

قال ابن حزم: وأن له عَزَّوَجَلَّ تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد، وهى أسماؤه الحسنى، من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه، وهى الأسماء المذكورة في القرآن والسنة.

---

(1) بدائع الفوائد: 293 ـ 294/ 1.

(2) شفاء العليل، ص: 277.

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا أحمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى ثنا أحمد بن محمد ثنا أحمد بن علي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن رافع ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب وهمام بن منبه قال أيوب: عن ابن سيرين عن أبي هريرة وقال همام: عن أبي هريرة ـ ثم اتفقا ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**» زاد همام في حديثه: «**إنه وتر يحب الوتر**».

وقد صح أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد لأنه ﷺ قال: «**مائة غير واحد**» فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله ﷺ: «**مائة غير واحد**» كذبًا ومن أجاز هذا فهو كافر.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحشر: 23-24].

وقد تقصينا كثيرًا منها بالأسانيد الصحاح في كتاب الإيصال والحمد لله رب العالمين(1).

وقال أيضًا: وصح أن أسماءه لا تزيد على تسعة وتسعين شيئًا لقوله ﷺ: «**مائة إلا واحدًا**» فنفى الزيادة وأبطلها لكن يخبر عنه بما يفعل تعالى، وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين أسماء مضطربة لا يصح منها شيء أصلًا، فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى

(1) المحلى: 30/1.

ما نذكر وهى: «الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، مقتدر، الباري، العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رءوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر»[1].

قال المصنف:

فَـأَثْبِتُوا مِـنْ وَصْـفِهِ مَـا الـسَّلَفُ ... أَثْبَـتَ وَانْفُـوا مَـا نَفَـى، ثُـمَّ قِفُـوا

الشرح: (فأثبتوا) أيها السنيون (من وصفه) أي: صفاته سبحانه وتعالى (ما السلف) من الصحابة والتابعين وسائر القرون المزكاة (أثبت وانفوا ما نفى) السلف عنه من النقص وما لا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى فإنهم كانوا أعلم بالله وأتقى له وأقل تكلفا (ثم قفوا) عند هذا الحد ولا تتعدوه إلى غيره من الأهواء المضلة والمذاهب المردية فتندموا.

تنبيه: اعلم أن هذا الذي ذكره المصنف فيه تفصيل فصفة أجمع الصحابة والتابعون عليها فهي التي نثبتها إذ لا يتفقون على باطل، وأما صفة لم يتفقوا عليها ولم يشهد لها نص فهذه لا نثبتها فالباب توقيفي.

(1) المحلى: 44/ 8.

تتمة: لم يذكر المصنف الشخص والصورة والأصابع وتسمية الله شيئًا، أما الشخص ففي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفَح عنه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغير منه والله أغير مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغير من الله ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة**»[1].

وقال البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»[2].

وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة: باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك[3].

وأما الصورة فقد قال النبي ﷺ: «**... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة...**»، الحديث[4].

وقال ﷺ: «**...فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم...**»[5].

وقال ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته**»[6].

(1) صحيح مسلم: (1499).

(2) صحيح البخاري: (9 /151).

(3) السنة، ص: (208).

(4) صحيح البخاري: (7439)، وصحيح مسلم: (183)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

(5) صحيح البخاري: (7437)، وصحيح مسلم: (182)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(6) صحيح مسلم، عقب الحديث: (2612)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا...**»، الحديث[1].

وروى الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن**»[2].

---

(1) صحيح البخاري: (6227)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) أخرجه الحارث بن أبي أسامة (831/ 2 ـ بغية الباحث) وعبد الله بن أحمد في السنة: 268/ 1، وابن أبي عاصم في السنة، ص: (212)، وابن خزيمة في التوحيد:85/ 1، والآجري في الشريعة: 1152/ 3، والطبراني 430/ 12، وابن بطة في الإبانة: 244 ـ 245/ 7، وفي: 260/ 7، والحاكم: (171/ 4 ـ تأصيل)، (319/ 2 ـ هندية) ـ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ـ والبيهقي في الأسماء والصفات: 64/ 2 من طريق جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به.

وقد اختُلِف فيه على جرير فرواه يوسف بن موسى ـ من رواية ابن خزيمة وابن أبي عاصم عنه ـ وأبو معمر وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم المروزي وإسحاق بن إسماعيل الطالقاني وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن بحر وهارون بن معروف بلفظ: (صورة الرحمن).

وخالفهم أبو الربيع (ابن أبي عاصم في السنة: 362 ـ 363)، ويوسف بن موسى ـ من رواية الحسين بن إسماعيل (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: «716») وإسحاق بن محمد بن الفضل الزيات عنه (الصفات للدراقطني «45») فروياه بلفظ: (على صورته).

وتابعه محاضر بن المورع عن الأعمش أخرجه ابن بطة: 262/ 7. وقد قال يعقوب بن شيبة: عبيد الله بن موسى، ومحاضر، ومندل، وأبو معاوية، ووكيع، وابن نمير، ويحيى بن عيسى، كل هؤلاء ثقة في الأعمش. (شرح علل الترمذي 718/ 2).

لكن ابن بطة ضعيف (تاريخ الإسلام: 614/ 8، وسير أعلام النبلاء: 530 ـ 533/ 16).

والحديث صححه الإمامان: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه رَحِمَهُمَا اللَّهُ، كما في فتح الباري: 183/ 5.

وهذه الرواية فيها خمس علل:

الأولى: الإرسال فقد قال ابن خزيمة 86/ 1: وروى الثوري هذا الخبر مرسلا غير مسند حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقبح الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن).

الثانية: تدليس حبيب قاله ابن خزيمة.

الثالثة: تدليس الأعمش، قاله ابن خزيمة أيضًا. =

قال الحافظ الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب السنة: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال رجل لأبي: إن رجلا قال: خلق الله آدم على صورته أي صورة الرجل فقال: كذب هو قول الجهمية[1].

وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ خلق آدم على صورته بلا كيف ـ وساق حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من طرق وحديث ابن عمر ثم قال ـ: هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها: كيف؟ و: لم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين[2].

وقال الإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن[3] ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد[4].

= **الرابعة**: أن حبيب بن أبي ثابت من صغار شيوخ الأعمش فقد حكى ابن البراء في كتاب العلل عن علي بن المديني قال: الأعمش كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الصغار مثل: الحكم وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وأبي إسحاق وما أشبههم. وقال يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني: حديث الأعمش عن الصغار كأبي إسحاق وحبيب وسلمة ليس بذلك. (شرح علل الترمذي 800/ 2).

الخامسة: أن رواية حبيب بن أبي ثابت عن عطاء ضعيفة قال عبد الله بن أحمد حدثني ابن خلاد قال: سمعت يحيى يقول: حبيب بن أبي ثابت عن عطاء ليست محفوظًا. سمعته يقول: إن كانت محفوظة لقد نزل عنها يعني عطاء نزل عنها. (العلل ومعرفة الرجال: 218/ 3)، وقال العقيلي: وله عن عطاء غير حديث لا يتابع عليه. (الضعفاء: 485/ 1).

(1) فتح الباري: 183/ 5.

(2) الشريعة 1147 ـ 1153/ 3.

(3) لم يرد للأصابع ذكر في القرآن.

(4) تأويل مختلف الحديث، ص: (322).

وأما **الأصابع** فلما روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[1].

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: 67][2].

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكًا تبدو نواجذه، تصديقًا وتعجبًا لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته اهـ[3].

وقال أيضًا: باب إثبات الأصابع لله عَزَّوَجَلَّ من سنة النبي ﷺ قيلا له لا حكاية عن غيره، كما زعم بعض أهل الجهل والعناد أن خبر ابن مسعود ليس هو

---

(1) صحيح مسلم: (2654).

(2) صحيح البخاري: (4811)، وصحيح مسلم: (2786).

(3) التوحيد، ص: 76.

من قول النبي ﷺ، وإنما هو من قول اليهود، وأنكر أن يكون ضحك النبي ﷺ، تصديقًا لليهودي اهـ(1).

وقال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورويت أيها المريسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء**» فأقررت بأن النبي ﷺ قاله، ثم رددته بأقبح محال، وأوحش ضلال، ولو قد دفعت الحديث أصلًا كان أعذر لك من أن تقر به، ثم ترده بمحال من الحجج، وبالتي هي أعوج، فزعمت أن أصبعي الله قدرتيه(2)، قلت: وكذلك قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: 67]. أي في ملكه.

فيقال لك أيها المعجب بجهالته: في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجة من جميع لغاتهم إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها، فكيف صارت للقلوب من بين الأشياء قدرتان؟ وكم تَعُدُّها قدرة؟ فإن النبي ﷺ قال: «**بين أصبعين**»، وفي دعواك: هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع.

حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرُها لما سواها، ففي دعواك هذا أقبح محال، وأبين ضلال، فكيف ادعيت أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه: أنها صارت يوم القيامة في ملكه؟ كأنهما كانتا قبل يوم القيامة في ملك غيره، خارجة عن ملكه، فكان مغلوبًا عليها في دعواك، حتى صارت يوم القيامة في ملكه!! وما بالها تصير في ملكه يوم القيامة مطويات ولا تكون في ملكه منشورات؟ وما أراك إلا ستدري أن قوله: ﴿ مَطْوِيَّٰتُۢ ﴾ ناقض لتأويلك.

---

(1) التوحيد، ص: 79 ـ 80.

(2) الجادة أن يقول: «قدرتاه»، وما هنا له وجه.

ومما يزيده نقضًا: قوله في المكان الآخر: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: 104]. وقول رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السماء يوم القيامة بيمينه ثم يقول: أنا الملك**» ففي قول الله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾، وحديث رسوله ﷺ بيانٌ ومعنًى مخالفٌ قيلك، لا شك فيه، وكيف أقررت بالحديث في الأصبعين من أصابع الله وفسرتها قدرتين؟ وكذّبت بحديث ابن مسعود في خمس أصابع، وهو أجود إسنادًا من حديث الأصبعين؟ أفلا أقررت بحديث ابن مسعود ثم تأولته: القدرة خمس قدرات كما تأولت في الأصبعين بقدرتين؟. فإن النبي ﷺ قال: «**بين أصبعين من الأصابع**» فأما تكذيبك بحديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أن حبرًا من اليهود قام إليه فقال: أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السموات على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، والخلائق على أصبع، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك؟، فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا لما قال الحبر وتصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 67]. فادعيت أن هذه نزلت تكذيبًا لما قال الحبر، ثم قلت: أفتحتجون بقول اليهود؟ فيقال لك أيها المريسي: قلما رأينا مفسرًا ومتكلمًا أشد مناقضًا لكلامه منك، مرة تقول: الحديث يروى عن النبي ﷺ وتفسره قدرتين، ومرة تقول: هو كذب: وقول اليهود تقر به مرة، وتنكره أخرى، ولو قد كنت من أهل الحديث ورواته لعلمت أن الأثر قد جاء به تصديقًا لليهودي، لا تكذيبًا له كما ادعيت.

حدثنا أحمد بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه «ضحك من قول الحبر تعجبًا لما قال وتصديقًا له».

فعمن رويت أيها المريسي أنه قال في حديث ابن مسعود: أنه قال: تكذيبًا له، فأنبئنا به وإلا فإنك فيها من الكاذبين.

وأما تشنيعك على هؤلاء المقرين بصفات الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بها قال الله: أنهم يتوهمون فيها جوارح وأعضاء، فقد ادعيت عليهم في ذلك زورًا باطلًا، وأنت من أعلم الناس بما يريدون بها، إنما يثبتون منها ما أنت له معطل وبه مكذب، ولا يتوهمون فيها إلا ما عنى اللهُ تعالى ورسوله ﷺ، ولا يدعون جوارح، ولا أعضاء كما تقولت عليهم، غير أنك لا تألو في التشنيع عليهم بالكذب، ليكون أروج لضلالتك عند الجهال، ولئن جزعت من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في قصة الحبر، ما لك راحة في رواية عائشة وأم سلمة وغيرهم مما يحقق حديث ابن مسعود ويثبت روايته.

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أم محمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه**».

وحدثنا نعيم بن حماد ثنا ابن المبارك أخبرناه حيوة بن شريح أخبرني أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قلوبُ بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف شاء**» ثم يقول رسول الله ﷺ: «**اللّهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**».

حدثنا نعيم بن حماد ثنا ابن المبارك أبنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت بسر بن عبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سمعان الكِلابي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قلب إلا بين**

أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه» وكان رسول الله ﷺ يقول: «**اللّٰهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**».

حدثنا عبد الله بن صالح عن ليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن خالد بن أبي عمران عن أبي عياش بن أبي مهران عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن**».

حدثنا يزيد بن عبد ربه الحمصي ثنا بقية بن الوليد عن عتبة ابن أبي حكيم عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء قال به هكذا** ـ وأمال يده ـ **وإذا شاء قال به هكذا** ـ وأمال يده ـ **وإذا شاء ثبته**».

حدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرني عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من بني آدم بشر إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن، فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه**».

فهذه ألفاظ رسول الله ﷺ في الحديث الذي رويته وثبته بلسان عربي مبين، ففي أي لغاتٍ وجدت أنها قدرتين من القدر؟ وهل من شيء ليس تحت قدرة الله التي وسعت كل شيء، حتى يخص رسول الله ﷺ القلوب من بينها بقدرتين؟ فلِمَ تَدَّعِ ما إذا رجعت فيه إلى نفسك علمت أنه ضلال وباطل وضحكة وسخرية، مع أن المعارض لم يقنع بتفسير إمامه المريسي حتى اخترق لنفسه فيه مذهبا خلاف ما قال إمامه، وخلاف ما يوجد في لغات العرب والعجم، فقال: أصبعاه: نعمتاه، قال: وهذا جائز في كلام العرب.

فيقال: لهذا المعارض: في أي كلام العرب وجدت إجازته؟ وعن أي فقيه أخذته.؟ فاستند إليه وإلا فإنك من المفترين على الله وعلى رسوله، فلو كنت الخليل بن أحمد، أو الأصمعي ما قبل ذلك منك إلا بحجة[1].

وقال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة بأن الإيمان قول وعمل ونية، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، وعلى أن الله خالق الخير والشر ومقدرهما، وعلى أن الله يُرى يوم القيامة، وعلى أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان ببقاء الله، وأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بالأشياء، وأن الله قديم لا بداية له ولا نهاية ولا غاية، بصفاته التامة لم يزل عالمًا، ناطقًا، سميعًا، بصيرًا، حيًا، حليمًا، قد علم ما يكون قبل أن يكون، وأنه قدر المقادير قبل خلق الأشياء، ومجمعون على إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وعلى تقديم الشيخين[2] وعلى أن العشرة في الجنة جزمًا وحتمًا لا شك فيه، ومجمعون على الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ، والاستغفار لهم، ولأزواجه، وأولاده، وأهل بيته، والكف عن ذكرهم إلا

(1) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، ص: 133 ـ 139.

(2) نقل غير واحد الإجماع على أن أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، والحق أن لا إجماع على ذلك بل الخلاف مشهور وقد نقل الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال العلماء في ذلك في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل: 32 ـ 33/ 3.

قال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي في الخراسانية، ص 249: وأفضل العشرة: أبو بكر بلا خلاف عند السلف والخلف من أهل السنة اهـ.

قلت: كذا قال، والخلاف معروف في ذلك بين السلف والخلف من أهل السنة وقد ذكر الإمام ابن حزم في الفصل ـ كما ذكرنا آنفا ـ مذاهب الناس في ذلك فليراجعه من شاء.

بخير، والإمساك وترك النظر فيما شجر بينهم، فهذا وأشباهه مما يطول شرحه لم يزل الناس مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا مجمعون[1] عليه في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها يرويه العلماء رواة الآثار، وأصحاب الأخبار، ويعرفه الأدباء والعقلاء، ويجمع على الإقرار به الرجال والنسوان والشيب والشبان والأحداث، والصبيان في الحاضرة والبادية، والعرب، والعجم، لا يخالف ذلك ولا ينكره، ولا يشذ عن الإجماع مع الناس فيه إلا رجل خبيث زائغ مبتدع محقور مهجور مدحور، يهجره العلماء، ويقطعه العقلاء، إن مرض لم يعودوه، وإن مات لم يشهدوه[2].

وأما كون الله شيئًا فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: 19]، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ فسمى الله تعالى نفسه شيئًا وسمى النبي ﷺ القرآن شيئًا وهو صفة من صفات الله»[3].

قال المصنف:

وَاجْتَنِبُوا الشِّرْكَ الجَلِيَّ وَالخَفِيْ ... وَلَو بِمَا فِيهِ اخْتِلافُ الخَلَفِ

فَأَفْرِدُوهُ جَلَّ بِالعِبَادَهْ ... لا تُشْرِكُوا فِي نَوعِهَا عِبَادَهْ

فَلا تُسَمُّوا وَلَداً عَبْدَ عَلِيْ ... أو تَنْذُرُوا لِصَالحٍ أو لِوِلِيْ

وَلا تَمَسُّوا قَبْرًا أَوْ تَمَسَّحُوا ... وَلا تَطُوفُوا حَوْلَهُ أَوْ تَذْبَحُوْا

الشرح: لما أنهى المصنف رحمه الله تعالى الكلام على الصفات شرع يتكلم على توحيد الألوهية فقال: (**واجتنبوا الشرك**) بنوعيه: (**الجلي**) أي: الظاهر كاتخاذ

---

(1) الصواب: مجمعين.

(2) الإبانة: 557 ـ 558/ 2.

(3) صحيح البخاري: 151/ 9.

الشريك مع الله، والنذر لغير الله، وادعاء معرفة الغيب، والذبح لغيره، والاستغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله، والتوكل على غيره، والاستعاذة بغيره، والاستعانة بسواه، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، فمن صرف هذه العبادات أو بعضها لغير الله كأن ينذر للولي الفلاني مالا إن نجح في مسابقة كذا، أو ينادي ميتًا أو غائبًا عند الشدة قائلًا: يا سيدي أو يا فلان أغثني، أو يقول: يا رسول الله، أو يا أهل بدر، أو يا رجال الغيث، ونحو هذه العبارات فهو كافر والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: 5]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: 56]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: 65]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: 44]، وقال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 13]، وقال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: 17]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: 106-107]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الشرح: 8]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: 59]، وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون: 97]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: 1].

(و) اجتنبوا الشرك (**الخفي**) كالرياء ومحبة ما يبغضه الله أو كراهية ما يحبه الله[1]

روى أبو عبد الله الحاكم ـ واللفظ له ـ وأبو نعيم الأصبهاني وأبو جعفر العقيلي من طريق عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور، وتبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾** [آل عمران: 31]». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2].

وتعقبه الذهبي بأن عبد الأعلى قال عنه الدارقطني: ليس بثقة.

وتعقبه أيضًا ابن رجب فقال: وفيما قاله نظر[3].

قال العقيلي: عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير، جاء بأحاديث منكرة ليس منها شيء محفوظ من حديثه ـ وساق هذا الحديث ثم قال ـ: ولا يتابع عليه ولا يعرف إلا به وعبد الأعلى بن أعين هذا حدث عن يحيى بن أبي كثير بغير حديث منكر لا أصل له اهـ[4].

وقال الدارقطني: وعبد الأعلى بن أعين ضعيف الحديث والحديث غير ثابت[5].

وروينا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: 22] قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ظلمة

---

(1) يراجع للفائدة: أصول السنة، ص: (235 ـ 242)، لابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(2) المستدرك: 126/ 4، وحلية الأولياء في: 368/ 8، وفي: 253/ 9.

(3) تفسير ابن رجب: 505/ 1.

(4) الضعفاء الكبير: 540 ـ 541/ 3، تحقيق السرساوي.

(5) العلل: 191 ـ 192/ 14.

الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي، ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، فإن هذا كله به شرك[1].

(ولو) كان ذلك الشرك (بما) اسم موصول بمعنى الذي (فيه) أي ذلك الأمر الشركي حصل (اختلاف) بعض علماء (الخلف) إذ لا يترخص بالخلاف في المحرمات فضلا عن الشركيات إلا مطموس البصيرة، وقد أقدم بعضهم على ترخيص الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والنذر لمن يسمونهم بالأولياء والصالحين وهذا كفر مجرد وردة عن الإسلام.

(فأفردوه جل بالعبادة) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد أي مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة اهـ[3].

وقال أيضًا: العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم وأوله «العلاقة» لتعلق القلب بالمحبوب ثم «الصبابة» لانصباب القلب إليه ثم «الغرام» وهو الحب اللازم للقلب ثم «العشق» وآخرها «التتيم» يقال: تيم الله أي: عبد الله

---

(1) تفسير ابن أبي حاتم: 62/ 1.

(2) عمدة التفسير: 64/ 1.

(3) مجموع الفتاوي: 149/ 10.

فالمتيم المعبد لمحبوبه، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله اهـ[1].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبادة الرحمن غاية حبه	مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان

فالأعمال الظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والباطنة كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والخشية، والخوف، والرجاء.

(لا تشركوا في نوعها) أي أنواع العبادة **(عباده)** المخلوقين، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: 110]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: 2-3]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5]، وقال النبي ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» (أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)[2].

(1) مجموع الفتاوي: 153/ 10.

(2) صحيح مسلم: (2985).

(فلا تسموا ولدا عبد علي) أو عبد النبي، لأنه شرك في الربوبية والإلهية، لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامُه القدرية جارية عليهم ولا بد كما قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم: 93]، فهذه هي العبودية العامة، وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة كما قال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ [الزمر: 36] ونحوها اهـ[1].

قال الإمام أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله عَزَّوَجَلَّ كعبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب اهـ[2].

وإنما استثنى عبد المطلب لأن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيها، لأن أصله من عبودية الرق، وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج، لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة فجاءت منه بهذا الابن فلما شب في أخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو رديفه فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبدا للمطلب فقالوا: هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به، فلم يبق للأصل معنى مقصود، وقد قال النبي ﷺ: **«أنا ابن عبد المطلب»** وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد

(1) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص: 394.

(2) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، ص: 249.

قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم، وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده[1].

(أو تنذروا) نذر من باب ضرب ونصر **(لصالح أو لولي)** أي لا تنذروا للأولياء والصالحين الأحياء والأموات من أجل جلب منفعة أو دفع مضرة فإن ذلك شرك أكبر، لأن النذر عبادة، وصرف العبادة لغير الله كفر، والدليل على أن نذر الطاعة عبادة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: 270]، وقوله: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: 29]، وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: 7]، وقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**» (أخرجه البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)[2].

إذا تقرر أن النذر عبادة فاعلم أن صرف العبادة لغير الله كفر مخرج من الملة وهذا النذر حرام الوفاء به، وقد كثر ذلك في العصور المتأخرة علما وفضلا وزمنا، فعلى أهل العلم الغيورين على التوحيد والسنة أن ينشروا حكم الله تعالى في مثل هذه المسائل ليتعلم الجاهل وينتبه الغافل.

قال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أو له حاجة ضرورية فيأتي بعض الصلحاء فيجعل سترة على رأسه فيقول: يا سيدي فلان إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريضي أو قُضيتْ حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا

(1) فتح المجيد، ص: 394.

(2) صحيح البخاري: (6696).

(3) يعرف بقاسم الحنفي كما في معجم المؤلفين: 648/ 2.

فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه: منها: أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر اللّهم إلا إن قال: يا الله إني نذرت لك إن شفيت مريضي، أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة، أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي، أو الإمام الليث، أو أشتري حُصُرا لمساجدهم[1]، أو زيتا لوقودها أو دراهم لمن يقوم بشعائرها[2] إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذرُ لله عَزَّوَجَلَّ وذِكْرُ الشيخ إنما هو محل لصرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه[3]، أو مسجده، أو جامعه فيجوز بهذا الاعتبار إذ مصرف النذر الفقراء وقد وُجد المصرفُ ولا يجوز أن يصرف ذلك لغني غير محتاج ولا لشريفِ منصبٍ؛ لأنه لا يحل له الأخذ ما لم يكن محتاجًا أو فقيرًا، ولا لذي النسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيرًا ولا لذي علم لأجل علمه ما لم يكن فقيرًا، ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ولا ينعقد ولا تشتغل الذمة به ولأنه حرام بل سحت ولا يجوز لخادم الشيخ أخذه ولا أكله ولا التصرف فيه بوجه من الوجوه إلا أن يكون فقيرًا، أو له عيال فقراء عاجزون عن الكسب وهم مضطرون فيأخذونه على سبيل الصدقة المبتدأة فأخذه أيضًا مكروه ما لم يقصد به الناذر التقرب إلى الله تعالى وصرفه إلى الفقراء ويقطع النظر عن نذر الشيخ فإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى

---

(1) اتخاذ المساجد عند القبور منهي عنه.

(2) هذا من البدع المحدثة.

(3) ليت شعري ما ذا يفعلون هناك؟ لا شك أن هذا من البدع.

ضرائح الأولياء تقربًا إليهم فحرام بإجماع المسلمين ما لم يقصدوا بصرفها للفقراء الأحياء قولًا واحدًا اه[1].

(ولا تمسوا قبرا أو تمسحوا) لأن ذلك من البدع فلم يكن من عادة السلف مس القبر ولا التمسح به، هذا في قبر النبي ﷺ فكيف بقبر غيره؟!

قال الإمام مالك ـ في رواية ابن وهب ـ: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده[2].

قال زروق: من البدع اتخاذ المساجد على مقبرة الصالحين ووقد القناديل عليه دائمًا أو في زمان بعينه والتمسح بالقبر عند الزيارة وهو من فعل النصارى وحمل تراب القبر تبركا به وكل ذلك ممنوع بل يحرم كادعاء تحديث أهل المقابر ورؤية أحوالهم ولو تحققت إلا بما لا يضر ضعفاء المسلمين اه[3].

واعلم أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الزيارة السنية وهي أن يذهب صاحبها إلى القبور من غير سفر ويتعظ بحالهم ويعلم أن هذا مصيره ويسأل الله لهم العفو والعافية.

النوع الثاني: الزيارة البدعية وهي التي يشد صاحبها الرحال إلى القبور، أو يتوسل بالمقبورين إلى الله في قضاء حوائجه.

النوع الثالث: الزيارة الشركية وهي التي يقصد صاحبها الأموات لدفع ضر أو جلب نفع، فهذا مشرك بالله تعالى.

---

(1) البحر الرائق: 320 ـ 321/ 2.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص: 446.

(3) شرح الرسالة، ص: 434.

وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ[1].

قال الحافظ الناقد الإمام المتقن العلامة البارع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله[2]: (إن المبالغة في تعظيمه واجبة) أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويُدخِل الجنة من يشاء؟، فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين، أم يريد بها التعظيم الذي شرعه الله ورسوله ﷺ من وجوب محبته وطاعته ومعرفة حقوقه وتصديق أخباره، وتقديم كلامه على كلام غيره ومخالفة غيره لموافقته ولوازم ذلك، فهذا التعظيم لا يتم الإيمان إلا به، ولكن هذا المعترض وأضرابه عن هذا بمعزل، وإذا أخذ الناس منازلهم من هذا التعظيم فمنزلتهم منه أبعد منزل وهو وخصومه كما قال الأول:

نزلوا بمكةَ في قبائلِ هاشمٍ ... ونزلْتَ بالبيداء أبعدَ منزل[3]

تنبيه: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنه زاد قوله: «تمسحوا» وإن كان ما قبله يغني عنه تعريضًا بالمسيحية.

(**ولا تطوفوا حوله**) أي حول القبر ولا حول أي شيء بشرًا كان أو غير بشر متقربين بذلك إلى صاحب القبر، لأن الطواف ـ والحالة هذه ـ عبادة تعبدنا الله بها فقال: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: 29]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص: 444.

(2) يعني: السبكي مصنف كتاب: «شفاء السقام».

(3) الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص: 346.

يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: 158]، فمن طاف بولي أو شجر أو حجر متقربًا بذلك فهو مشرك لصرفه عبادة «الطواف» لغير الله.

(أو تذبحوا) أي ولا تذبحوا حول القبر تشبها بالمشركين، لأن مخالفة المشركين مقصد شرعي أكيد، ومن شاء التوسع في ذلك فعليه بكتاب: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما الذبح بقصد التقرب إلى صاحب القبر أو إلى الجن فهذا كفر أكبر، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162]، وقال النبي ﷺ: **«لعن الله من ذبح لغير الله»** (رواه مسلم من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)[1].

قال الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا تجد أقوامًا كثيرين من الضالين[2] يتضرعون عند قبور الصالحين، ويخشعون، ويتذللون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله المساجد، بل ولا في الأسحار بين يدي الله تعالى، ويرجون من الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسدة هي التي حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة ولا ذلك المكان سدا للذريعة إلى تلك المفسدة التي من أجلها عُبِدت الأوثانُ، فأما إن قصد الإنسان الصلاة عندها، أو الدعاء لنفسه في مهماته وحوائجه متبركًا بها راجيًا للإجابة عندها، فهذا عين المحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه وشرعه، وابتداع دين لم يأذن به الله ولا رسوله ولا أئمة المسلمين المتبعين[3] آثاره وسننه.

---

(1) صحيح مسلم: (1978).

(2) لو قالها غير السيوطي لقيل إنه وهابي.

(3) الجادة أن يقال: «المتبعون»، وما هنا له وجه.

فإنَّ قصدَ القبورِ للدعاء رجاء الإجابة منهي عنه، وهو إلى التحريم أقرب. والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ وقد أجدبوا مراتٍ ـ ودهمتهم نوائب بعد موته ﷺ فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ وهو أكرم الخلق على الله عَزَّوَجَلَّ، بل خرج فيهم سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالعباس عم النبي ﷺ إلى المصلى فاستسقى به، ولم يستسقوا عند قبر النبي ﷺ.

فاقتد أيها المسلم إن كنت عبدا لله بسلفك الصالح، وتحقق بالتوحيد الخالص؛ فلا تعبد إلا الله، ولا تشرك بربك أحدًا، كما أمر تعالى بقوله: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: 56]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: 110].

فلا تعبد إلا إياه ولا تدْعُ إلا هو، ولا تستعن إلا به، فإنه لا مانع ولا معطي ولا مضارّ ولا نافع إلا هو سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب اهـ(1).

قال المصنف:

لا تَعبـدُوهُ بِـسِوَى مَـا قَـدْ شَرَعْ	قَـدْ نَتَقَـرَّبُ بجلْـبِ مَـا نَفَـعْ
أو دَفْـعِ مَـا ضَرَّ لمَخـلُوقٍ وَلا	نَبْلُـغُ ذَا مِـنْ مَالِـكِ الـمُلكِ عَـلَا

الشرح: (**لا تعبدوه بسوى ما قد شرع**) هذه قاعدة عظيمة جدًا وهي أن الله لا يعبد إلا بما شرع، وشرعُه هو الذي أنزله في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، فالفوز والنجاة في اتباعهما، والويل والهلاك في الإعراض عنهما، وإحلال الرأي البشري مكانهما، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا

(1) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، ص: 46 ـ 47، أو: 138 ـ 139 من طبعة مشهور.

مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 3]، وقد افترض الله علينا طاعة نبيه ﷺ فقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 1]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36].

(قد نتقرب بجلب ما نفع ...) هذا إنكار على بعض الجهلة في تقربهم إلى المخلوق بسبب جلب نفع أو دفع ضر مع أنهم لا يبلغون هذا المبلغ من التقرب في حق مالك الملك ذي الجلال والإكرام، مَن بيده خزائن السموات والأرض، مَن لا يملك النفع والضر سواه.

قال المصنف:

وَبِالرُّبُوبِيَّـــــــةِ أَفْــــــــرِدُوْهُ	فَهْــوَ الــذِي تَعنُــو لَــهُ الوُجُــوْهُ
لَا تَجْعَلُـــوا إِذَا دَعَـــوتُمْ وُسَـــطَا	بَيْـــنَكُمُ وَبَيْنَـــهُ فَـــهْوَ خَطَـــا

الشرح: لما أنهى المصنف الكلام على الصفات والكلام على توحيد الألوهية شرع يتكلم على توحيد الربوبية فقال: **(وبالربوبية أفردوه)** فلا رب سواه ولا خالق غيره، تفرد بتدبير الكون، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وقد كان المشركون يقرون بهذا النوع من التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: 61]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: 63]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم

مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان: 25]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: 38]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: 87]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31]، **(فهو الذي تعنو)** أي تذل وتخضع **(له الوجوه)** كما قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: 111].

(لا تجعلوا إذا دعوتم) الله سبحانه وتعالى لجلب نفع أو دفع ضر **(وسطا)** جمع وسيط **(بينكمُ وبينه)** كأن يقول: أسألك يا رب بجاه فلان، أو بعمل فلان، أو ببركة فلان، **(فهو خطا)** لأن فيه تشبها بالمشركين حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: 3]، ولأن الله قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186]، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: 55]، وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: 32]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 17]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]، وهذه الآية دليل على أن الدعاء عبادة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60] (أخرجه أحمد واللفظ له[1]، وأبو داود[2]، والترمذي، وقال: حسن صحيح[3]، والنسائي[4]، وابن ماجة[5]، والبزار[6]، وابن حبان[7]).

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ اهـ.

قلت: رويناه من حديث أنس والبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ رحمه الله تعالى: حدثنا علي بن محمد بن إبراهيم التستري ثنا أبو يعلى ثنا عون بن الحكم عن حميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»**[8].

قلت: من دون حميد لم أعرفهم.

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يحيى بن أيوب قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الدعاء هو العبادة»**، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60][9].

---

(1) مسند أحمد: 336/ 30.

(2) سنن أبي داود: (1479).

(3) الجامع: (2969)، و: (3247)، و: (3372).

(4) السنن الكبرى: 450/ 6.

(5) سنن ابن ماجة: (3828).

(6) البحر الزخار: 205 ـ 207/ 8.

(7) التقاسيم والأنواع: 382/ 1، وفي الإحسان طبعة الرسالة: 172/ 3، رقم: (890).

(8) المعجم: (1197).

(9) المعجم: (328).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخبرنا عثمان بن محمد بن يوسف العلاف، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم[1] قال: حَدثنا عياش بن محمد الجوهري قال: حدثنا يحيى بن أيوب به[2].

قلت: إسناده جيد.

وقد دلت الآيات السابقة على أننا ندعو الله من غير واسطة، فمن اتخذ وسيطًا بينه وبين الله في الدعاء فقد قفا ما لا علم له به، وفعل ما لا يحل له، وأما إذا دعا الوسيط نفسه فهذا شرك أكبر.

وقد روي عن مالك: لا يتوسل بمخلوق أصلًا، وقيل: إلا برسول الله ﷺ[3].

قال العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يخفى على الناظر في هذه الآية الكريمة أن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده، ولا يصرفون شيئًا من حقه لمخلوق، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده، التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة، ويُعلَم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأُ حالًا من عبدة الأوثان، فإنهم إذا دهمتهم الشدائد، وغشيتهم الأهوال والكروب التجئوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح، في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله، مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره.

---

(1) هو أبو بكر الشافعي الحافظ المشهور.

(2) تاريخ مدينة السلام: 214/ 14.

(3) قواعد التصوف للشيخ زروق، القاعدة: 157.

ومن أوضح الأدلة في ذلك قوله تعالى «في سورة النمل»: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 59-62] الآيات، فتراه جل وعلا في هذه الآيات الكريمات جعل إجابة المضطر إذا دعا وكشْفَ السوء عنه من حقه الخالص الذي لا يشاركه فيه أحد؛ كخلقه السموات والأرض، وإنزاله الماء من السماء، وإنباته به الشجر، وجعلِه الأرض قرارًا، وجعله خلالها أنهارًا، وجعله لها رواسي، وجعله بين البحرين حاجزًا، إلى آخر ما ذكر في هذه الآيات من غرائب صنعه وعجائبه التي لا يشاركه فيها أحد ؛ سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا الذي ذكره الله جل وعلا في هذه الآيات الكريمات: كان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل ؛ فإنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فارا منه إلى بلاد الحبشة، فركب في البحر متوجها إلى الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، اللّهم لك علي عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد ﷺ فلأجدنه رءوفًا رحيمًا. فخرجوا من البحر، فخرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. اهـ[1].

(1) أضواء البيان: 725 ـ 727/ 3.

قال المصنف:

ذَلِـكَ والإيـمانُ كُـلٌّ قَـدْ شَـمَلْ عَقْـدًا بقَلْـبٍ مَـعَ قَـوْلٍ وَعَمَـلْ
بِنِيَّـــةٍ في سُـــنَّةٍ وَبِالعَمَـــلْ زِيَـادَةً ونَقْـصًا المثْـلَ احْتَمَـلْ

الشرح: شرع المصنف يتكلم على تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه فقال: (**ذلك والإيمان كل**) أي: مجموع (**قد شمل**) قال المصنف: يقرأ هنا بالفتح وإن كان الأفصح الكسر تفاديًا لسناد التوجيه[1] (**عقدا بقلب مع قول وعمل بنية في سنة**) عرف المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإيمان بأنه: «اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح مع النية وموافقة السنة» وهذا التعريف أحد التعريفات المروية عن بعض السلف كما روى الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناده عن الإمام عالم الشام أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العملُ من الإيمان والإيمانُ من العمل وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها وتصديقه العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين اهـ[2].

وقال سهل التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وقد سئل عن الإيمان ما هو؟ ـ : قول وعمل ونية وسنة اهـ.

---

(1) سناد التوجيه هو ـ كما في تاج العروس 220/ 8 ـ : تغير حركة ما قبل الروي المقيد الساكن بفتحة مع غيرها، وهو أقبح الأنواع عند الخليل.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 417/ 5.

وقال بعضهم: الإيمان قول وعمل ونية، وزاد بعضهم: اتباع السنة، وقال بعضهم: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكل هذا صحيح فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق اهـ[1].

وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول الفقهاء والمحدثين: إن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة اهـ[2].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث[3].

والصواب القول بأن «الإيمان قول وعمل» لوجهين:

الأول: أن هذا أقل لفظا وأكثر معنى، فإن القول قول القلب ـ وهو تصديقه ـ وقول اللسان، والعمل عمل القلب والجوارح.

والثاني: أن هذا القول حكاه غير واحد من أهل العلم إجماعًا، روى الحافظ اللالكائي بسنده عن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل ولم أكتب عن من قال: الإيمان قول اهـ[4].

---

(1) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية: 170 ـ 171/ 7.

(2) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، ص: (23).

(3) فتح الباري: 49/ 1.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 419/ 5، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: 47/ 1.

ونسب اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول إلى جماعة من الصحابة والتابعين، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما نقل عن السلف صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وابن جريج، ومعمر، وغيرهم، وهؤلاء فقهاءُ الأمصار في عصرهم وكذا نقله اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ـ إلى أن قال ابن حجر ـ وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة وقال الحاكم في مناقب الشافعي: حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ثم تلا: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: 31] الآية اهـ كلامه[1].

وقال **أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ**: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص اهـ[2].

وقال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد: والمعرفة اهـ[3].

---

(1) فتح الباري: 47/ 1.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: 176/ 1.

(3) التمهيد: 238/ 9.

وإذا تقرر أن الإيمان قول وعمل فاعلم أن القول يشمل قول القلب وقول اللسان والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح.

فأما قول القلب فتصديقه وإيقانه بما جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 33]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: 75]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: 15]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: 3].

وأما قول اللسان فهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 46]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: 15]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴾ [القصص: 53].

وأما عمل القلب فهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: 52]، وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: 28]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: 9]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 60].

وأما عمل الجوارح فعمل اللسان منها مثل: الذكر، والاستغفار، وتلاوة القرآن، وسائر الأذكار التي لا تؤدى إلا به، وعمل الجوارح الأخرى مثل: القيام، والركوع، والسجود، والجهاد في سبيل الله، والحج، والصيام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: 29]، فجمعت هذه الآية بين عمل اللسان: ﴿ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾، وعمل الجوارح: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾، وعمل القلب: ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [العنكبوت: 45]، وقد اشتملت هذه الآية على عمل اللسان: ﴿ ٱتْلُ ﴾، والجوارح: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

(وبالعمل زيادة) إن كان صالحا **(ونقصا)** إن لم يك صالحا **(المثل احتمل)** يعني أن الإيمان يزيد بالعمل الصالح وينقص بالعمل السيئ.

أما زيادة الإيمان فقال تعالى: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: 13]، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن المراد بالهدى هنا فعل الطاعات كما قال تعالى ـ بعد وصف المتقين بالإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم وبالإيمان بما أنزل إلى محمد وإلى من قبله وباليقين بالآخرة ثم قال ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 5] فسمى ذلك كله هدى فمن زادت طاعاته فقد زاد هداه[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم

---

(1) فتح الباري: 1/51.

مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: 124]، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ﴾ [المدثر: 31].

وأما نقصانه فقد قال النبي ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» (متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1])، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة[2]، وابن عمر[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ). وفي نسخة:

بنية في سنة ويقبل الـمزيد والنقص وبالعمل كل

وهي أحسن والله أعلم.

قال المصنف:

وَالـوَحيُ حـقٌّ لَـيْسَ قَـوْلًا يُخْتَلَـقْ	وَالكُتْــبُ حَــقٌّ وَالمَلائِكَــةُ حَــقّْ
وَالرُّسْـــلُ حَـــقٌّ وَالنَّبِـــيُّ العَــرَبِيْ	خَـــاتِمُهُمْ أَعْلاهُـــمُ فِي الرُّتَـــبِ

الشرح: (والوحي) الوحي لغةً: الإعلام في خفاء، والوحي أيضًا: الكتابة، والمكتوب، والبعث، والإلهام، والأمر، والإيماء، والإشارة، والتصويت شيئًا بعد شيء، وقيل: أصله التفهيم، وكل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي، وشرعًا: الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي: الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ[4].

(حق) كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: 163]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

---

(1) صحيح البخاري: (304)، وصحيح مسلم: (80).

(2) صحيح مسلم: (80).

(3) صحيح مسلم: (79).

(4) فتح الباري: 9/ 1.

رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ [يوسف: 109]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 7]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: 65]، **(ليس قولا يختلق)** الاختلاق الكذب والتخرص **(والكتب)** ـ بسكون التاء ـ التي أنزل الله تعالى على رسله **(حق)** من عند الله تعالى ويجب الإيمان بما ذكر لنا منها على التفصيل كالزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والإنجيل، والقرآن، وما لم يذكر لنا مفصلًا نؤمن به إجمالًا، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ﴾ [الشورى: 15]، وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، وقال ﷺ ـ مجيبًا جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ...**» الحديث[1].

(والملائكة حق) خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور كما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[2].

قال تعالى في وصفهم: ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 26-27]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].

---

(1) أخرجه مسلم: (8)، من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وأخرجه هو: (9)، والبخاري: (50)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(2) صحيح مسلم: (2996).

فيجب الإيمان بمن سُمّي منهم على التفصيل ومن عداهم بالإجمال.

(والرسل) بسكون السين (حق) يجب الإيمان بمن سُمي منهم على التفصيل ـ كنوح، وإبراهيم، ولوط، وهود، وصالح، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام ـ ومن لم يسم منهم على الإجمال وأنهم صادقون فيما أخبروا حتم طاعتهم فيما أمروا كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: 64]، والعجب ممن يتلو هذه الآية ويزعم أنه مؤمن بها ثم يخالف سنة رسول الله ﷺ فهل هذا طاعة عنده؟

(والنبي العربي) القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (الملقب: قريش وإليه تنتسب القبيلة) بن مالك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (**خاتمهم**) كما قال تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [الأحزاب: 40]، (**أعلاهمُ في الرتب**) فهو ﷺ صاحب المقام المحمود وأمته خير الأمم.

قال المصنف:

وَكُلُّهُمْ أُوْتِيَ إِذْ جَا بِالبِشَرْ:	مَا مِثْلُهُ عَلَيهِ آمَنَ البَشَرْ
وَإِنَّمَا كَانَ الذِي الأَوَّاهُ	أُوتِيَهُ وَحيًا إِلَيْهِ اللهُ
أَوْحَاهُ فَهْوَ أَكْثَرُ الجَمَاعَهْ	متَّبِعًا يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهْ
كَمَا رَجَا، كَذَا مِن الذِي اصْطُفِي	بِهِ الشَّفاعةُ لأَهْلِ الموقِفِ

الشرح: (وكلهم) يعني الرسل (أوتي) من الآيات (**إذ جا**) بحذف الهمزة (**بالبشر**) بكسر الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة جمع بشرى (**ما مثله عليه آمن البشر**) فقد أتوا بالمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة والحجج الدامغة (**وإنما كان**

الذي الأواه) يعني رسول الله ﷺ **(أوتيه وحيا إليه الله أوحاه فهو أكثر الجماعه متبعا يوم تقوم الساعه كما رجا)** أصل الكلام: (وإنما كان الذي أوتيه الأواه ﷺ وحيا أوحاه الله إليه فهو أكثر جماعة الأنبياء أتباعًا يوم القيامة فقد حقق الله له رجاءه) إشارة إلى ما في الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**[1].

(كذا من الذي اصطفي) الاصطفاء: الاختيار، يعني أن مما اصطُفي به رسول الله ﷺ واختص **(به الشفاعة)** الكبرى **(لأهل الموقف)** يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي: يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى، وأكثر أهل العلم على أن المقام المحمود هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم[2].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يزيد بن عبد ربه قال: حدثني محمد بن حرب قال: حدثني الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تَلّ، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول فذاك المقام المحمود»**[3].

---

(1) صحيح البخاري: (4981)، وصحيح مسلم: (152).

(2) انظر: تفسير الطبري: 43/ 15، والتمهيد لابن عبد البر: 360 ـ 361/ 3، وعمدة التفسير: 447 ـ 450/ 2.

(3) المسند: 60 ـ 61/ 25.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

وفي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** ـ الحديث وفيه ـ: **وأعطيت الشفاعة**»[1].

قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو كامل فضيل بن حسين الجحدري ومحمد بن عبيد الغبري ـ واللفظ لأبي كامل ـ قالا: حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك** – وقال ابن عبيد: فيلهمون لذلك ـ فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال: فيأتون آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله قال: فيأتون نوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي اتخذه الله خليلًا، فيأتون إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، قال: فيأتون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدًا قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا**

(1) صحيح البخاري: (438)، وصحيح مسلم: (521).

رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ـ قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: ـ فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود»، قال ابن عبيد في روايته قال قتادة: أي وجب عليه الخلود[1].

وقال البخاري: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة به[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يحشر المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ...**» الحديث بطوله وإسناده صحيح[3].

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من طريق أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع**

---

(1) صحيح مسلم: (193).

(2) صحيح البخاري: (6565).

(3) المسند: 185 ـ 188/ 21.

لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلَّمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر له ذنبًا – نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر

الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أَدخِلِ الجنةَ من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[1].

وأخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[2].

وله عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[3]. **فهذه هي الشفاعة الأولى** وهي أعظم أنواعها.

والشفاعة الثانية: أن يشفع في استفتاح باب الجنة كما أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[4].

---

(1) صحيح البخاري: (4712)، وصحيح مسلم: (194).

(2) صحيح البخاري: (4719).

(3) صحيح البخاري: (4718).

(4) صحيح مسلم: (196).

وقد اجتمعت الشفاعتان في الحديث الذي ذكره البخاري بلفظ: «**فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم**»[1].

والشفاعة الثالثة: أن يشفع في قوم من الموحدين دخلوا النار بسبب ذنوبهم أن يخرجوا منها، ففي صحيح البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا** ـ وذكر الحديث وفيه ـ: **فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة**»[2].

وفي حديث أنس عند مسلم: «**فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل**»[3]. وهذه الشفاعة أنكرها الخوارج والمعتزلة.

الشفاعة الرابعة: شفاعته إذ يسجد ويحمد ربه، ثم يقول: «**أمتي فيقول الله له: أدخل من أمتك من لا حساب عليه الجنة من الباب الأيمن**».

قال الذهبي: والحديث في الصحيح. اهـ[4].

الشفاعة الخامسة: شفاعته في بعض أهل النار حتى يخفف من عذابه كما في الصحيح من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ ذكر عمه أبا طالب، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»[5].

---

(1) صحيح البخاري: (1475).

(2) صحيح البخاري: (7440).

(3) صحيح مسلم: (193).

(4) صحيح مسلم: (194).

(5) صحيح مسلم: (210)، وعنده: «من نار».

وفي حديث العباس، قال: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم وجدته في غمرات النار، فأخرجته إلى ضحضاح**» (رواه مسلم)[1].

الشفاعة السادسة: شفاعته في قوم استوجبوا دخول النار بذنوبهم، فيشفع فيهم، فلا يدخلون النار ويدخلون الجنة.

الشفاعة السابعة: يشفع في رفع درجات أقوام وزيادة نعيمهم، كما في حديث أم سلمة أنه ﷺ دعا لأبي سلمة لما قبض، فقال: «**اللّهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ...**»، وذكر الحديث، (أخرجه مسلم)[2].

قال المصنف:

فَـآمِنُوا بِــهِ وَمَــا أَتَــى بِــهِ ... فَـاقْفُوا وَإِنْ لم يَـأْتِ في كِتَابِــهِ
فَإِنَّــهُ أُوتِيَ مثلَــهُ مَعَــهْ ... مِــنْ حِكْمَــةٍ وَسُــنَّةٍ متَّبَعَــهْ

الشرح: (فآمنوا به) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

---

(1) صحيح مسلم: (209)، وعنده: «في غمرات من النار».

(2) صحيح مسلم: (920)، والشفاعات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة نقلناها من كتاب «إثبات الشفاعة» للحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص: (21 ـ 22).

قال مسلم: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، قال: وأخبرني عمرو، أن أبا يونس، حدثه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

وقال أبو عوانة: حدثنا يونس بن عبد الأعلى ... فذكره[2].

وقال ابن منده: أخبرنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو[3] ثنا يونس بن عبد الأعلى به[4].

وقد خالفهم عبد الرحمن بن أبي حاتم ـ فيما أسنده اللالكائي عن علي بن محمد بن عمر (هو: أبو الحسن الرازي القصار) عنه ـ فحدث به عن يونس بلفظ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني...**»[5].

وفي مسند عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة بلفظ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني**»[6].

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق بإسناده بهذا اللفظ[7].

---

(1) صحيح مسلم: (153).

(2) مسند أبي عوانة: 97/ 1.

(3) نسبه إلى جده فهو: أحمد بن محمد بن عمرو أبو الطاهر المديني الخامي المحدث الصدوق كما في سير أعلام النبلاء 430/ 15.

(4) الإيمان: 508/ 1، والتوحيد: 315/ 1، ووقع في المطبوعة: «الحسين بن وهب» وهو تصحيف، والصواب: عبد الله بن وهب.

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (2201).

(6) بيان الوهم والإيهام: 338/ 2، وقال ابن القطان: وهو حديث صحيح.

(7) مسند أحمد: 522/ 13.

وقال أبو عوانة: حدثنا أحمد بن يوسف السلمي قالا[1]: حدثنا عبد الرزاق به[2].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن أبي بشر قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**»[3].

وقال ابن أبي شيبة في مسنده: حدثنا عفان حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر به[4].

وقال النسائي: أنا محمد بن عبد الأعلى نا خالد عن شعبة به[5].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ...**»، الحديث[6].

وقال الحافظ أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري: حدثنا أبو النمر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس بن محمد بن خلف بأطرابلس الشام، قال: ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن إبراهيم البحيري الفقيه الحلبي قال: ثنا أبو علي محمد بن معاذ بن المستهل بن جامع دران قال: ثنا عمرو بن مرزوق قال: أنا شعبة عن أبي بشر

---

(1) كذا بصيغة التثنية كما نبه عليه محقق الكتاب.

(2) مسند أبي عوانة: 1/ 97.

(3) مسند أبي داود الطيالسي: 1/ 410.

(4) إتحاف الخيرة المهرة: 1/ 159، وبيان الوهم والإيهام: 2/ 338، وقال البوصيري: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن القطان: صحيح الإسناد، وفيه نظر، فإن البزار قال: لا أحسب سمع سعيد بن جبير من أبي موسى.

(5) السنن الكبرى: 6/ 363 ـ 364.

(6) سنن سعيد بن منصور: 5/ 341 ـ 342.

عن سعيد بن جبير عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا كان من أهل النار»**[1].

قال محمد بن ادٍّ: أما رواية سعيد بن منصور هذه عن أبي عوانة فهي خطأ بلا شك، وقد قال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود ثنا شعبة به بلفظ: **«لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ...»**، قال أبو نعيم: رواه ابن المبارك عن شعبة مثله ورواه أبو عوانة عن أبي بشر مثله[2].

وأما رواية عمرو بن مرزوق عن شعبة فهي شاذة منكرة لخلافه الأثبات من أصحاب شعبة على أن في صحة السند إلى عمرو نظرًا.

وقال البزار: حدثنا يحيى بن حكيم قال: أخبرنا أبو داود قال: أخبرنا شعبة به، وقال: هذا الكلام لا نعلم رواه عن النبي ﷺ إلا أبو موسى بهذا الإسناد، ولا أحسب سمع سعيد بن جبير من أبي موسى اهـ[3].

قلت: كذا قال، وقد أخرجه مسلم من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وأحمدُ وعبدُ بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ كما تقدم.

(وما أتى به فاقفوا) أي اتبعوا قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 3]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ

(1) مجلسان من إملاء الفارسي ومجلسان من إملاء البخاري، ص: (33).

(2) حلية الأولياء: 308/ 4.

(3) البحر الزخار المعروف بمسند البزار: 58- 59/ 8.

أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: 55]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: 64]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: 7]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51]، وقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: 101]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: 57]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: 80]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153].

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»** قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**[1].

---

(1) صحيح البخاري: (7280).

وفيه من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة، يقاتَل مِن ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه**»[1].

(**وإن لم يأت في كتابه**) يعني أنه يجب اتباع وقبول ما صح عن النبي ﷺ وإن لم يذكر في القرآن على وجه الخصوص فإنه مذكور فيه من حيث الإجمال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: 3].

(**فإنه**) أي النبي ﷺ (**أوتي مثله**) أي مثل القرآن وهو السنة (**من حكمة**) كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: 34]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: 2]، والحكمة قيل: هي ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وقيل: هي علم آياته وحكمه، وقيل: فهم حقائق القرآن، وقيل: هي النبوة[2].

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود ـ واللفظ لأحمد ـ من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام بن معدي كرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ...** » الحديث[3].

---

(1) صحيح البخاري: (2957).

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص: (143)، بتصرف يسير.

(3) المسند: 410 ـ 411/ 28، والسنن: (4604).

قلت: إسناده صحيح، وابن أبي عوف قال الدارقطني: ثقة[1].

(وسنة متبعه) يتبعها المؤمنون ويعرض عنها المتعصبون الزائغون عن أقوم طريق الناكبون عن التحقيق الذين هم في خلافها مسارعون وعن اتباعها يتعذرون فالآراء عندهم عليها مقدمة والنفوس على ذلك مصممة.

فصل

في التحذير من الرأي الفاسد والتقليد الكاسد والأقوال المنحوسة والأقيسة المنكوسة

روى الخطيب عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله عَزَّوَجَلَّ[2].

وقال الإمام الشعبي رَحِمَهُٱللَّهُ: إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم المقاييس يعلم الله لقد بغضوا إلي هذا المسجد حتى لهو أبغض إلي من كناسة داري هؤلاء الصعافقة[3].

قال البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي قال كل واحد منهما: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن الوليد بن مَزْيَد البيروتي يقول: سمعت أبي،

---

(1) سؤالات السلمي للدارقطني: (436)، وقد فات ابنَ حجر رحمه الله ذكر توثيق الدارقطني في التهذيب: 541/ 2.

(2) الفقيه والمتفقه: 183/ 1.

(3) الفقيه والمتفقه: 184/ 1، قال الأصمعي: الصعافقة قوم يحضرون السوق للتجارة ولا نقد معهم وليست لهم رؤوس أموال فإذا اشترى التجار شيئا دخلوا معهم فيه الواحد منهم: صعفقي. انظر: الصحاح: 1507/ 4.

يقول: سمعت الأوزاعي يقول: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال، وإن زخرفوه بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم[1].

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

قال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ينكر على أصحاب القياس ويتكلم فيهم بكلام شديد[2].

وقال الإمام أبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس[3].

وقال أيضًا: باب ما كان النبي ﷺ يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا أدري أو لم يُجِب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا بقياس[4].

وقال أيضًا: باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل[5].

وقال أيضًا: باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول[6].

---

(1) المدخل إلى السنن الكبرى: 213/ 1.

(2) الفقيه والمتفقه: 463/ 1، وقد سقط من طبعة الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(3) صحيح البخاري: 100/ 9.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق: 101/ 9.

(6) المصدر السابق: 109/ 9.

وقال محمد بن أبي حاتم: وسمعته ـ يعني البخاري ـ يقول: لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة.

فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله.

قال: نعم(1).

وقال الإمام الحافظ ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في هذا الخبر(2) كالدليل على أن ما لم ينقص من العلم ليس بعلم الدين في الحقيقة إذ أخبر المصطفى ﷺ أن العلم ينقص عند تقارب الزمان، وفيه دليل على أن ضد العلم يزيد، وكل شيء زاد مما لم يكن مرجعه إلى الكتاب والسنة، فهو ضد العلم، ولست أعلم العلوم كلها إلا في الزيادة إلا هذا الجنس الواحد من العلم وهو الذي لا يكون للإسلام قوام إلا به إذ الله جل وعلا أمر الناس باتباع رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعند التنازع الرجوع إلى ملته عند الحوادث حيث قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: 7]، ثم نفى الإيمان عمن لم يحكم رسوله فيما شجر بينهم، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: 65]، فمن لم يحفظ سنن النبي ﷺ ولم يحسن تمييز صحيحها من سقيمها، ولا عرف الثقات من المحدثين، ولا الضعفاء والمتروكين ومن يجب قبول انفراد خبره ممن لا يجب قبول زيادة الألفاظ في روايته، ولم يحسن معاني الأخبار، والجمع بين تضادها في الظواهر، ولا عرف المفسر من المجمل، ولا المختصر من المفصل، ولا الناسخ من المنسوخ، ولا

---

(1) سير أعلام النبلاء: 412/ 12.

(2) يعني حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان وينقص العلم ...**» وقد ذكره بإسناده قبل هذا الكلام متصلًا به.

اللفظ الخاص الذي يراد به العام، ولا اللفظ العام الذي يراد به الخاص، ولا الأمر الذي هو فريضة وإيجاب، ولا الأمر الذي هو فضيلة وإرشاد ولا النهي الذي هو حتم لا يجوز ارتكابه من النهي الذي هو ندب يباح استعماله، مع سائر فصول السنن، وأنواع أسباب الأخبار على حسب ما ذكرناه في كتاب: «فصول السنن»: كيف يستحل أن يفتي، أو كيف يسوِّغ لنفسه تحريمَ الحلال، أو تحليل الحرام تقليدًا منه لمن يخطئ ويصيب رافضًا قول من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﷺ. اهـ[1].

وقال **أيضًا**: طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته بترك الكيفية والكمية فيها مع رفض قول كل من قال شيئًا في دين الله جل وعلا بخلاف سنته دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[2].

وقال الإمام الحافظ ابن الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم   فقول رسول الله أزكى وأشرح

وقال الإمام منذر بن سعيد البلوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عذيريَ من قوم يقولون كلما   طلبت دليلًا هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب   وقد كان لا تخفى عليه المدارك
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله   ومن لم يقل ما قاله فهْو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا   وقالوا جميعًا أنت قرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم   أتت مالكا في ترك ذاك المسالك

(1) المجروحين: 20 ـ 21/ 1.

(2) صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع: 546 ـ 547/ 1، والإحسان: 197/ 1.

ومما ينسب لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعدى سبيل الرشد من جارَ واعتدى ... وضاء له نور الهدى فتبلدا

وخاب امرؤ وافاه حكم محمد ... فقال بآراء الرجال وقلدا

نبيٌّ أتى بالنور من عند ربه ... وما جاء من عند الإله هو الهدى

أرى الناس أحزابًا وكلٌّ يرى الذي ... يجيء به المُنْجي وسائرُه الردى

وألقوا كتاب الله خلف ظهورهم ... وقول رسول الله ويلهمُ غدا

وقال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أو يرد شيئًا من آثار رسول الله ﷺ أو يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله وإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة(1).

وقال الإمام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا وهو مع ذلك يقلده فيه، ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه، بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالًا عن مقلده، وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس فإذا ذكر لأحدهم خلاف ما وطن نفسه عليه تعجب منه غاية العجب من غير استرواح إلى دليل بل لما ألفه من تقليد إمامه حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه ولو تدبره لكان تعجبه من مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره، فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجديها، وما رأيت أحدًا منهم

(1) شرح السنة، ص: 64.

رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه، ولا يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكرته، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم، وقد نقل عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: ما ناظرت أحدًا إلا قلت: اللّهم أجر الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني وإن كان الحق معه اتبعته اهـ[1].

وقال الحافظ العلامة الأديب أبو الكرم خَمِيس بن علي الحَوْزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تركتُ مقالات الكلام جميعَها ... لمبتدع يزهو بهن إلى الردى

ولازمتُ أصحابَ الحديث لأنهم ... دعاة إلى سبْل المكارم والهدى

وهل ترك الإنسانُ في الدين غايةً ... إذا قال قلدت النبيَّ محمدا

وقال شيخ الإسلام الحافظ أبو طاهر السِّلَفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

دين النبيّ وشرعُه أخبارُه ... وأجلُّ علم يُقتنَى آثارُه

من كان مشتغلا بها وبنشرها ... بين البرية لا عَفَتْ آثارُه

وقال أيضًا:

يا قاصدا علمَ الحديث يذُمُّهُ ... إذ ضل عن طُرُق الهداية وهْمُهُ

إن العلوم كما عَلِمْتَ كثيرةٌ ... وأجلُّها فقهُ الحديث وعِلمُهُ

---

(1) قواعد الأحكام: 274 ـ 275/ 2، والتاج والإكليل: 365/ 2 للمواق.

مـــن كـــان طالبَــهُ وفيــه تَــيَقُّظٌ فـــأتم ســـهمٍ في المعـــالي سهمُـــه
لـــولا الحـــديثُ وأهلُـــه لم يـــستقم ديـــنُ النبـــيِّ وشَـــذَّ عنـــا حُكْمُـــه
وإذا اســـتراب بقولنـــا متحـــذلِقٌ فأكَـــلُّ فهـــمٍ في البـــسيطة فهمُـــه

وقال الحافظ ابن الدبيثي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا اختار كلُّ الناس في الدين مذهبا وصوَّبَـــه رأيـــا ودقَّقـــه فعْـــلا
فـــإني أرى علـــمَ الحـــديث وأهلَـــه أحـــقَّ اتباعـــا بـــل أســـدَّهمُ سُبْـــلا
لتركـــهمُ فيـــه القيـــاسَ وكونـــهم يَؤُمُّـونَ مـا قـال الرسـولُ ومـا أَمْلَى

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي أو قياس أو استحسان أو قول أحد من الناس كائنًا من كان، ويهجرون فاعل ذلك، وينكرون على من يضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم والتلقي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله حتى يشهد له عمل أو قياس أو يوافق قول فلان وفلان، بل كانوا عاملين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وبقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3]، وأمثالها، فدفعنا إلى زمان إذا قيل لأحدهم: «ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: كذا وكذا» يقول: من قال بهذا؟ ويجعل هذا دفعا في صدر الحديث، أو يجعل جهله بالقائل به حجة له في مخالفته وترك العمل به، ولو نصح نفسه لعلم أن هذا الكلام من أعظم الباطل، وأنه لا يحل له دفع سنن رسول الله ﷺ بمثل هذا الجهل، وأقبح من ذلك عذره في جهله؛ إذ

يعتقد أن الإجماع منعقد على مخالفة تلك السنة، وهذا سوء ظن بجماعة المسلمين، إذ ينسبهم إلى اتفاقهم على مخالفة سنة رسول الله ﷺ وأقبح من ذلك عذره في دعوى هذا الإجماع، وهو جهله وعدم علمه بمن قال بالحديث، فعاد الأمر إلى تقديم جهله على السنة، والله المستعان.

ولا يعرف إمام من أئمة الإسلام ألبتة قال: لا نعمل بحديث رسول الله ﷺ حتى نعرف من عمل به، فإن جَهِلَ مَن بَلَغَهُ الحديثُ مَن عَمِل به لم يحل له أن يعمل به كما يقول هذا القائل. اهـ[1].

ويحسن بنا هنا أن ننقل ما سطره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خطبة مدارج السالكين حيث قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإله المرسلين، وقيوم السموات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، أنزله لنقرأه تدبرًا، ونتأمله تبصرا، ونسعد به تذكرًا، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق أخباره ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه من أشجاره، ورياحين الحكم من بين رياضه وأزهاره، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق

(1) إعلام الموقعين: 179 ـ 180/ 6 طبعة مشهور حسن.

إذا غلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنزل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، لا تفنى عجائبه، ولا تقلع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما ازدادت البصائر فيه تأملًا وتفكيرًا، زادها هداية وتبصيرًا، وكلما بجست معينه فجر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، وحياة القلوب، ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح، حي على الفلاح، نادى به منادي الإيمان على رأس الصراط المستقيم: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 31]، أسمع والله لو صادف آذانًا واعية، وبَصَّر لو صادف قلوبًا من الفساد خالية، لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها آراء الرجال فأغلقت أبوابها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم تجد حقائقُ القرآن إليها منفذا، وتحكمت فيها أسقام الجهل فلم تنتفع معها بصالح العمل.

وا عجبا لها! كيف جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام رب العالمين، ونصوص حديث نبيه المرفوع، أم كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب، وخفي عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب؟.

واعجبا لها! كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها، ومقبولها ومردودها، وراجحها ومرجوحها، وأقرت على أنفسها بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من كلام مَن كلامُه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان وكلام من أوتي جوامع الكلم، واستولى كلامه على الأقصى من البيان؟

كلا، بل هي والله فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرائق قصدها، يربى فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير.

وظنت خفافيش البصائر أنها الغاية التي يتسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تنافس فيها المنافسون، وتزاحموا عليها، وهيهات، أين السهى من شمس الضحى؟ وأين الثرى من كواكب الجوزاء؟ وأين الكلام الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم، من النقل المصدق عن القائل المعصوم؟ وأين الأقوال التي أعلى درجاتها أن تكون سائغة الاتباع، من النصوص الواجب على كل مسلم تقديمها وتحكيمها والتحاكم إليها في محل النزاع؟ وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحذر، من النصوص التي فُرِضَ على كل عبد أن يهتدي بها ويتبصر؟ وأين المذاهب التي إذا مات أربابها فهي من جملة الأموات، من النصوص التي لا تزول إذا زالت الأرض والسموات؟

سبحان الله! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مشكاته من كنوز الذخائر؟ وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟ قنِعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فِكَرا، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرًا، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا.

درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت ألويته وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه النيرة من آفاق نفوسهم فلذلك لا يحبونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يبصرونها.

خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم كمين بعد

كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام، وتلقوها من بعيد، ولكن بالدفع في صدورها والأعجاز، وقالوا: ما لك عندنا من عبور، وإن كان ولا بد، فعلى سبيل الاجتياز، أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان، له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان، المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول، والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول، وأهل الكتاب والسنة، المقدمون لنصوصها على غيرها جهال لديهم منقوصون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

حُرِمُوا والله الوصول، بعدولهم عن منهج الوحي، وتضييعهم الأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتميز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقدموا على ما قدموه: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه.

فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباء منثورا، ويا عُظْمَ المصيبة عندما يتبين بوارقُ أمانيه خلبًا، وآماله كاذبة غرورا، فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه يوم تبلى السرائر؟ وعذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يومٍ لا تنفع الظالمين فيه المعاذر؟

أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله أن ينجو من ربه بآراء الرجال؟ أو يتخلص من بأس الله بكثرة البحوث والجدال، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال؟ أو بالإشارات والشطحات، وأنواع الخيال؟

هيهات والله، لقد ظن أكذب الظن، ومَنَّتْهُ نفسه أبين المحال، وإنما ضمنت النجاة لمن حكَّم هدى الله على غيره، وتزود التقوى وائتم بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم ... إلخ كلامه[1].

وذكر ابن القيم أيضًا: أن القول الشاذ هو الذي ليس مع قائله دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فهذا هو القول الشاذ ولو كان عليه جمهور أهل الأرض، وأما قول ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فليس بشاذ ولو ذهب إليه الواحد من الأمة، فإن كثرة القائلين وقلتهم ليس بمعيار وميزان للحق يعير به ويوزن به، وهذه غير طريقة الراسخين في العلم وإنما هي طريقة عامية تليق بمن بضاعتُهم من كتاب الله والسنة مزجاة، وأما أهل العلم الذين هم أهله فالشذوذ عندهم والمخالفة القبيحة هي الشذوذ عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومخالفتها ولا اعتبار عندهم بغير ذلك ما لم يجمع المسلمون على قول واحد ويعلم إجماعهم يقينا فهذا الذي لا تحل مخالفته اهـ[2].

وقال العلامة أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل اهـ[3].

وقال العلامة الحافظ ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الهداية:

والحــذَرَ الحــذَرَ مــن تعــصبِ وأن تُــرَدَّ ســنةٌ بمذهــب

---

(1) مدارج السالكين: 11 ـ 14/ 1.

(2) الفروسية المحمدية، ص: (239 ـ 240).

(3) الاعتصام: 224/ 2.

وقال السيد المرتضى الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عليك بأصحاب الحديث فإنهم ... خيار عباد الله في كل محفل
ولا تعْدُوَنْ عيناك عنهم فإنهم ... نجوم الهدى في أعين المتأمل
جهابذة شُمٌّ سَراةٌ فمن أتى ... إلى حيهم يوما فبالنور يمتلي
لقد شرَقَتْ شمسُ الهدى في وجوههم ... وقدرهمُ في الناس لا زال يعتلي
فلله مَحْياهم معا ومماتهم ... لقد ظفروا إدراكَ مجد مؤثل
وقال الإمام الشافعيُّ مقالة ... غدت منهمُ فخرًا لكل محصل
أرى المرء من أهل الحديث كأنه ... رأى المرء من صحب النبيِّ المفضل
عليه صلاة الله ما ذَرَّ شارق ... وآلٍ له والصحبِ أهلِ التفضل

وقال العلامة المجتهد المطلق محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلامَ جعلتم أيها الناس ديننَا ... لأربعةٍ لا شك في فضلهمْ عندي
همُ علماء الدين شَرْقًا ومغربا ... ونورُ عيونِ الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليلا ولا تقليدهم في غَدٍ يُجْدي
ولا زعموا حاشاهمُ أن قولَهمْ ... دليلٌ فيستهدي به كل مُسْتَهْدِ
بلى صَرَّحوا أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوصَ بالقَدْح والرد

وقال أيضًا:

لقد خُلِطَتْ بالابتداع عقائدٌ ... تَرَى كلَّ ذي علم عليها يُدافِعُ
يدافع عما أَسَّسَ الناسُ قبلَه ... ويبني على ما أسسوا ويُشايِع
وتَعْمَى عن الإنصاف عينُ كمالِهِ ... وتَنْسَدُّ عنه عند ذاك المسامعُ
لقد فاضَ بحرُ الابتداع وأصبحَتْ ... قلوبَ ذوي التقليد منه المصانِعُ

خليليَّ ما لي لا أَرَى غيرَ منصفٍ ... أقام على باب الهداية مانِع
نَعَمْ إن أرباب المذاهب أصبحوا ... وكلٌّ على ما يَرتضيه يدافُع
يَرُدُّ الذي لا يرتضيه برأيه ... ويحسَب أن الحق للرأيِ تابع
إذا آيةٌ صَكَّتْ مسامعَ قلبِهِ ... وجاءتْ بما لا يرتضِي مَن يتابِع
يقوم على ساقٍ لتأويلِ لفظها ... وصرفِ معانيها إلى من يشايع
وكم من حديثٍ نحوَه قد توجهَتْ ... وجوهٌ من التأويل شُوهٌ شنائِع
فَمَن لك بالفحل الذي لا تَهُولُه ... سيوفُ ابتداعٍ جُرِّدَتْ وزعازِعُ
أماتَ الهوى مِن قلبِه فإذا أتى ... إليه الهدى مِن ربه لا ينازِع
فكلُّ مقالٍ غيرَ قولِ محمدٍ ... عن الله أو عنه فذاك قعاقِع
وكلُّ بياضٍ سَوَّدَتْهُ مَحابِرٌ ... بآرائها فهْو الديارُ البَلاقِع
خليليَّ قُومَا واقْرَعَا بابَ فتحِه ... فذلك مفتوحٌ لمن هُو قارع
فمنه تعالى فيضُ كلِّ هدايةٍ ... ومنه يُرْجَى كلُّ ما هو نافع
إلهي وهذا جُهْدُ مَن هو ناصح ... عسى وعسى في الناس للنصح سامع

ونقل العلامة أبو عبد الله الحطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمختصر خليل عن السبكي قوله: وأما تعصبكم في فروع الدين وحملكم الناس على مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله منكم ولا يحملكم عليه إلا محض التعصب والتحاسد ولو أن الشافعي وأبا حنيفة ومالكًا وأحمد أحياء يرزقون لشددوا النكير عليكم وتبرءوا منكم فيما تفعلون اهـ[1].

وقال أيضًا: والتحقيق معرفة الشيء بدليله من غير تقليد فيه اهـ[2].

---

(1) مواهب الجليل: 1/ 37.

(2) مواهب الجليل: 1/ 34.

وقال أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالمقلد والجاهل والعامي عندهم ألفاظ مترادفة، وبهذا تعلم أن المراد بالجاهل في قول (خ)[1]: أو جاهل لم يشاور إلخ: المقلد، وأن أحكامه إذا لم يشاور فيها تتعقب أي تتصفح فيرد خطؤها ويمضي غيره اهـ[2].

وقال الشيخ محمد بن محمد آسكر الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن ذَكَـرْت سـنةَ البـشير ... احمـر وجـه العـالم النحريـر
تعـصبًا وأكـثر الجـدالا ... وصـد عنـك معرضـا وقـالا
هـذا الحـديث صـح لي عـن النبـي ... لكـنه مـخالف لمذهبـي
ولـست ممـن بالحـديث يقـتدي ... لأننـي لم أكـُ بالمجتـهد

وقال بعضهم:

قـال أبـو حنيفـة الإمـام ... لا ينبـغي لمـن لـه إسـلام
أخـذ بـأقواليَ حـتى تعرضـا ... عـلى الكتـاب والحـديث المرتـضى
ومالـك إمـام دار الهجـرة ... قـال وقـد أشـار نحـو الحجـرة
كـل كـلام منـه ذو قبـول ... ومنـه مـردود سـوى الرسـول
والـشافعيُّ قـال إن رأيتـمُ ... قـولي مخالفـا لمـا رويتـمُ
مـن الحـديث فـاضربوا الجـدارا ... بقولـيَ المخـالفِ الأخبـارا
وأحمـدٌ قـال لهـم لا تكتبـوا ... مـا قلتـه بـل أصـلَ ذلـك اطلبـوا
فاسـمع مقـالات الهـداة الأربعـه ... واعمـل بهـا فـإن فيهـا منفـعه

---

(1) رمز بالخاء المعجمة لخليل.

(2) البهجة في شرح التحفة: 41/ 1.

لقمعها لكل ذي تعصب والمنصفون يكتفون بالنبي[1]

وقال العلامة محدث الديار الشنقيطية محمد بن أبي مدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مذهب مالك إذا قيل: المرادْ منه الذي لمالك فيه اجتهادْ

وغيرُه مما عليه نُصَّ لا يُعَدُّ مذهبًا له مؤصلا

فَعَزْوُ مذهبٍ لِّذي اجتهاد بعد وجود النص ذو فساد

بل كلما ثبت بالدليل ينسب للإله والرسول[2]

قال المصنف:

وَاليَومُ الاخِرُ وَمَا قَدْ اشْتَمَلْ عَلَيهِ مِنْ حَشْرٍ وعَرْضٍ لِعَمَلْ

حقٌّ كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ وَالنَّارُ حَقٌّ وَكَذَا الجَنَّةُ حَقْ

الشرح: قوله: (واليوم الآخر) مبتدأ خبره: (حق) في أول البيت الثاني، يعني أن اليوم الآخر حق يجب الإيمان به والتصديق به وقد سماه الله تعالى يوم القيامة، والصاخة، والحاقة، والقارعة، ويوم الآزفة، ويوم الفصل، ويوم الجمع، والطامة، ويوم الدين، وقد قال ﷺ ـ لما سأله جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الإيمان ـ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[3].

(**وما قد اشتمل عليه**) أي يجب التصديق بما اشتمل عليه اليوم الآخر مما ذكر في القرآن وصحيح السنة (**من حشر**) قال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

---

(1) الصوارم والأسنة في الذب عن السنة، ص: (181 ـ 182) ـ وهذا الكتاب من أنفع الكتب في هذا الباب ـ وفتاوي الحويني: 14 ـ 15/ 1.

(2) الصوارم والأسنة، ص: (109).

(3) صحيح البخاري: (50)، وصحيح مسلم: (9)، و: (10) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه مسلم: (8) من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

[آل عمران: 158]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: 22]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس: 28]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 47]، وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قام فينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطيبًا بموعظة فقال: **«يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ...»**[1].

(وعرض لعمل) قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 18]، وقال تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۢۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: 48]، **(كذا الوزن)** قال الإمام الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ: الوزن مصدر من قول القائل: وزنت كذا وكذا أزنه وزنًا وزنة مثل: وعدته أعده وعدًا وعدة[2].

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: 8-9].

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار، من أن ذلك هو «الميزان» المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ

---

(1) صحيح البخاري: (3349)، وصحيح مسلم: (2860).

(2) تفسير الطبري: 309/ 12.

مَوَٰزِينُهُۥ ﴾، موازين عمله الصالح ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله: «**ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق**»، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه، وجهته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أوْ قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله: «وما وجه وزن الله الأعمال، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها»: وزن ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: 28-29] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم.

وأما وجه جواز ذلك، فإنه كما: حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال: حدثنا جعفر بن عون قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو، قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع

في الكفة، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنملة، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ. قال: فتوضع في الكفة، فترجح بخطاياه وذنوبه.

فكذلك وزن الله أعمال خلقه، بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلًا وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى، احتجاجًا من الله بذلك على خلقه، كفعله بكثير منهم: من استنطاق أيديهم وأرجلهم، استشهادًا بذلك عليهم، وما أشبه ذلك من حججه.

ويسأل من أنكر ذلك فيقال له: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة، ويخفف موازين آخرين، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بتحقيق ذلك، فما الذي أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته، الذي يتعارفه الناس؟ أحجةُ عقلٍ تُبْعِد أن يُنال وجهُ صحتِهِ من جهة العقل؟ وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقَه وكتبَ أعمالهم لتعريفهم أثقلَ القسمين منها بالميزان، خروج من حكمة، ولا دخول في جور في قضية، فما الذي أحال ذلك عندك من حجة عقل أو خبر؟ إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت، ولا سبيل إلى ذلك، وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوحُ فساد قوله، وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك.

وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته، إذ كان قصدنا في هذا الكتاب: البيان عن تأويل القرآن دون غيره، ولولا ذلك لَقَرَنَّا إلى ما ذكرنا نظائره، وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله[1].

---

(1) تفسير الطبري: 311 ـ 314/ 12.

وهل يوزن العامل كما يدل لذلك الحديث الذي رواه الشيخان ـ واللفظ للبخاري ـ من طريق المغيرة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105]»[1].

قلت: لفظ مسلم: «**... بعوضة اقرءوا ...**» والباقي سواء.

ويدل له أيضًا ما أخرجه أحمد[2] وابن حبان ـ واللفظ له ـ[3] من طريق حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش أن عبد الله بن مسعود كان يحتز لرسول الله ﷺ سواكًا من أراك، وكان في ساقيه دقة، فضحك القوم، فقال النبي ﷺ: «**ما كان يضحككم من دقة ساقيه، والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أحد**».

قلت: إسناد حسن رجاله ثقات على كلام في حماد وعاصم، لكن رواه ابن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثني زائدة عن عاصم بن أبي النجود عن زر به مرسلًا[4]، والصواب وصْلُه فإن له طريقًا آخر صحيحًا عند البزار[5] والحاكم وصححه[6].

---

(1) صحيح البخاري: (4729)، وصحيح مسلم: (2785).

(2) المسند: 98 ـ 99/ 7.

(3) صحيح ابن حبان: (7069).

(4) المصنف: 175/ 11.

(5) مسند البزار: 245/ 8.

(6) المستدرك: 64 ـ 65/ 6، وراجع ـ للتوسع ـ: السلسلة الصحيحة: (3192).

وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد[1] وأبي يعلى[2] وصححه الطبري[3] وفي ذلك نظر[4].

وقال **أسد بن موسى في الزهد**: نا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: «**يؤتى بالميزان يوم القيامة فلو وضعت في كفته السموات والأرض ومن فيهن لوسعته فتقول الملائكة: ربنا من تزن بهذا؟ فيقول: ما شئت من خلقي فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك**»[5].

قلت: ظاهر هذا الأثر أن صاحب العمل يوزن، لكن رواه أبو بكر الآجري قال: أنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: «**يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى قال: ويوضع الميزان ولو وضعت في كفته السموات والأرض وما فيهن لوسعتهم فتقول الملائكة: ربنا لمن تزن بهذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك**».

حدثنا أبو محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أنبأنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة فلو أن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن تزن بهذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي فيقولون:**

---

(1) مسند أحمد: 243 ـ 244/ 2.

(2) مسند أبي يعلى: 446 ـ 447/ 1.

(3) تهذيب الآثار: 162 ـ 163/ 4.

(4) السلسلة الصحيحة: 572 ـ 573/ 6.

(5) الزهد: (66).

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[1]. **قلت:** فظاهر هذا أن صاحب العمل لا يوزن وإنما يوزن له، ومعلوم أن ابن مهدي ومعاذ بن معاذ العنبري أجل وأتقن من أسد بكثير فالقول قولهما لا محالة.

ورواه أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين عن أبيه عن أبي الحسن ـ هو: علي بن الحسن[2] ـ عن أبي داود ـ هو: أحمد بن موسى[3] ـ عن يحيى ـ هو: ابن سلام ـ قال: حدثني حماد بن سلمة به بلفظ: **«يوضع الميزان يوم القيامة ولو وضع في كفته السموات والأرض لوسعتها فتقول الملائكة: ربنا من يوزن بهذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»**[4].

قلت: فهذا بمعنى رواية أسد ولكنه ضعيف الإسناد.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي، قال: **«يوضع الصراط وله حد كحد الموسى فتقول الملائكة: ربنا من تجيز على هذا، فيقول: أجيز عليه من شئتُ»**[5].

وقال ابن الأعرابي: نا عباس نا الأسود بن عامر نا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن سلمان قال: **«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وضعت السموات والأرض ومن فيهن لوسعته، قال: قالت الملائكة: ربنا من تزن بذا؟**

---

(1) الشريعة: 1328 ـ 1329/ 3.

(2) له ترجمة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 357/ 1.

(3) هو: أحمد بن موسى بن جرير له ترجمة في لسان الميزان: 681/ 1، والديباج المذهب، ص: 87.

(4) أصول السنة، ص: 165.

(5) المصنف 121 ـ 122/ 12.

قال: من شئت من خلقي قال: ويضع الصراط، وهو كحد الموسى، فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»[1].

وقال اللالكائي: أنا عيسى بن علي أنا عبد الله بن محمد البغوي قال: نا أبو نصر التمار قال: نا حماد عن ليث عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: «يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في أحدهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعه، فتقول الملائكة: من يزن هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي: قال فتقول الملائكة: ما عبدناك حق عبادتك»[2].

وقال أيضًا: أنا عيسى بن علي قال: أنا عبد الله[3] بن محمد بن عبد العزيز، قال: نا أبو نصر التمار قال: نا حماد عن ليث عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي، قال: «يوضع الصراط يوم القيامة، وله حد كحد الموسى، فتقول الملائكة: يا رب من يمر على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك»[4].

قلت: كذا وقع عند اللالكائي «ليث» بدل «ثابت» وهو خطأ لا محالة والصواب: «ثابت».

والصواب من الروايات عن حماد بن سلمة رواية ابن مهدي ومعاذ، فقد قال النسائي: أثبت أصحاب حماد بن سلمة: ابن مهدي، وابن المبارك، وعبد الوهاب الثقفي[5].

---

(1) المعجم: 876 ـ 877/ 2.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (2208).

(3) في المطبوعة: «عبيد الله» وهو خطأ.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (2221).

(5) شرح علل الترمذي: 707/ 2.

وقد أخرج الحاكم[1] هذا الأثر مرفوعًا وصححه على شرط مسلم، وقد تعقبه الشيخ الألباني فأصاب[2].

أو يوزن العمل كما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فيما حكاه الإمام البغوي عنه[3] ـ ويدل له ما رواه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[4]؟ فإن الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا[5].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان[6].

أو توزن الصحائف؟ كما يدل له الحديث الذي أخرجه أحمد ـ واللفظ له ـ [7] والترمذي[8] وابن ماجة[9] وابن حبان[10] كلهم من طريق الليث بن سعد قال: حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو

---

(1) المستدرك: 418/ 8.

(2) السلسلة الصحيحة: (941)، وانظر: حاشية الدكتور عبد الله البخاري على أصول السنة لابن أبي زمنين ص: 165 ـ 167.

(3) تفسير البغوي: 181/ 2.

(4) صحيح البخاري: (7563)، وصحيح مسلم: (2694).

(5) تفسير ابن كثير: 389/ 3.

(6) تفسير البغوي: 215/ 3.

(7) المسند: 570 ـ 571/ 11.

(8) الجامع الكبير: (2639).

(9) السنن: (4300).

(10) صحيح ابن حبان: (225).

بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يستخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**».

قال الترمذي: حسن غريب. **قلت**: إسناده صحيح.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم[1].

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي أستظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصي عليه فيمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عَزَّوَجَلَّ يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان**» فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو

(1) تفسير ابن كثير: 390/ 3.

وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة[1].

قلت: هذه الرواية رواها أحمد عن قتيبة عن ابن لهيعة عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي به[2] وابن لهيعة ضعيف وإن كانت رواية قتيبة والعبادلة عنه أقوى من رواية غيرهم[3].

(وما به التحق) كتطاير الصحف، وكأخذ الكتب بالأيمان أو الشمائل كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: 19]، وكالمرور على الصراط كما في الصحيحين ـ وهذا لفظ مسلم ـ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللّٰهم سلم سلم قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاود الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم ...**»[4].

وفيهما ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللّٰهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل**

---

(1) معارج القبول: 848 ـ 849/ 2.

(2) المسند: 637/ 11.

(3) للدكتور أحمد معبد عبد الكريم بحث جيد في حال ابن لهيعة في تحقيقه للنفح الشذي: 792 ـ 863/ 2 لابن سيد الناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(4) صحيح البخاري: (7439)، وصحيح مسلم: (183).

شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله**[1] **ومنهم المجازى**[2] **حتى ينجى...** »[3].

وكدنو الشمس كما في صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل** ـ قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين ـ قال: **فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**»، قال وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[4].

وكعذاب القبر ـ أعاذنا الله منه ـ كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: 27]، وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ **قال: نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد** ﷺ **فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾»[5].

---

(1) انظر ـ لضبط هذه الجملة: «فمنهم المؤمن بقي بعمله» ـ شرح النووي على صحيح مسلم: 21/ 3.

(2) راجع شرح النووي على مسلم لمعرفة ضبط هذه الكلمة: «المجازى».

(3) صحيح البخاري: (7437)، وصحيح مسلم: (182).

(4) صحيح مسلم: (2864).

(5) صحيح البخاري: (1369)، وصحيح مسلم: (2871).

وفيهما ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي أيوب قال: خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتًا فقال: «**يهود تعذب في قبورها**»(1).

وفي صحيح البخاري من حديث ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر(2).

وفي صحيح البخاري تعليقًا من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**عذاب القبر حق**»(3).

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال: فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(4).

وكالحوض ففي الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»(5).

وفيهما ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**»(6).

---

(1) صحيح البخاري: (1375)، وصحيح مسلم: (2869).

(2) صحيح البخاري: (1376).

(3) صحيح البخاري: (1372)، ووصله أحمد: (258/ 42)، والنسائي: (1308) بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(4) صحيح البخاري: (216)، وصحيح مسلم: (292).

(5) صحيح البخاري: (6589)، وصحيح مسلم: (2289).

(6) صحيح البخاري: (1196)، وصحيح مسلم: (1391).

وفيهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح»**[1].

وفيهما ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**[2].

وفيهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«أنا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[3].

وفيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورِق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»**. هذا لفظ مسلم، وليس عند البخاري: **«وزواياه سواء»**، وعنده: **«أبيض من اللبن»**[4].

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: **«إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»**[5].

---

(1) صحيح البخاري: (6577)، وصحيح مسلم: (2299)، وجرباء وأذرح قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال كما في النهاية: 254/ 1.

(2) صحيح البخاري: (6580)، وصحيح مسلم: (2303).

(3) صحيح البخاري: (6576)، وصحيح مسلم: (2297).

(4) صحيح البخاري: (6579)، وصحيح مسلم: (2292).

(5) صحيح البخاري: (6583)، وصحيح مسلم: (2290).

وفي الباب عن: عقبة بن عامر[1]، وجابر بن سمرة[2]، وثوبان[3]، وأبي ذر[4]، وحارثة بن وهب[5]، وعائشة[6]، وأم سلمة[7]، وأسماء بنت أبي بكر[8]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وكأشراط الساعة مثل: خروج الدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج المهدي، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج يأجوج ومأجوج، والدخان، والدابة، والنار التي تسوق الناس.

أما الدجال ففي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: «**ما يضرك منه**» قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: «**هو أهون على الله من ذلك**»[9].

وفيهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**ما بُعِثَ نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[10].

---

(1) صحيح البخاري: (6590)، وصحيح مسلم: (2296).
(2) صحيح مسلم: (2305).
(3) صحيح مسلم: (2301).
(4) صحيح مسلم: (2300).
(5) صحيح البخاري: (6591)، وصحيح مسلم: (2298).
(6) صحيح مسلم: (2294).
(7) صحيح مسلم: (2295).
(8) صحيح البخاري: (6593)، وصحيح مسلم: (2293).
(9) صحيح البخاري: (7122)، وصحيح مسلم: (2939).
(10) صحيح البخاري: (7131)، وصحيح مسلم: (2933).

وفيهما ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»**[1].

وفيهما أيضًا من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: **«إن معه ماءً ونارًا فناره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلكوا»**[2].

وفي الباب عن: ابن عمر[3]، وأبي مسعود[4]، والنواس بن سمعان[5]، وأبي سعيد الخدري[6]، وعبد الله بن عَمْرو[7]، وجابر بن عبد الله[8]، وأبي بكرة[9]، وعمران بن حصين[10]، وعائشة[11] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأما طلوع الشمس من مغربها ففي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى**

---

(1) صحيح البخاري: (3338)، وصحيح مسلم: (2936).

(2) صحيح البخاري: (7130)، وصحيح مسلم: (2934).

(3) صحيح البخاري: (7127)، وصحيح مسلم: (169).

(4) صحيح مسلم: (2935).

(5) صحيح مسلم: (2937).

(6) صحيح مسلم: (2938).

(7) صحيح مسلم: (2940).

(8) صحيح مسلم: (2945).

(9) صحيح البخاري: (7125)، (7126).

(10) صحيح مسلم: (2946).

(11) صحيح البخاري: (7129).

تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[2].

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يومًا: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها» فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»[3].

وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة،

(1) صحيح البخاري: (4635)، وصحيح مسلم: (157).

(2) صحيح مسلم: (158).

(3) صحيح البخاري: (3199)، وصحيح مسلم: (159).

وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعدُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»[2].

وأخرج ابن ماجة من حديث صفوان بن عسال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من قبل مغرب الشمس بابًا مفتوحًا، عرضه: سبعون سنة، فلا يزال ذلك الباب مفتوحًا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**» (وأخرجه الترمذي مطولًا وقال: حسن صحيح)[3].

وأما نزول عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ المذكور قبل قليل ـ: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ...**». الحديث.

وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ**

---

(1) صحيح مسلم: (2901).

(2) صحيح مسلم: (2941).

(3) الجامع الكبير: (3535، 3536)، وسنن ابن ماجة: (4070).

حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**»[2].

وفيه أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين** ـ لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا ـ **فيبعث الله عيسى بن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ...**»[3].

وفي الباب عن: ابن مسعود[4]، وعثمان بن أبي العاص[5]، وأبي أمامة[6]، والنواس بن سمعان[7]، ومجمع بن جارية[8]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ[9].

---

(1) صحيح البخاري: (2222)، وصحيح مسلم: (155).

(2) صحيح مسلم: (156).

(3) صحيح مسلم: (2940).

(4) أحمد مرفوعًا: 19 ـ 20/ 6، وابن ماجه موقوفا: (4081)، بإسناد ضعيف.

(5) أحمد: 430 ـ 432/ 29 والحاكم: 253 ـ 254/ 8، بإسناد ضعيف.

(6) ابن ماجه: (4077) بإسناد ضعيف، وانظر: تهذيب الكمال: 351/ 9.

(7) مسلم: (2937).

(8) أحمد: 209 ـ 212/ 24، والترمذي: (2244).

(9) تفسير ابن كثير: 385 ـ 386/ 2، وعمدة التفسير: 606/ 1.

وأما خروج المهدي فأخرج أحمد ـ واللفظ له ـ[1] وأبو يعلى[2] وعنه ابن حبان[3] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا**» قال: «**ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ من[4] يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**».

وأخرج الحاكم[5] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا**» يعني: حججًا.

وقال الحاكم: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، ثنا عمرو بن محمد العنقزي، ثنا يونس بن أبي إسحاق، أخبرني عمار الدهني، عن أبي الطفيل، عن محمد بن الحنفية، قال: كنا عند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله رجل عن المهدي، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هيهات، ثم عقد بيده سبعًا، فقال: «ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: الله الله قتل، فيجمع الله تعالى له قومًا قزعًا كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر»، قال أبو الطفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: «نعم»، قال: إنه يخرج من بين هذين

---

(1) المسند: 416/ 17.

(2) مسند أبي يعلى: (987).

(3) التقاسيم والأنواع: 93/ 6، ورقم: (6823)، من طبعة الإحسان.

(4) أشار محققو الجزء السابع عشر من المسند إلى اختلاف النسخ في إثبات: «من».

(5) المستدرك: 372/ 8، وقال: صحيح الإسناد.

الخشبتين، قلت: «لا جرم والله لا أرميهما حتى أموت»، فمات بها يعني مكة حرسها الله تعالى (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)[1].

وفي الباب عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، والحسين بن علي، وأم سلمة، وأم حبيبة، وعائشة، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وعمار بن ياسر، وعوف بن مالك، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وعمران بن حصين، وأبي الطفيل، وجابر بن ماجد الصدفي، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي أمامة الباهلي، والعباس بن عبد المطلب، وتميم الداري، وعمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[2].

واعلم أن الأحاديث الواردة في خروج المهدي متواترة عن رسول الله ﷺ تلقاها أهل السنة بالقبول حتى أفردها جماعة بالتصنيف كابن أبي خيثمة، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي الحسين بن المنادي، وابن كثير، وأبي زرعة العراقي، وشمس الدين السخاوي، والسيوطي، ومرعي بن يوسف الحنبلي، والمتقي الهندي، وعلي القاري، والصنعاني، والشوكاني، والقنوجي، وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ[3].

وأما الخسوف الثلاثة وخروج يأجوج ومأجوج والدخان والدابة والنار ففي صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطلع النبي

---

(1) المستدرك: 366/ 8.

(2) المهدي المنتظر للغماري، ص: (7 ـ 8)، وسردها بطولها في: (9 ـ 32)، وفيها الصحيح والحسن والضعيف، بواسطة كتاب: «المهدي» للدكتور: محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، ص: (67).

(3) للوقوف على كلام أهل العلم حول إثبات المهدي والرد على شبهات النفاة يراجع كتاب: «المهدي» للدكتور المقدم.

ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»(1).

وفيه أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»(2).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: 82].

(والنار حق) مخلوقة أعدها الله للكافرين دار خلود وللعصاة دار عقاب لا يخلد فيها موحد أصلًا، لا تفنى ولا يفنى من فيها قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر: 36]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [ص: 55-56]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: 74-75]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ

(1) صحيح مسلم: (2901).

(2) صحيح مسلم: (2947).

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56]، وفي الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللّٰهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ـ الحديث وفيه ـ: والنار حق**»[1].

(**وكذا الجنة حق**) مخلوقة أعدها الله لعباده الطيبين لا يخرجون منها لا تفنى ولا يفنى أهلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: 107-108]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: 108].

قال أبو عبد الله بن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوها ـ ثم ذكر الأدلة على ذلك وقال ـ: ولو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام ولكن ردد ذلك ليكون له الحجة البالغة[2].

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع اتفقوا أن الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره ... وأن الجنة حق وأنها دار نعيم أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية وأنها أعدت للمسلمين والنبيين المتقدمين وأتباعهم على حقيقة كما أتوا به قبل أن ينسخ الله تعالى أديانهم بدين الإسلام، وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام ولمن خالف الأنبياء السالفين قبل مبعث رسول الله ﷺ وعليهم الصلاة والتسليم وبلوغ خبره إليه. اهـ كلامه[3].

---

(1) صحيح البخاري: (1120)، وصحيح مسلم: (769).

(2) أصول السنة، ص: 139 ـ 140.

(3) مراتب الإجماع، ص: (167 ـ 168).

قال المصنف:

وَالكَتْبُ للأَشْياءِ فِي الذِّكرِ سَبَقْ مِن قَبلِ أن تُخْلَقَ فَهْوَ المُنطَلَقْ

الشرح: (والكتب) أي كتابة القلم بأمر الله سبحانه وتعالى (للأشياء) كلها (في الذكر) أي أم الكتاب (سبق) وفرغ منه (من قبل أن تخلق) كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[1].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول أهل السنة أن المقادير كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الله عَزَّوَجَلَّ فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع[2].

(فهو) أي كتب الأشياء في أم الكتاب قبل خلقها (المنطلق) الذي يصدر عنه الخلائق كما في صحيح مسلم من حديث أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدَرِ ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا، وقلت: كل شيء خلق الله وملك

---

(1) صحيح مسلم: (2653).

(2) أصول السنة، ص: 197.

يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: **«لا، بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: 7-8]»[1].

وفيه من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ، ذات يوم جالسًا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: **«ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار»** قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: **«لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له»**، ثم قرأ: «﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: 5-6] إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: 7]»[2].

قال المصنف:

وكـلُّ ذَا في الـذِّكرِ جَـا أو فِي الخَـبَرْ ... وَالآنَ أبتَــدِئ نَظْــمَ المُختَــصَرْ

الشرح: (وكل) ما في هـ (ذا) النظم من مسائل الاعتقاد (في الذكر) يعني القرآن والسنة (جا)ء منصوصًا (أو) جاء (في الخبر) الثابت عن رسول الله ﷺ كما تقدم إيضاح ذلك في مواضعه بعون الله فله الحمد والمنة (و) أما (الآن) وبعد ما أكملنا ما يسر الله لذكره من الاعتقاد فـ (أبتدئ) أي أشرع في (نظم المختصر) للشيخ خليل بن إسحاق المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(1) صحيح مسلم: (2650).

(2) صحيح مسلم: (2647).

قال جامع هذه التحف عفا الله عنه: هذا آخر ما أردنا تسطيره من شرح مذهب أهل السنة والجماعة والله المسؤول أن يجنبنا آفات النفوس وأدواءها وأن يختم لنا بالحسنى وأن يزيدنا علمًا وعملًا إنه سميع مجيب وصلى الله على خليله محمد عبده ورسوله وآله وسلم.



المصادر والمراجع

ـ آداب الزفاف في السنة المطهرة تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1431 هـ ـ 2010 م.

ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تحقيق وتعليق: أيمن محمد عرفة، المكتبة التوفيقية.

ـ إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، وضع حواشيه وعلق عليه: أحمد فريد المزيد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 2006 م ـ 1427 هـ .

ـ الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى: 1411 هـ ـ 1991 م.

ـ الاعتصام للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، مراجعة وتدقيق: خالد عبد الفتاح شبل أبي سلمان، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1996 م.

ـ اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تأليف الإمام أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي، تحقيق أبي المنذر النقاش أشرف صلاح علي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ اعتقاد أهل السنة، تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، دار الريان، الطبعة الأولى: 1413 هـ ـ 1992 م.

ـ الاقتصاد في الاعتقاد تأليف الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، حققه وعلق عليه: الدكتور أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1993 م.

ـ الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير تأليف الشيخ الحافظ أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجُورْقَاني[1] الهمَذاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف الشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الراية، الطبعة الثانية: 1994 م ـ 1415 هـ .

ـ أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي، دراسة وتحقيق: الدكتور سعدي الهاشمي، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1409 هـ ـ 1989 م.

ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصِيري، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الطبعة الأولى: 1420 هـ ـ 1999 م.

ـ إثبات الشفاعة، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1420 هـ ـ 2000 م.

ـ إثبات صفة العلو، تأليف الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليها: بدر بن عبد الله البدر .

ـ الأحاديث المختارة تصنيف الشيخ الإمام ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن الحنبلي المقدسي، دراسة وتحقيق: أ. د: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، الطبعة الرابعة: 1421 هـ ـ 2001 م

(1) بضم الجيم وسكون الواو والراء وفتح القاف وفي آخرها النون كما في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير: 307/ 1. وقال ابن الدُّبَيْثِي في ذيل تاريخ بغداد 163/ 3: الجورقاني بالراء المهملة.

ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الإمام الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حقق أصوله وخرج أحاديثه: الشيخ خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الأولى: 1425 هـ ـ 2004م.

ـ أخبار الدجال للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق ودراسة: قسم التحقيق بالدار، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى: 1413 هـ ـ 1993 م.

ـ الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية تصنيف الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، بتخريجات وتعليقات أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الثانية: 1421 هـ ـ 2000 م.

ـ الأربعون حديثًا للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، أضواء السلف، الطبعة الثانية: 1420 هـ ـ 2000 م.

ـ الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث للإمام الحافظ الخليل بن عبد الله بن الخليل الخليلي القزويني، ضبطه: الشيخ عامر أحمد حيدر، دار الفكر: 1993 م ـ 1414 هـ.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، دار الأعلام، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2002 م.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة تأليف: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق وتعليق جماعة، دار الكتب العلمية.

ـ الأسماء والصفات تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجع نصوصه وضبط أعلامه وخرج حديثه وفهرس أعلامه على حروف المعجم: صدقي جميل العطار، دار الفكر: 1421 هـ ـ 2001 م.

ـ أصول السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زَمَنِين، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى: 1415 هـ.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف بكر بن عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد.

ـ أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني تأليف الإمام الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي، نسخه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، الطبعة الأولى: 1428هـ.

ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين تصنيف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1423 هـ.

ـ الإغراب الجزء الرابع من حديث شعبة بن الحجاج وسفيان بن سعيد الثوري مما أغرب بعضهم على بعض، للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، دار المآثر، الطبعة الأولى: 1421 هـ ـ 2000 م.

ـ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف العلامة علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن محمد وأبي محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1422هـ ـ 2001م.

ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، تأليف: الأمير الحافظ ابن ماكولا، الناشر: دار الكتاب الإسلامي القاهرة، الطبعة الثانية: 1993 م.

ـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1408 هـ ـ 1988 م.

ـ الأوائل لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

ـ الإيمان لابن منده حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1406 هـ ـ 1985م.

ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق للشيخ زين الدين الشهير بابن نجيم، الناشر دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.

ـ البحر الزخار المعروف بمسند البزار تأليف الحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، تحقيق الدكتور: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، مؤسسة علوم القرآن بيروت مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1409 هـ ـ 1988 م.

ـ بدائع الفوائد تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.

ـ البرهان في بيان القرآن لابن قدامة، تحقيق: الدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان، مكتبة الهدي النبوي الإسلامية، الطبعة الثانية: 1409 هـ .

ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث تأليف الإمام الحافظ نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق ودراسة: دكتور حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، الطبعة الأولى: 1413 هـ ـ 1992 م.

ـ البهجة في شرح التحفة لأبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي، دار الفكر.

ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، حققه: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى: 1426 هـ .

ـ بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام للحافظ ابن القطان الفاسي أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك، دراسة وتحقيق: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الطبعة الثانية: 1432 هـ ـ 2011 م.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبِيدي، تحقيق مجموعة من الباحثين، طبعة ثانية مصورة، مطبعة حكومة الكويت.

ـ التاج والإكليل لمختصر خليل للشيخ محمد بن يوسف المواق بهامش مواهب الجليل للحطاب.

ـ تاريخ ابن معين رواية الدوري، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى: 1399 هـ ـ 1979 م.

ـ تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1421 هـ .

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين للإمام أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الطبعة الأولى: 1409هـ ـ 1989م.

ـ تاريخ أصبهان للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1410 هـ ـ 1990 م.

ـ تاريخ خليفة بن خياط راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1417 هـ ـ 1996 م.

ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر.

ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس للحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، 1373 هـ ـ 1954 م، الطبعة الثانية: 1408 هـ. 1988 م.

ـ التاريخ الكبير للبخاري، مع حواشي المعلمي، دار الفكر.

ـ تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ تأويل مختلف الحديث تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية: 1419 هـ ـ 1999 م.

ـ التبصير في معالم الدين تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري تحقيق وتعليق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1996 م.

ـ تحريم النظر في كتب الكلام للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الطبعة الأولى: 1410 هـ ـ 1990 م، دار عالم الكتب.

ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المِزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1999 م.

ـ تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل تأليف الحافظ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي، ضبط نصه وعلق عليه: عبد الله نوارة، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الألى: 1419 هـ ـ 1999 م.

ـ التدوين في أخبار قزوين للإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي، ضبط نصه وحقق متنه: الشيخ عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية: 1408 هـ ـ 1987 م.

ـ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، وضع حواشيه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، تحقيق جماعة من الباحثين، مطبعة فضالة المحمدية ـ المغرب، الطبعة الأولى.

ـ التسعينية تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى: 1420 هـ ـ 1999 م.

ـ التعريفات للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1406 هـ .

ـ تعليقات الدارقطني على المجروحين لابن حبان البستي ومعه نقولات من كتاب الضعفاء للساجي تحقيق: خليل بن محمد العربي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، توزيع المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1994 م، مطبعة المدني .

ـ تفسير ابن رجب جمع وتأليف وتعليق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ تفسير أسماء الله الحسنى إملاء أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، طبعة ثانية منقحة: 1399 هـ ـ 1979 م.

ـ تفسير البغوي «معالم التنزيل» للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضيمرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الأولى: 1409 هـ ـ 1989 م.

ـ تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: دكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1999م.

ـ تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان 1432 هـ ـ 2011 م.

ـ تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين تأليف الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة الرياض، الطبعة الأولى: 1417 هـ ـ 1997 م.

ـ تقريب النشر في القراءات العشر تأليف الإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2002 م.

ـ التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل تصنيف الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى: 1432 هـ ـ 2011 م.

ـ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: سكينة الشهابي، الطبعة الأولى: 1985 م.

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تأليف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، حققه وعلق عليه مجموعة من الباحثين، الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: 1387 هـ .

ـ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد «مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» قرأه وخرج أحاديثه: أبو فهر محمود محمد شاكر، الناشر: شركة القدس للنشر والتوزيع.

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1403 هـ ـ 1983 م.

ـ تهذيب التهذيب تصنيف الحافظ ابن حجر شهاب الدين العسقلاني باعتناء: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421 هـ ـ 2001 م.

ـ التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ للحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، حققه وخرج أحاديثه: مصعب بن عطا الله الحايك، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه نقل الأخبار الثابتة الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات تأليف الإمام الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، راجعه وعلق عليه: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية: 1412 هـ ـ 1992 م.

ـ التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ تأليف إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة دراسة وتحقيق: الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، دار الرشد الرياض.

ـ التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن مندة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى: 1409 هـ.

ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف: خالد الرباط وجمعة فتحي، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، الطبعة الأولى: 1429 هـ ـ 2008 م.

ـ الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن. الهند: 1393هـ ـ 1973م.

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الطبعة الثانية: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1403 هـ ـ 1983 م.

ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1994 م.

ـ جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل تأليف الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، الطبعة الثانية: 1407 هـ ـ 1986 م.

ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبي النور، دار السلام، الطبعة الثانية: 1424 هـ ـ 2004 م.

ـ الجامع الكبير للترمذي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية: 1998م.

ـ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ناشرون، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر الطبعة الأولى: 1434 هـ ـ 2013 م.

ـ الجامع لشعب الإيمان تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2003 م.

ـ الجرح والتعديل للإمام ابن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند 1371 هـ ـ 1952 م.

ـ جزء فيه أحاديث أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، انتقاء أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه، حققه وخرج أحاديثه: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1993 م.

ـ جزء فيه طرق حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا» تأليف أبي نعيم الأصبهاني، قدم له وضبط نصه وخرج أحاديثه: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى: 1413 هـ .

ـ الجمع بين الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، دار الكمال المتحدة، الطبعة الأولى: 1437 هـ ـ 2016 م.

ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة السادسة والعشرون سنة: 1389 هـ ـ 1969 م.

ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية تحقيق: زائد بن أحمد النشيري وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر: 1437 هـ ـ 2016 م.

ـ الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة، تأليف الإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد عبد اللطيف محمد الجمل، دار الفاروق، الطبعة الأولى: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ حديث هشام بن عمار، تحقيق الدكتور عبد الله بن وكيل الشيخ، دار إشبيليا، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1999 م.

ـ حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة تصنيف الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي موفق الدين ابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية: 1418 هـ ـ 1997 م.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1409 هـ ـ 1988 م.

ـ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: 1411 هـ ـ 1990 م.

ـ الخراسانية في شرح عقيدة الرازيين أصل السنة واعتقاد الدين، تأليف: عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى: 1437 هـ .

ـ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية: 1411 هـ ـ 1991 م.

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ الدعاء تأليف أبي عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، تحقيق ودراسة وتخريج الدكتور: عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1999 م.

ـ الدليل المغني لشيوخ الإمام أبي الحسن الدارقطني، تأليف أبي الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، راجعه ولخص أحكامه وقدم له فضيلة الشيخ: أبو الحسن السليماني، دار الكيان، الطبعة الأولى: 1428 هـ ـ 2007 م.

ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1417 هـ ـ 1996 م.

ـ ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين تأليف الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، حققه وعلق حواشيه: حماد بن محمد الأنصاري، نشر: مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الثانية: 1387 هـ ـ 1967 م.

ـ ذم التأويل لابن قدامة، حققه وخرج أحاديثه: بدر بن عبد الله البدر، دار الفتح ـ الشارقة، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1994 م.

ـ ذيل تاريخ مدينة السلام للحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن الدُّبَيْثي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1427هـ ـ 2006م.

ـ رجال صحيح البخاري المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه، للإمام أبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكَلاباذي، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، الطبعة الأولى: 1407 هـ ـ 1987 م.

ـ رجال صحيح مسلم للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، الطبعة الأولى: 1407 هـ ـ 1987 م.

ـ الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، حققه وعلق عليه: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1395 هـ ـ 1975 م.

ـ الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليها: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية: 1416هـ ـ 1995م.

ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت تأليف الإمام الحافظ أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزي تحقيق ودراسة: محمد با كريم با عبد الله، الطبعة الأولى: 1414 هـ، دار الراية للنشر والتوزيع.

ـ الرسالة الصفدية قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، قدم لها وحققها وعلق عليها: أبو عبد الله سيِّد بن عباس الجليمي وأبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقي، أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2002 م.

ـ رسالة في القرآن وكلام الله للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق وتعليق: الدكتور: يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2004 م.

ـ الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت، تصنيف الإمام الحافظ الفقيه أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي المعروف بـ: «ابن البناء»، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار العاصمة بالرياض، النشرة الأولى: 1409 هـ .

ـ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات تأليف: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى: 1422هـ ـ 2001م.

ـ الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم تأليف: أبي الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، دار العاصمة، الطبعة الأولى: 1432 هـ ـ 2011 م.

ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، حققه: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية: 1414هـ ـ 1994م.

ـ زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى الجديدة: 1423هـ ـ 2002 م.

ـ الزهد للإمام أحمد بن حنبل، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور محمد جلال شرف، دار النهضة العربية.

ـ الزهد للإمام أسد بن موسى الملقب بأسد السنة، حققه وخرج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني الأثري، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي ـ مكتبة الوعي الإسلامي، الطبعة الأولى: 1413 هـ ـ 1993م.

ـ الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، بتحقيق وتعليق: أحمد فريد، دار المعراج الدولية، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ الزهد للإمام هناد بن السري، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1406 هـ ـ 1985 م.

ـ ست رسائل للحافظ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تقديم وتحقيق: جاسم سليمان الدوسري، الدار السلفية للنشر والتوزيع الكويت: 1408هـ ـ 1988م.

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض طبعة جديدة منقحة ومزيدة 1415هـ ـ 1995م.

ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة: 1412هـ ـ 1992م.

ـ السنة لابن أبي عاصم ومعه ظلال الجنة للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1400 هـ ـ 1980 م.

ـ السنة للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق ودراسة الدكتور: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى: 1406 هـ ـ 1986 م.

ـ سنن ابن ماجه حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الجيل، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1998 م.

ـ سنن أبي داود حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي مؤسسة الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 2009 م ـ 1430 هـ .

ـ السنن للإمام أبي داود برواية اللؤلؤي مقارنة برواية ابن داسة وغيرها ضبط وحقق على ثماني عشرة نسخة خطية، تحقيق ودراسة: أبي تراب عادل بن محمد وأبي عمرو عماد الدين بن عباس ومركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل، الطبعة الأولى: 1436 هـ ـ 2015 م.

ـ السنن للنسائي اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

ـ كتاب السنن المعروف بالسنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل ـ القاهرة، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الطبعة الأولى: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ السنن الكبرى للنسائي قدم له الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي وأشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1421هـ ـ 2001م.

ـ السنن للدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2004 م.

ـ سنن سعيد بن منصور دراسة وتحقيق: الدكتور سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حُمَيِّد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1993 م.

ـ السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، 1425 ـ 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ سؤالات أبي بكر البرقاني للإمام أبي الحسن الدارقطني في الجرح والتعديل وعلل الحديث، تحقيق: أبي عمر محمد بن علي الأزهري، الفاروق الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 1427 هـ ـ 2006 م.

ـ سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى: 1404 هـ ـ 1984 م.

ـ سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود سليمان بن الأشعث السجستاني في معرفة الرجال وجرحهم وتعديلهم، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة دار الاستقامة مؤسسة الريان، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1997 م.

ـ سؤالات السلمي للدارقطني تأليف: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحُميّد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة الأولى: رجب: 1427 هـ .

ـ سؤالات مسعود بن علي السجزي مع أسئلة البغداديين عن أحوال الرواة للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري دراسة وتحقيق الدكتور: موفق بن عبد الله بن عبد القادر دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى: 1408 هـ ـ 1988 م.

ـ سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: 1405 هـ ـ 1985 م.

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم تأليف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ شرح الرسالة للعلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق، اعتنى به وكتب هوامشه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 2006م ـ 1427هـ.

ـ شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى: 1426هـ .

ـ شرح العقيدة الطحاوية تأليف الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة: 1417 هـ ـ 1997 م.

ـ شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة: محرم: 1424هـ.

ـ شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للإمام القاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي، صححها وضبطها: العلامة الفقيه أبو أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، خرج أحاديثها وعلق عليها: أبو الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1423هـ ـ 2002م.

ـ شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، تحقيق ودراسة: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الثالثة: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ شرح الكافية الشافية تأليف الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1420 هـ ـ 2000 م.

ـ شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وخرج أحاديثه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، الطبعة الثالثة: 1415 هـ ـ 1995م.

ـ شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، تصنيف أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ شرح مشكل الآثار تأليف الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1994 م.

ـ شرح المنظومة الرائية في السنة للإمام أبي القاسم سعد بن علي بن محمد بن الحسين الزنجاني، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى: 1430 هـ .

ـ شرح النووي على صحيح مسلم حققه وفهرسه: عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، دار أبي حيان، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الطبعة الأولى: 1417 هـ ـ 1997 م.

ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف الإمام ابن القيم، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر: 1409 هـ ـ 1988 م.

ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة.

ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي، تحقيق ودراسة وتوثيق النصوص: الدكتور عبد السلام البكاري المساري، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن السلفي عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية بيروت : 1399هـ ـ 1979م.

ـ صحيح البخاري تخريج وضبط وتنسيق الحواشي: صدقي جميل العطار، دار الفكر، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2002 م.

ـ صحيح البخاري تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الجيل بيروت.

ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1414 هـ ـ 1993 م.

ـ صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، تحقيق: الأستاذ الدكتور: محمد علي سونمر والأستاذ المشارك الدكتور: خالص آي دمير، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ صحيح ابن خزيمة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ صحيح مسلم، دار السلام الرياض دار الفيحاء دمشق، الطبعة الثانية: محرم: 1421 هـ ـ إبريل: 2000 م.

ـ الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم لابن قدامة، ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل، تحقيق وتعليق: د: عبد الله بن صالح البراك، دار الوطن، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ الصفات للدارقطني، تحقيق وتعليق: عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: 1402 هـ .

ـ الصفدية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، 1406هـ.

ـ الصوارم والأسنة في الذب عن السنة للعلامة المحدث محمد بن أبي مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الشنقيطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة مع تكملته من مختصر الصواعق المرسلة للإمام ابن القيم، المكتبة العصرية، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الأولى: 2007 م ـ 1428 هـ .

ـ الضعفاء والمتروكون للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، حققه: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1406 هـ ـ 1986 م.

ـ الضعفاء للعقيلي، قرأه وعلق عليه: الدكتور مازن بن محمد السرساوي، دار ابن عباس، الطبعة الثانية: رمضان: 1429 هـ ـ يناير 2008 م.

ـ الضعفاء ممن ينسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يهم في بعض حديثه ومجهول روى ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة كان يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة مؤلف على حروف المعجم للإمام أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي رواية يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل بالتعاون مع أبي يحيى الحداد الباحث بدار التأصيل سابقًا، الطبعة الأولى: 1435 هـ ـ 2014 م.

ـ الضعفاء والمتروكون للدارقطني ضمن «المجموع في الضعفاء والمتروكين» دراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم، الطبعة الأولى: 1405 هـ ـ 1985 م.

ـ الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني، حققه وقدم له: الدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الطبعة الأولى: 1405 هـ ـ 1984 م.

ـ الضعفاء والمتروكون للنسائي ضمن «المجموع في الضعفاء والمتروكين» دراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم، الطبعة الأولى: 1405هـ ـ 1985م.

ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 1413 هـ .

ـ الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1410 هـ ـ 1990 م.

ـ عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني بقلم أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة = محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش.

ـ العرش للحافظ الذهبي، دراسة وتحقيق: د. محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1420 هـ ـ 1999 م.

ـ العظمة تأليف أبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى: 1408 هـ .

ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف شيخ الإسلام الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو اليمين المنصوري، دار المنهاج، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2003 م.

ـ العلل تأليف الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/سعد بن عبد الله الحُمَيِّد ود/خالد بن عبد الرحمن الجُرَيسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى: محرم 1427 هـ . (شباط) فبراير 2006 م.

ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني الأجزاء 1 ـ 11 بتحقيق وتخريج د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي دار طيبة، الطبعة الثالثة: 1424 هـ ـ 2003 م، والباقي عارضه بأصوله الخطية وعلق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى: 1427 هـ .

ـ العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن محمد بن حنبل رواية عبد الله، تحقيق وتخريج: الدكتور وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الطبعة الثانية: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد رواية المروذي وغيره، تحقيق الدكتور وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى: 1408 هـ ـ 1988 م.

ـ العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها جمع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد الله بن صالح البراك الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، اعتنى به : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1995 م.

ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم للعلامة المحقق الشيخ: أحمد شاكر، دار الوفاء، الطبعة الثانية: 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ تأليف الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1417 هـ ـ 1996 م.

ـ عمل اليوم والليلة للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن السني، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن كوثر ابن الشيخ محمد عاشق إلهي البرني، دار الأرقم، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1998 م.

ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية: 1388 هـ ـ 1968 م.

ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة: 1414 هـ ـ 1994 م.

ـ فتاوي أبي إسحاق الحويني المسمى إقامة الدلائل على عموم المسائل، دار التقوى، الطبعة الأولى: 1429 هـ ـ 2008 م .

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة سماحة العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر.

ـ فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ومعه فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد رتبه واختصر تخريجه: الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1996 م.

ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ،مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الثانية: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ الفروسية المحمدية تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، إشراف بكر بن عبد الله أبي زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: 1428 هـ .

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، وضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1996 م.

ـ الفقيه والمتفقه للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، قام بتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري، المكتبة العلمية.

ـ الفقيه والمتفقه للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، حققه: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الاولى: جمادى الأولى: 1417 هـ ـ 1996 م.

ـ الفوائد تأليف الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي حققه وخرج أحاديثه: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد الطبعة الثالثة: 1418 هـ ـ 1997 م.

ـ فوائد أبي ذر عبد بن أحمد الهروي، تحقيق: أبي الحسن سمير بن حسين، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1998 م.

ـ القاموس المحيط تصنيف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات دار الفكر: 1425 ـ 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ القدر تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، حققه وخرج أحاديثه: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1997 م.

ـ قواعد التصوف تأليف أحمد بن أحمد البرنسي المغربي المشهور بزروق، ضبطه وعلق عليه: محمود بيروتي، دار البيروتي سوريا دمشق، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2004 م.

ـ القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام تأليف شيخ الإسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. تحقيق: الدكتور نزيه كمال حماد والدكتور عثمان جمعة ضميرية، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى: 1421 هـ ـ 2000 م.

ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا.

ـ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية «القصيدة النونية» للإمام ابن قيم الجوزية، عني بها: عبد الله بن محمد العُمير، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1996 م.

ـ الكامل في ضعفاء الرجال تأليف الإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق وتعليق: الدكتور مازن السرساوي، مكتبة الرشد ناشرون.

ـ الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة تأليف أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي الأندلسي، قدم له وعلق عليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1423 هـ ـ 2002 م.

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، الطبعة الأولى: 1436هـ ـ 2015م.

ـ الكمال في أسماء الرجال تصنيف الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الطبعة الأولى: 1437هـ ـ 2016م.

ـ الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى: 1404هـ ـ 1984م.

ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب تأليف عز الدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى بغداد.

ـ لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر.

ـ لسان الميزان للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية .

ـ لوائح الأنوار السَّنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية تأليف الإمام العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى: 1415 هـ ـ 1994 م.

ـ مجلسان من إملاء الفارسي ومجلسان من إملاء البخاري (نسخة الشاملة).

ـ المجروحين من المحدثين لابن حبان، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الطبعة الثالثة: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ مجلس من أمالي أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده رواية ابنه أبي القاسم عبد الرحمن مخطوط.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر: 1414 هـ ـ 1994 م.

ـ مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب المرحوم: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، أشرف على الطباعة والإخراج: المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .

ـ المحلى لابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، الطبعة الشرعية الوحيدة: 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش دراسة وتحقيق، تأليف: د. محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى: 1418 هـ ـ 1998 م.

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار محمد بن الموصلي، قرأه وخرج نصوصه وعلق عليه وقدم له: الدكتور: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولى: 1425 هـ ـ 2004 م.

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للعلامة ابن القيم، تحقيق وتعليق: سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ مختصر العلو للعلي العظيم، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية: 1412 هـ ـ 1991 م.

ـ مختصر كتاب قيام الليل للإمام محمد بن نصر المروزي اختصار أحمد بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 2004 م ـ 1425 هـ .

ـ المدخل إلى السنن الكبرى للحافظ البيهقي، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، أضواء السلف، الطبعة الثانية: 1420 هـ .

ـ مدارج السالكين في شرح منازل السائرين تأليف الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى: 1424 هـ ـ 2003 م.

ـ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات للإمام الحافظ ابن حزم الظاهري، بعناية: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: 1419هـ ـ 1998م.

ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوي، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات دار التأصيل، الطبعة الأولى: 1435هـ ـ 2014م.

ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية: 1340 هـ .

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وعادل مرشد وإبراهيم الزيبق ومحمد رضوان العرقسوسي وكامل الخراط، الطبعة الثانية: 1420 هـ ـ 1999 م.

ـ مسند البزار = البحر الزخار.

ـ مسند الروياني وبذيله المستدرك من النصوص الساقطة تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني ضبطه وعلق عليه: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1995 م.

ـ مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.

ـ مسند الشاميين تأليف الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1409 هـ ـ 1989 م.

ـ مسند أبي عوانة للإمام الجليل أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفَراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ مسند أبي يعلى الموصلي للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية: 1410هـ ـ 1989م.

ـ مشاهير علماء الأمصار للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي، وضع حواشيه وعلق عليه: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1995 م.

ـ مصابيح السنة للإمام محيي السنة ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق الدكتور: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ومحمد سليم إبراهيم سمارة وجمال حمدي الذهبي، دار المعرفة، الطبعة الأولى: 1407 هـ ـ 1987 م.

ـ المصنف للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى: 1425 هـ ـ 2004 م.

ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 2003 م ـ 1424 هـ.

ـ المطالب العالية من العلم الإلهي تأليف الفخر الرازي، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: 1407 هـ ـ 1987 م.

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الثالثة: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى: 1408 هـ ـ 1988 م.

ـ المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قسم التحقيق بدار الحرمين: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للنشر والتوزيع: 1415 هـ ـ 1995 م.

ـ معجم شيوخ أبي يعلى الموصلي، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى: 1410 هـ ـ 1989 م.

ـ معجم شيوخ الإسماعيلي للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر: 1993 م ـ 1414 هـ .

ـ المعجم الصغير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، صححه وراجع أصوله: عبد الرحمن محمد عثمان دار الفكر، الطبعة الثانية: 1401 هـ ـ 1981 م.

ـ المعجم في الحديث وفي الشيوخ الذين أخذ عنهم المصنف تأليف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني المعروف بابن المقرئ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 2003 م ـ 1424 هـ .

ـ المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.

ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن تأليف العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة: 2008م.

ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1414 هـ ـ 1993 م.

ـ معرفة الرجال للإمام أبي زكريا يحيى بن معين رواية ابن محرز، الجزء الأول بتحقيق: محمد كامل القصار، 1405 هـ ـ 1985 م، والجزء الثاني بتحقيق: محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير .

ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى: 1419 هـ ـ 1998 م.

ـ مكارم الأخلاق للخرائطي، تحقيق ودراسة الدكتور سعاد سليمان الخندقاوي، مطبعة المدني، الطبعة الأولى: 1411 هـ ـ 1991 م.

ـ من تكلم فيه الدارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين، جمع محدث الشام ناصر الدين بن زريق الحنبلي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن سليمان بن حمزة المقدسي، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الطبعة الأولى: 1428 هـ ـ 2007 م.

ـ مناظرة في القرآن العظيم للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الله محمد بن حَمَد الحمود، مكتبة ابن تيمية الكويت، الطبعة الأولى: 1410 هـ ـ 1990 م.

ـ المناهل الزلالة في شرح وأدلة الرسالة تأليف أبي سليمان المختار العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى: 1434 هـ ـ 2013 م.

ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه: السيد صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1408هـ ـ 1988م.

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1412 هـ ـ 1992 م.

ـ المهدي تأليف الدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، الطبعة العاشرة: 1429 هـ ـ 2008 م.

ـ المهذب في اختصار السنن الكبير للبيهقي اختصره الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى: 1422 هـ ـ 2001 م.

ـ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي الشهير بالحطاب الرعيني، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1416 هـ ـ 1995 م.

ـ موسوعة الألباني في العقيدة صنعه: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، الطبعة الأولى: 1431 هـ ـ 2010 م.

ـ موسوعة شروح الموطأ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى: القاهرة: 1426 هـ ـ 2005 م.

ـ الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية: 1417 هـ ـ 1997 م.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: علي محمد البجاوي طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.

ـ نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير.

ـ النفح الشذي في شرح جامع الترمذي تأليف أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى: 1409 هـ .

ـ نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، حققه وضبط نصه: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1433 هـ ـ 2012 م.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر للعلامة مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق رضوان مامو، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى: 1434 هـ ـ 2013 م.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة